

أَحْزَانُ قَنَا

الجزء الأول

التمهيد - الأخلاق مع الله

تأليف الدكتور
عبدالله بن عبد الله المواصي

أَخْلَافُنَا

(١)

العنوان: **أَخْلَاقُنَا.**

تأليف: د. عبد الله بن عبده العواضي.

الجزء: الأول.

الصفحات: (326).

الطبعة: الأولى، 1445 هـ - 2024 م.

الناشر: غافق للدراسات والنشر.

إخراج فني وإلكتروني: هشام بن حسين الأهدل.

الناشر



غافق للدراسات والنشر
GAFEQ for studies and publishing

اليمن - صنعاء

gafeq.s.p@gmail.com

+967 71 71 72 770

GAFEQ.S.P



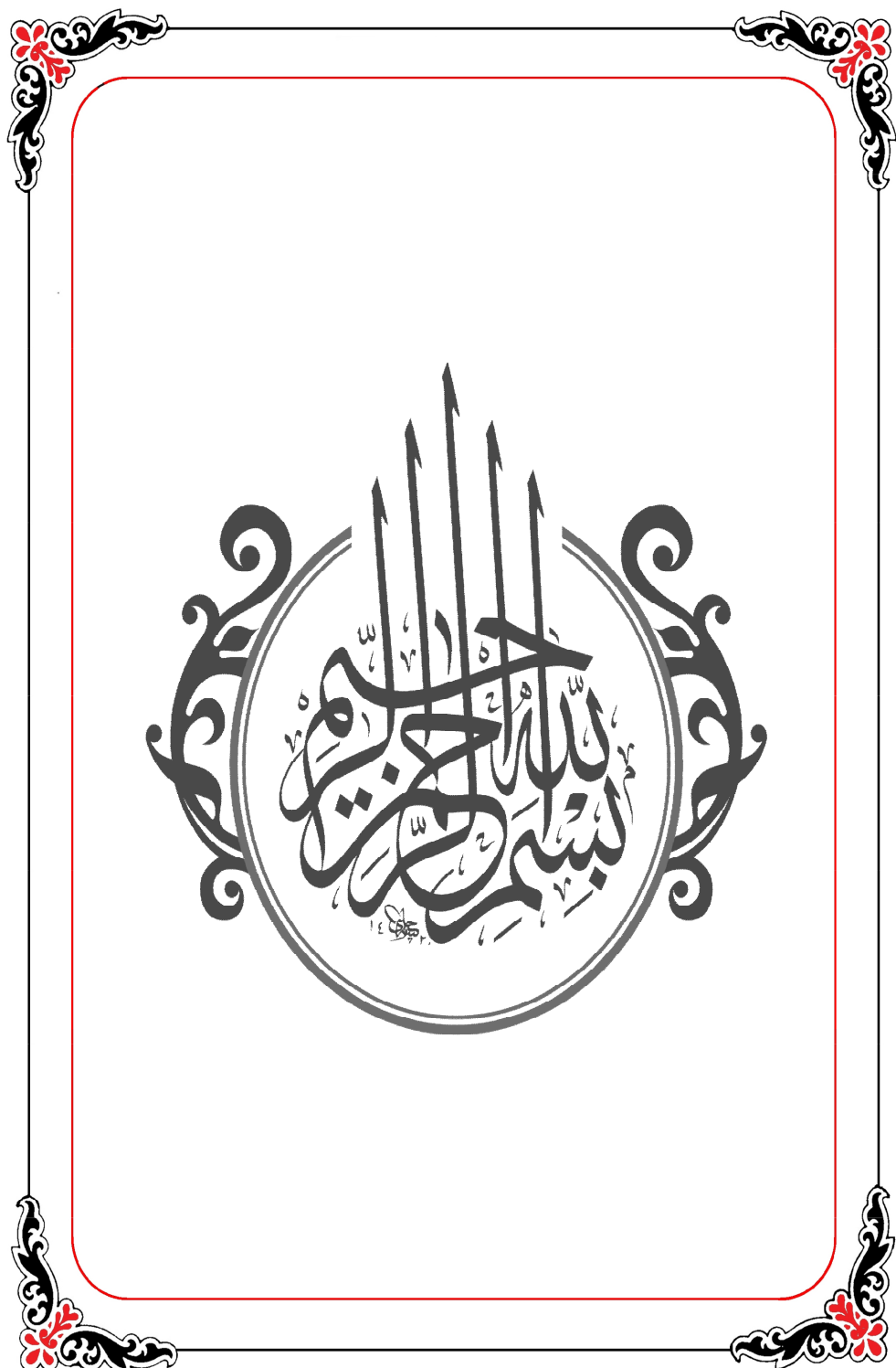
782 16 12 14

أَخْتَلَاؤُنَا

الجزء: الأول

تأليف
عبد الله بن عبده العواضي







المقدمة

الحمد لله حمداً كثيراً، والشكر له شكراً غزيراً، أحمده عدد ما خلق، وأشكره عدد ما رزق، فكم أنعم علينا من وافر نعمه وأجزل، ومنّ علينا من سوابغ مننه وتفضّل، والصلاة والسلام على نبينا محمد أعظم الخلق خلقاً، وأعلاهم برّاً وصدقاً، أنار لنا الطريق بهديه وسيرته، وأقواله وأفعاله، فاستنار لنا السبيل، واتضح لنا الدليل، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه حملة الهدى العظماء، وروايا الرسالة الأمناء، وسلّم تسليماً.

أما بعد:

فإن الأخلاق الحسنة للإنسان هي معالم جماله، وبراهين سمّوه وكماله، وآيات خيره ونبله، وعَرَفْ فضله ورجاحة عقله، بها يتفاضل الناس في دنياهم وآخرهم، فيرتفعون أو يسفلون، ويحبّون، أو يبغضون، ويكثر مُصافيتهم، أو يزداد معاديتهم.

وهي دعوة رسول الله ﷺ وأمره حين قال: (وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ)⁽¹⁾.

(1) رواه أحمد (21354)، والترمذي (1987)، والدارمي (2833)، والبيهقي في شعب

الإيمان (7663)، والبزار (4022)، والطبراني في الصغير (530) والأوسط (3779) والكبير =



وهي أثقل الأعمال الصالحة في الميزان: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَا مِنْ شَيْءٍ يُوَضَّعُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ) (1).

وهي مع التقوى من أكثر ما يدخل الناس الجنة؛ فقد سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ، فَقَالَ: (تَقْوَى اللَّهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ) (2).

وهي عائدة بفوائد دنيوية على أهلها، ومنافع حياتية على المتحلين بها؛ كما قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (صِلَةُ الرَّحِمِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ، وَحُسْنُ الْجَوَارِ؛ يَغْمُرَانِ الدِّيَارَ، وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ) (3).

وأما أهلها فإنهم خيار الناس وأفاضلهم؛ فعَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ

= (296)، وابن أبي شيبة (25324)، والخرائطي في مكارم الأخلاق (5)، وحسنه الترمذي والألباني والأرنؤوط.

(1) رواه أحمد (27496)، والبخاري في الأدب المفرد (270)، وأبو داود (4799)، والترمذي (2003)، وابن حبان (481)، والطبراني في الصغير (550) والأوسط (4198)، والكبير (653)، والبيهقي في الشعب (7638)، والبخاري (4098)، قال الهيثمي: "رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ بِإِخْتِصَارٍ. رَوَاهُ الْبَزَّازُ، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ" مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (22/8)، وصححه الترمذي والألباني.

(2) رواه أحمد (9096)، والبخاري في الأدب المفرد (289)، والترمذي (2004)، وابن حبان (476)، والبيهقي (4570)، وأبو داود الطيالسي (2596)، والبزار (9658)، والخرائطي في مكارم الأخلاق (59)، قال العراقي: "صحيح الإسناد"، تخريج أحاديث إحياء علوم الدين (1101/3)، وصححه الترمذي وابن حبان والألباني.

(3) رواه أحمد (25259)، والبيهقي في الشعب (7599)، قال ابن حجر: "رجاله ثقات"، فتح الباري (415/10).

عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، يُحَدِّثُنَا، إِذْ قَالَ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ: (إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا) (1).

وهم أيضًا من أحب الناس إلى رسول الله وأقربهم منه مجلسًا يوم القيامة؛ كما قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا) (2).

وهم مدركون درجات أهل الطاعات العلية، والقربات السامية؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُذْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ) (3).

ويا بشرهم بمنزلهم العلي عند ربنا العلي؛ كما قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أَنَا زَعِيمٌ بَيْتٍ فِي رِبْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبَيْتٍ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكُذْبَ وَإِنْ كَانَ مَارِحًا، وَبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَنَ خُلُقُهُ) (4).

(1) رواه البخاري (6035).

(2) رواه أحمد (17732)، والترمذي (2018)، وابن حبان (5557)، والبيهقي في الكبرى (20799)، والطبراني في الصغير (835) والكبير (10424)، وابن أبي شيبة (25320)، والخرائطي في مكارم الأخلاق (23)، وحسنه الترمذي، وقال الهيثمي: "رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالطَّبْرَانِيُّ وَرِجَالُ أَحْمَدَ رِجَالُ الصَّحِيحِ"، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (21/8).

(3) رواه أحمد (25013)، وأبو داود (4798)، وابن حبان (480)، والطبراني في الأوسط (6273)، والبيهقي في الشعب (7631)، وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (1/467).

(4) رواه أبو داود (4800)، والترمذي (1993)، وابن ماجه (51)، وابن حبان (4619)، والبيهقي في الكبرى (21176)، **قال النووي**: "رواه أبو داود بإسناد صحيح"، رياض الصالحين (ص: 206).



وهذا غَيْضٌ مِنْ فَيْضٍ، وَبَرُّضٌ مِنْ عِدٍّ، وقليل من كثير.

فعمل بهذا الفضل الكثير، وهذا الشأن الكبير؛ حري أن يحرص المسلم على ارتياد رياضه، والتضلع من حياضه، والعيش تحت ظلاله، والازدياد من معرفة مبانيه ومعانيه، والعكوف في منازلِه ومغانيه، ولا سيما إن أخذه بالمعنى العام الذي يشمل: القيام بأداء حق الله تعالى، وأداء حق النفس، وأداء حق الخلق، كما أنه يضم أعمال الباطن والظاهر معاً، والأعمال اللازمة والأعمال المتعدية جميعاً، فلا غرو أن يكون هو الدين كله؛ كما قال ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ**: "الدين كله خُلِقَ، فمن زاد عليك في الخلق: زاد عليك في الدين" (1).

وقال أيضاً - عند قول النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: (الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ) (2) -: "... وهذا يدل على أن حسن الخلق: هو الدين كله، وهو: حقائق الإيمان، وشرائع الإسلام؛ ولهذا قابله بالإثم" (3).

إن الأخلاق في أي مجتمع هي الصورة الحقيقية المعبرة عن صلاحه أو فساده، أو رقيّه أو انحطاطه، أو حضارته أو تخلفه؛ لأنها هي السلوك الصادق الذي تملّيه التراكمات التربوية والمعرفية، والثقافات المكتسبة، والمؤثرات والأفكار الموروثة، والاهتمامات الشاغلة.

لأجل ذلك كانت المجتمعات بحاجة كبيرة جداً إلى ترسيخ قواعد

(1) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (2/ 294).

(2) رواه مسلم (2553).

(3) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (2/ 292).

الأخلاق الحسنة في أهلها عبر أرضين؛ الأولى: وجود القدوات العملية الصالحة التي تمشي بين الناس وهي على أحسن أحوال العمل بالأخلاق الحميدة، فإذا رآها الناس ونظروا إلى سلوكها المستقيم سلكوا على منوالها؛ لأن التأثير بالأفعال أبلغ من التأثير بالأقوال؛ **قال ابن القيم**: "عَلَّمَاءُ السُّوءِ جَلَسُوا عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ يَدْعُونَ إِلَيْهَا النَّاسُ بِأَقْوَالِهِمْ، وَيَدْعُونَهُمْ إِلَى النَّارِ بِأَفْعَالِهِمْ، فَكَلَّمَا قَالَتْ أَقْوَالُهُمْ لِلنَّاسِ: هَلُمَّوْا، قَالَتْ أَفْعَالُهُمْ: لَا تَسْمَعُوا مِنْهُمْ؛ فَلَوْ كَانَ مَا دَعَا إِلَيْهِ حَقًّا كَانُوا أَوَّلَ الْمُسْتَجِيبِينَ لَهُ. فَهَمُ فِي الصُّورَةِ أَدْلَاءُ، وَفِي الْحَقِيقَةِ قَطَاعُ الطَّرْقِ"⁽¹⁾.

الثانية: كثرة العناية بنشر معارف الأخلاق الحسنة وعلومها عبر منابر متعددة: منبر الوعظ البيتي (التربية الأسرية)، منبر المسجد والتعليم الديني، منبر المدرسة والجامعة والنادي، منبر الإعلام ووسائل التواصل. وهذا يحتاج إلى اجتماع الجهود على المستويين: الرسمي، والشعبي.

وبعد هذا:

فلقد كان هذا الكتاب مشروعياً مدة طويلة من الزمن؛ فظللت أفكر فيه، وأجمع مادته وأرتبها، وأقسمها وأنقحها وأصوغها.

وبقي هذا العمل يراودني سنوات، ولم أجد -فيما أطلعت عليه من الكتب في هذا الباب - ما تطلبه نفسي، ويشبع نهمي، فالكتب في باب الأخلاق كثيرة:

(1) الفوائد (ص: 61).



بسيطة، ومتوسطة، ووجيزة-جزى الله مؤلفيها خير الجزاء-، لكنني كنت أريد مسلماً معيناً في الحديث عن الأخلاق، فكان هذا الكتاب.

ففي هذا الكتاب:

1- اقتصرت على الحديث عن الخلق الحسن فقط في كل الأخلاق التي ذكرتها، ولم أتعرض للحديث عن أصدادها؛ فالشيء يعرف بضده: (وبضدها تتميز الأشياء)، وحتى لا يطول الكتاب؛ ولذلك كان عنوان الكتاب هو "أخلاقنا"، فهذه أخلاقنا-نحن المسلمين- التي علينا التحلي بها، ودعوة الناس إليها.

2- تضمن الكتاب مادة منقولة كثيرة من: الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والآثار المروية، والقصص والأمثال والحكم والأشعار، وقد رُتبت في مواضعها المناسبة تحت عناوين وتقسيمات معينة، تعين القارئ على الوصول إلى موضوع كل منقول ومراده بيسر وسهولة.

3- يصلح الكتاب أن يكون مورداً للخطباء في خطبهم، والمحاضرين والمدرسين في محاضراتهم ودروسهم؛ فهو يجمع المادة العلمية من مصادر كثيرة متنوعة، ويصوغها بأسلوب قريب سهل، في تقسيمات محددة ومرتبة.

4- لم أسهب في شرح كثير من الاستنباطات من النصوص المنقولة تحت عناوين الكتاب؛ خشية الإطالة، والقارئ اللبيب ستفتح له آفاق متصلة بما يقرأه.

5 - كانت الخطه الموجزة للحديث عن كل خلق: أن أتحدث فيه عن: مدخل إليه، تعريفه -إذا كان يحتاج إلى تعريف-، أهميته، ثمراته، وسائل معينه على التحلي به، قدوة صالحة فيه، وقد أتحدث في بعض الأخلاق عن: تقسيمه وأنواعه، آدابه وأحكامه، أسبابه وموانعه، مجالاته ومواطنه، علاماته ومظاهره وصوره، عواقب التخلي عنه وأضراره، وقد أذكر أشياء أخرى.

6 - حرصت على توثيق النقول من مصادرها ومراجعتها.

7 - اقتصرت على الأحاديث المقبولة (الصحيح بنوعيه، والحسن بنوعيه)، وقد أذكر بعض الأحاديث المختلف في حكمها بين أهل الحديث، بيد أني أذكر من صحيحها أو ضعفها.

8 - ذكرت في الهامش تخريج الحديث بذكر رقمه من مصدره، وإذا كان الحديث خارج الصحيحين أو أحدهما أتبعته بحكم أهل الحديث عليه.

وقد اعتمدت في الحكم على تلك الأحاديث على أحكام هؤلاء الأئمة في هذا الفن: الترمذي، وابن السكن، وابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم، وابن عبد البر، والنووي، والذهبي، وابن كثير، وابن الملقن، والعراقي، والهيثمي، والبوصيري، وابن حجر، وأحمد شاكر، والألباني، وشعيب الأرنؤوط. رَحْمَهُمُ اللَّهُ رحمة واسعة.

9 - إذا ذكرت حكم الألباني والأرنؤوط على الأحاديث فإنني أذكر أين حكما عليها، فإذا لم أذكر ذلك وذكرت في التخريج في بعض السنن والصحاح



والمسانيد والمصادر الأخرى التي حكما على أحاديثها؛ فأكتفي بذلك، فإذا قلت: رواه أبو داود فلا أقول: وصححه الألباني في صحيح وضعيف أبي داود، أو ضعفه الأرناؤوط في تحقيقه لسنن أبي داود.

10- قدمت بين يدي الكتاب تمهيداً يشتمل على تسعة مطالب تتعلق بالأخلاق.

11- في عام (1427هـ) نظمت منظومة في الأخلاق بلغت أبياتها (106) أبيات، عنوانها: "دلائل الإشراف إلى مكارم الأخلاق"، اشتملت على سرد عدد كبير من الأخلاق الحسنة والتحذير من أضرارها، ثم في عام: (1443هـ، 2022م) شرحتها بشرح موجز بعنوان "نزهة المشتاق في شرح دلائل الإشراف إلى مكارم الأخلاق"، وقد طُبع الكتابان.

12- قسمت الأخلاق في هذا الكتاب إلى ثلاثة أقسام:

أ- الأخلاق مع الله تعالى، واحتوت على (14) خلقاً حسناً.

ب- الأخلاق مع النفس، واشتملت على (18) خلقاً حميداً.

ج- الأخلاق مع الناس، وضمت (28) خلقاً فاضلاً.

فكان ما جمع الكتاب بين دفتيه (60) خلقاً كريماً.

13- رتبت هذه الأخلاق في مجالاتها الثلاثة ترتيباً هجائياً، على النحو

الآتي:



أولاً: الأخلاق مع الله تعالى:

- 1- الإخلاص.
- 2- الاستغفار.
- 3- تقوى الله تعالى.
- 4- ذلتوبة إلى الله تعالى.
- 5- التوكل على الله تعالى.
- 6- حسن الظن بالله تعالى.
- 7- خشية الله تعالى.
- 8- الخوف من الله تعالى.
- 9- الدعاء.
- 10- ذكر الله تعالى.
- 11- الرجاء من الله تعالى.
- 12- شكر الله تعالى.
- 13- محبة الله تعالى.
- 14- مراقبة الله تعالى.

ثانياً: الأخلاق مع النفس:

- 1- الإتيقان.
- 2- التبين والتثبت.
- 3- التفاؤل.
- 4- التوسط.
- 5- حسن السمات.
- 6- الحياء.
- 7- الزهد في الدنيا.
- 8- الشجاعة.
- 9- الصبر.
- 10- عزة النفس.
- 11- العفة عن الفواحش.
- 12- علو الهمة.
- 13- الغيرة على النساء.
- 14- القناعة.



16- محاسبة النفس.

15- مجاهدة النفس.

18- الورع.

17- النظافة.

ثالثاً: الأخلاق مع الناس:

2- الإخاء.

1- الإحسان إلى الجيران.

4- الإصلاح بين الناس.

3- الاستئذان.

6- الأمانة.

5- إفشاء السلام.

8- بر الوالدين.

7- الإيثار.

10- التعاون على البر والتقوى.

9- البشاشة وطلاقة الوجه.

12- التواضع.

11- تفريج كرب المكروبين.

14- حفظ اللسان.

13- الجود والسخاء.

16- الستر على الناس.

15- الرحمة بالخلق.

18- شكر الناس.

17- سلامة الصدر.

20- صلة الأرحام والأقارب.

19- الصدق.

22- العفو والصفح وكظم الغيظ.

21- العدل.

24- قبول النصيحة.

23- غرض البصر.

26- مراعاة المشاعر.

25- كتمان الأسرار.

28- الوفاء.

27- النصح.

فهذا ما يسر الله -بمنه وتوفيقه، وله الحمد والشكر- الوصول إليه، ولا أخفي على القارئ الكريم أنني قد بذلت جهداً مضميناً في جمع المعلومات من مظانها، ومراجعتها وتصحيحها، وصياغة ما يحتاج إلى صياغة، وتوظيفها في أماكنها المحددة، وغير ذلك مما سيراه الناظر في سطور هذا الكتاب.

ولكن مع ذلك هو عمل بشري لا يخلو من الخطأ والنقص، لكن أسأل الله أن يغفر لي، وأن يتقبل مني.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

د. عبد الله بن عبده بن نعمان العواضي

3/11/1445 هـ، 5/11/2024 م.

تمهيد

هذا فصل تمهيدي بين يدي الكتاب يتحدث عن مسائل تتعلق بالأخلاق،
وقد جعلته في المطالب الآتية :

المطلب الأول : تعريف الأخلاق الحسنة لغة واصطلاحاً

المطلب الثاني : الأخلاق بين الطبع والاكْتِسَاب

المطلب الثالث : الأخلاق والإيمان

المطلب الرابع : مصادر الأخلاق الإسلامية

المطلب الخامس : مزايا الأخلاق الإسلامية

المطلب السادس : أسباب الانحراف عن الأخلاق الإسلامية

المطلب السابع : وسائل تنمية الأخلاق الحسنة

المطلب الثامن : المقصد الصحيح من التحلي بالأخلاق الحسنة

المطلب التاسع : عظمة خلق رسول الله ﷺ.



المطلب الأول:

تعريف الأخلاق الحسنة لغة واصطلاحاً



لغة:

(خَلَقَ) الخَاءُ وَاللَّامُ وَالْقَافُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا تَقْدِيرُ الشَّيْءِ... وَمِنْ ذَلِكَ الْخُلُقُ، وَهُوَ السَّجِيَّةُ؛ لِأَنَّ صَاحِبَهُ قَدْ قُدِّرَ عَلَيْهِ. وَالْخُلُقُ - بِضَمِّ اللَّامِ وَسُكُونِهَا -: الدِّينَ وَالطَّبْعَ وَالسَّجِيَّةَ، وَحَقِيقَتُهُ: أَنَّهُ لِصُّورَةِ الْإِنْسَانِ الْبَاطِنَةِ - وَهِيَ نَفْسُهُ وَأَوْصَافُهَا وَمَعَانِيهَا الْمُخْتَصَّةُ بِهَا - بِمَنْزِلَةِ الْخُلُقِ لِصُورَتِهِ الظَّاهِرَةِ وَأَوْصَافِهَا وَمَعَانِيهَا، وَلَهُمَا أَوْصَافٌ حَسَنَةٌ وَقَبِيحَةٌ، وَالثَّوَابُ وَالْعِقَابُ مِمَّا يَتَعَلَّقَانِ بِأَوْصَافِ الصُّورَةِ الْبَاطِنَةِ أَكْثَرَ مِمَّا يَتَعَلَّقَانِ بِأَوْصَافِ الصُّورَةِ الظَّاهِرَةِ؛ وَلِهَذَا تَكَرَّرَتْ الْأَحَادِيثُ فِي مَدْحِ حُسْنِ الْخُلُقِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ. وَالْخُلُقُ وَالْخُلُقُ فِي الْأَصْلِ وَاحِدٌ، كَالشَّرْبِ وَالشَّرْبِ، وَالصَّرْمِ وَالصَّرْمِ، لَكِنْ خَصَّ الْخُلُقُ بِالْهَيْئَاتِ وَالْأَشْكَالِ وَالصُّورِ الْمَدْرَكَةِ بِالْبَصَرِ، وَخَصَّ الْخُلُقُ بِالْقَوَى وَالسَّجَايَا الْمَدْرَكَةِ بِالْبَصِيرَةِ⁽¹⁾.

الأخلاق اصطلاحاً:

قال ابن مسكويه: "الخلق: حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية.

(1) ينظر: مقاييس اللغة (2/ 213)، المفردات في غريب القرآن (ص: 297)، النهاية في غريب الحديث والأثر (2/ 70).

وهذه الحال تنقسم إلى قسمين: منها ما يكون طبعياً من أصل المزاج كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو غضب، ويهيج من أقل سبب، وكالإنسان الذي يجبن من أيسر شيء كالذي يفزع من أدنى صوت يطرق سمعه أو يرتاع من خبر يسمعه وكالذي يضحك ضحكاً مفرطاً من أدنى شيء يعجبه وكالذي يغتم ويحزن من أيسر شيء يناله، ومنها ما يكون مستفاداً بالعادة والتدرب وربما كان مبدؤه بالروية والفكر ثم يستمر عليه أولاً فأولاً حتى يصير ملكة وخلقاً⁽¹⁾.

وقال الجرجاني: "الخلق: عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية.

فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعاً بسهولة، سميت الهيئة: خلقاً حسناً، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة، سميت الهيئة: خلقاً سيئاً.

وإنما قلنا: إنه هيئة راسخة؛ لأن من يصدر منه بذل المال على الندور بحالة عارضة لا يقال: خلقه السخاء، ما لم يثبت ذلك في نفسه، وكذلك من تكلف السكوت عند الغضب بجهد أو روية لا يقال: خلقه الحلم، وليس الخلق عبارة عن الفعل، فرب شخصٍ خلقه السخاء، ولا يبذل، إما لفقد المال أو لمانع، وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل، لباعث أو رياء⁽²⁾.

(1) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق (ص: 41).

(2) التعريفات (ص: 101). وينظر: إحياء علوم الدين (3/ 53).



وأما حسن الخلق على وجه الخصوص فقد قال الماوردي: "وحسن الخلق: أن يكون سهل العريكة، لين الجانب، طليق الوجه، قليل النفور، طيب الكلمة" (1).

وهذا تعريف بالثمرة لا بالحد، وقد ساق الغزالي تعريفات أخرى عن بعض الصحابة والتابعين وهي كالمثال وليست جامعة مانعة، وقبل ذكرها قال: "اعلم أن الناس قد تكلموا في حقيقة حسن الخلق وأنه ما هو، وما تعرضوا لحقيقته، وإنما تعرضوا لثمرته، ثم لم يستوعبوا جميع ثمراته، بل ذكر كل واحد من ثمراته ما خطر له، وما كان حاضراً في ذهنه، ولم يصرفوا العناية إلى ذكر حده وحقيقته المحيطة بجميع ثمراته على التفصيل والاستيعاب..." (2).

وبعد ذلك شرع في الحديث عن التعريف بالحد الذي ارتضاه، لكنه ساقه في كلام طويل (3).

وإذا جننا إلى بيان حد الأخلاق الحسنة بالمعنى العام الذي سنسير عليه في هذا الكتاب؛ فيمكن أن نقول: إن الأخلاق الحسنة هي: هيئة راسخة في النفس تدعو الإنسان إلى القيام بالأعمال الصالحة الباطنة، والأفعال المرتبطة بصلاح النفس واستقامتها الظاهرة، والسلوك الحسن مع الناس الذي به بذل المعروف لهم وكف الأذى عنهم.

(1) أدب الدنيا والدين (ص: 243).

(2) إحياء علوم الدين (52 / 3).

(3) إحياء علوم الدين (53 / 3).

المطلب الثاني: الأخلاق بين الطبع والاكتساب

إذا تأمل الإنسان في أخلاق البشر الحسنة يجد أنها تنقسم إلى قسمين:
الأول: أخلاق جبلية فُطر عليها الإنسان بعامل الخلقة الصرفة، أو عامل الوراثة
العابر من الآباء إلى الأبناء، والثاني: أخلاق مكتسبة يأخذها الإنسان من طرق
متعددة.

ومما يدل على هذا: الدليل الاستقرائي، والدليل النصي:

فأما الأول: فإننا نجد في أهل الجاهلية من كان ذا أخلاق حسنة، وصفات
حميدة؛ كالصدق والوفاء وحسن الجوار والشجاعة والجود وحفظ العهود،
وغير ذلك.

وأما الثاني: فقد دلت عليه نصوص منها: قول رسول الله ﷺ
لأشج عبد القيس: (إِنَّ فِيكَ خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاءُ)، قال: يا رسول
الله، أنا أَتَخَلَّقُ بهما أم الله جَبَلَنِي عليهما؟ قال: (بل الله جَبَلَكَ عليهما)، قال:
الحمد لله الذي جَبَلَنِي على خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ ورسوله⁽¹⁾.

(1) رواه أحمد (17828)، والبخاري في الأدب المفرد (584)، وأبو داود (5225)، والنسائي في
الكبرى (7699)، وابن حبان (4541)، والبيهقي في الشعب (8560)، وأبو يعلى (6848)،
وابن أبي شيبه (25342)، والخرائطي في مكارم الأخلاق (29)، والطبراني في الكبير (5313)
والأوسط (418)، وصححه ابن حبان وحسنه الألباني.



وقوله صلى الله عليه وسلم: (النَّاسُ مَعَادِنٌ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ، إِذَا فُقُّهُوا) (1).

ولهذا جاء في الحديث المشهور **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ) (2).

وفي رواية: (مكارم الأخلاق) (3).

وفي رواية: (حسن الأخلاق) (4).

قال المناوي: " فالأخلاق موضوعة في الطبع ومعقلها في الصدر، والأخلاق منها ما هو جبليّ تفضل الله بها على عبيده على قدر منازلهم عنده، فمنح أنبياءه منها، فمنهم من أعطاه منها خمسا، ومنهم من أعطاه منها عشرا، أو عشرين، وأكثر من ذلك، وأقل، فمن زاده منها ظهر حسن معاملته ربه، وحسن معاملته خلقه على قدر تلك الأخلاق، ومن نقصه منها ظهر عليه ذلك؛ ولهذا ورد في الحديث الذي رواه مالك في الموطأ: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)

(1) رواه البخاري (3383)، ومسلم (2378).

(2) رواه أحمد (8952)، والبخاري في الأدب المفرد (273)، والبيهقي في الآداب (153)، والخرائطي في مكارم الأخلاق (1)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (4432)، وابن أبي شيبه (31773)، والحاكم (4221) **وقال:** "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ" **ووافقه الذهبي**، وصححه ابن عبد البر. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (334 / 24).

(3) رواه البيهقي في الكبرى (20782)، والبزار (8949).

(4) رواه مالك في الموطأ (686).



فأخبرنا بقوله هذا أن الرسل قد مضت، ولم تتمم هذه الأخلاق، كأنه بقيت عليهم من هذا العدد بقية، فأمر أن يتممها، فأعلمنا في قوله هذا أن تلك الأخلاق التي كانت في الرسل فيه، ثم هو مبعوث لإتمام ما بقي منها؛ ليقدّم على الله جل ذكره بجميع أخلاقه التي ذكرها، فلا يجوز لنا أن نتوهم عليه أنه بعث لأمر ففقد على ربه وهو غير متمم له. ومنها ما يكون بطرق الكسب والتعود، وتكلف النفس، وبعثها على ذلك حتى تعتاد نفسه ذلك، ومن كان هذا حاله كان تخلقه طهارة لصدرة وقلبه من دنس الخلق السيئ الذي هو ضد هذا الخلق، فإذا تطهر من سيئ الأخلاق لتخلقه بمحاسن الأخلاق بجهد وكدّ شكر الله له ذلك، وأدخله الجنة برحمته وعفوه" (1).

وقال الباجي: "يحتمل أن يريد به: بعثت بالإسلام لأتمم شرائعه، وحسن هديه وزيه وسمته حسن الأخلاق؛ لأن العرب وإن كانت أحسن الناس أخلاقاً بما بقي عندهم مما تقدم من الشرائع قبلهم، فقد كانوا أضلوا بالكفر عن كثير منها، ومنها: ما خص به نبينا ﷺ فتتم بالأمرين محاسن الأخلاق" (2).

وقال ابن الأمير في شرح هذا الحديث: " (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق) أي: التي جبل الله عباده عليها من الوفاء والمروءة والحياء والعفة، ولما قد علمهم رسل الله من قبل قيل: الأخلاق هي صلاح الدين والدنيا

(1) الإتحافات السننية بالأحاديث القدسية ومعه النفحات السلفية بشرح الأحاديث القدسية (ص: 132).

(2) المنتقى شرح الموطأ (7/ 213).



والمعاد التي جمعها في قوله: (اللهم أصلح لي دنياي التي فيها معاشي وأصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي)" (1).

وقال القاري: "الأظهر أن الأخلاق كلها كانت ناقصة فيمن قبلنا، وإنما كملت في ديننا ببركة نبينا ﷺ ولذا قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 110] الآية" (2).

إذا تبين هذا فإن الأخلاق الجبلية الحسنة لا تكفي ليصبح المسلم تام الخلق، مستقيم السلوك كله، بل تحتاج إلى اكتساب مستمر حتى تثبت وتعتدل وتكثر، وذلك عن طريق التعلم والاقتداء والاعتبار.

ومناهل اكتساب ذلك كثيرة: منها: التربية البيئية والأسرية، وسلامة البيئة المجتمعية المحيطة، والتربية التعليمية عن طريق المدرسة والجامعة والمسجد ووسائل التواصل والإعلام الصالحة.

(1) التنوير شرح الجامع الصغير (4/ 190).

(2) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (8/ 3182).

المطلب الثالث: الأخلاق والإيمان

الأخلاق في الإسلام تقوم على أرض راسخة لا ترزعزعها تقلبات الأحوال، ولا تغير القوانين، ولا تقبل الذوبان في تباين المصالح وانقطاعها؛ لهذا نجد أن الأخلاق الحسنة مرتبطة بالدين والإيمان أيما ارتباط، وهذا واضح تمام الوضوح في كثير من نصوص القرآن والسنة، **ومن الأمثلة على ما نقول:**

أولاً: نجد في القرآن الحث على أخلاق صالحة ويستعمل في التحريض عليها وصف الإيمان؛ **قال تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102].

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 200].

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: 1].

ثانياً: أن القرآن جعل الأخلاق الحسنة من أعمال البر والصدق والتقوى؛ **قال تعالى:** ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: 177].



وفي سنة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ نجد أن نبينا الكريم:

1- بين ثمرات حسن الأخلاق يوم القيامة، كما ذكرنا في المقدمة. وكما سيأتي أيضًا.

2- ربط بين الإيمان وحسن الأخلاق في كون الإيمان هو الداعي إليها، وكمال كمال لها، وأن تركها أو القصور فيها سببه ضعف الإيمان:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا) (1).

وقال ﷺ: (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ) (2). وفي مسلم: (أَوْ قَالَ: لِجَارِهِ).

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ) (3).

وفي رواية: (فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ) (4).

وفي رواية: (فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ) (5).

(1) رواه أحمد (7402)، وأبو داود (4682)، والترمذي (1162)، والبيهقي في الكبرى (20783)، وابن حبان (479)، والطبراني في الأوسط (4420)، والدارمي (2834)، والبزار (7945)، وابن أبي شيبة (25321)، والخرائطي في مكارم الأخلاق (18)، والحاكم (1) وسكت عنه **وقال الذهبي: "هو صحيح"**، **قال الهيثمي: "رواه أحمد، وفيه محمد بن عمرو، وحديثه حسن، وبقي رجاله رجال الصَّحيح"**، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (4/303).

(2) رواه البخاري (13)، ومسلم (45).

(3) رواه البخاري (5185)، ومسلم (47).

(4) رواه البخاري (6019)، ومسلم (47).

(5) رواه مسلم (48).



وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصُمْتُ) (1).

وقال رسول الله ﷺ: (لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ) (2).

ونحن لا ننكر أن في الجاهلية رجالاً ذوي أخلاق حسنة، وأن لدى بعض الكفار أو الفسقة اليوم صفات جيدة من مكارم الأخلاق، غير أن تلك الأخلاق لديهم في الجملة: أخلاق وافقت الطبع والهوى، وهي ناقصة غير كاملة، خاصة غير عامة، في العلن وقد تنتهي في السر، وليس فيها عوامل الاستمرار والثبات إذا انقطعت المصالح، وتغيرت الأحوال، وغابت القوانين.

أما المسلم الذي يأخذ أخلاق دينه كما هي فيه؛ فإنه يلتزم بها كلها على أنها من الإيمان والدين الذي ينتظر جزاءه من رب البشر لا من البشر، ولو خالفت طبعه وهواه، ويتمسك بها كلها مع ربه، ومع نفسه، ومع الخلق، في سره وعلنه، راقبه الناس أو غابوا عنه، أرضوه أم أغضبوه، اتصلت المصالح أو انقطعت.

فمن قصر عن هذا من المسلمين فهو من نقص إيمانه وضعف دينه. وهذا يجعل للأخلاق الحسنة في الإسلام ميزة لا توجد في غيره من الأديان والشرائع الاجتماعية البشرية والأخلاق الشخصية الإنسانية.

(1) رواه البخاري (6136)، ومسلم (48).

(2) رواه أحمد (12383)، وابن حبان (194)، والبيهقي في الشعب (4045)، والطبراني في

الأوسط (5923)، وأبو يعلى (2863)، والبزار (7196)، وابن أبي شيبة (30320)،

والخراطي في مكارم الأخلاق (162)، وصححه الألباني وحسنه الأرنؤوط.



المطلب الرابع: مصادر الأخلاق الإسلامية

حين ننظر في الأخلاق الإسلامية الحسنة نجد أنها جنى طيب استمد من مصادر صالحة شتى، منها:

أولاً: القرآن الكريم: فالقرآن مصدر الهداية، ومنبع الرشاد إلى كل خير، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: 9].

ففي أوامره ونواهيه ما يدعو إلى التمسك بالخلق الكريم، والتحذير من الخلق الذميم، وقد نجد ذلك صريحاً كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 90].

قال ابن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: "أجمع آية في القرآن لخيرٍ وشرٍ آية في النحل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ...﴾ الآية" (1).

"وروي عن عثمان بن مظعون **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، أنه قال: لما نزلت هذه الآية، قرأتها على أبي طالب، فعجب، وقال: يا آل غالب، اتبعوه تفلحوا؛ فو الله إن الله أَرْسَلَهُ لِيَأْمَرَ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ" (2).

(1) الهداية الى بلوغ النهاية (6 / 4073).

(2) تفسير الثعالبي (3 / 439).



"وقال سعيد عن قتادة: قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ الآية، ليس من خلق حسن كان أهل الجاهلية يعملون به ويستحسنونه إلا أمر الله به، وليس من خلق سيئ كانوا يتعايرونه بينهم إلا نهى الله عنه وقدم فيه. وإنما نهى عن سفاسف الأخلاق ومذامها"⁽¹⁾.

وقد نجد الحث على الأخلاق الحسنة في القرآن غير صريح، وإنما تشير إليه الآيات إشارة في حكم تشريعي، أو قصة قرآنية، أو موعظة إيمانية.

ثانيًا: السنة النبوية: السنة النبوية هي: أقوال رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** وأفعاله وتقريراته، وهي مليئة بالنصوص القولية التي تأمر بمكارم الأخلاق، وتنهى عن سفاسفها، ومليئة بالمواقف النبوية الخالدة التي تجسدت فيها الأخلاق الحميدة في سيرته العطرة، وستمر بنا شواهد كثيرة في الحديث عن كل خلق.

ثالثًا: العقل الصريح: فالعقل النقي الوافر يستملح الأخلاق الحسنة فيدعو صاحبه إلى التحلي بها، ويستقبح الأخلاق الرديئة فيحذره من الاتصاف بها، وما سمي العقل عقلاً إلا لأنه يعقل صاحبه عن القبائح، كما يعقل العقل البعير.

قال الماوردي: "العقل الذي جعله الله تعالى للدين أصلاً، وللدنيا عماداً، فأوجب الدين بكماله وجعل الدنيا مدبرة بأحكامه، وألف به بين خلقه مع اختلاف همهم ومآربهم، وتباين أغراضهم ومقاصدهم"⁽²⁾.

(1) تفسير ابن كثير (4/ 596).

(2) أدب الدنيا والدين (ص: 17).



فالعقل الراجح نور يرى به صاحبه الأخلاق فيأخذ بأحسنها ويدع أسوأها، وأعقل الناس أحسنهم أخلاقاً، ومن ساء خلقه ففي عقله شيء.

رابعاً: الآباء والأجداد: إذا كان الآباء والأجداد على سيرة حسنة وأخلاق قويمية، وهي معلومة لدى الأبناء والأحفاد، فإن ذلك العاقل منهم يجعل تلك الأخلاق الأبوية مصدراً في أخلاقه، يميل إليها ولا يميل عنها.

قال الشاعر:

ورثوا المكارم كابراً عن كابر وإليهم بالصالحات يشار⁽¹⁾.

وقال الآخر:

ورثوا السيادة كابراً عن كابر إن الخيار هم بنو الأخيار⁽²⁾.

وقال الآخر:

شرفٌ تتابع كابرًا عن كابر كالرمح أنبوباً على أنبوب وأرى النجابة لا يكون تمامها لنجيب قوم ليس بابن نجيب⁽³⁾.

خامساً: سير الصالحين: الأحياء والأموات: فإن السير الصالحة تعد مورداً مهماً من موارد الأخلاق الحسنة، ففي صفحات أيام أهلها مواقف هادية، وأحوال صالحة، وأقوال مشرقة تدعو إلى مكارم تقتفى، ومساوئ تتقى.

(1) البصائر والذخائر (55 / 6).

(2) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادى (10 / 123).

(3) المنتحل (ص: 52).

وكم من إنسان استقام خلقه بقراءة تلك السير العطرة في كتب التراجم والأدب والرقائق، وهذا في الأموات.

وكذلك في الأحياء هناك ناس صالحون تعد أخلاقهم الطيبة قدوة للناس يرونهم أو يسمعون عنهم فيتأثرون بهم فتصلح أخلاقهم.

سادساً: الأدب العربي النظيف: يحفل الأدب العربي النقي بشروة أخلاقية غزيرة: في قصصه وأمثاله، وخطبه وأشعاره، وأقوال أعلامه ومآثرهم، فتعد تلك الشروة مادة غنية ترقق الطبع وتهذب السلوك، وتصلح التفكير والعمل.

قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الشعر يسكن به الغيظ، وتطفأ به النائرة، ويتبَلَّغ به القوم في ناديمهم، ويعطى به السائل. وقال: نعم الهدية للرجل الشريف الأبيات يقدمها بين يدي الحاجة يستعطف بها الكريم ويستنزل بها اللئيم. وقال عبد الملك: تعلّموا الشعر؛ ففيه محاسن تُبتغى ومساوئ تتقى ⁽¹⁾.

سابعاً: القانون السلطوي: فبعض الناس ليس له دافع داخلي نحو الخلق الكريم، أو أن دافعه إليه ضعيف، لكن هناك قانون بشري عام في دولة، أو خاص في شركة أو وظيفة خاصة؛ يلزم الناس بلزوم أخلاق حسنة معينة، ويرتب على ذلك عقوبات لمن يخالف ذلك القانون السائد، وهذا يجعل أولئك الناس يلتزمون تلك الأخلاق، وربما مرت عليهم سنون وهم على ذلك حتى تصبح خلقاً ثابتاً مع الأيام.

(1) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء (1/ 106).



وصدق عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم أن قال: "إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن" (1).

(1) الاقتضاب في غريب الموطأ وإعرابه على الأبواب (1/ 467).



المطلب الخامس: مزايا الأخلاق الإسلامية

تمتاز الأخلاق الإسلامية بمزايا خاصة تجعلها هي الأخلاق التي لا يصلح لاستقامة حياة البشر سواها، **ومن تلك المزايا:**

1- **أنها ربانية المصدر: فمصدرها:** القرآن كلام الله، والسنة التي هي وحي من عند الله على لسان رسوله.

وهذا يجعل هذه الأخلاق محل اطمئنان في اقتباسها، وقناعة في العمل بها؛ لسلامة ذلك المصدر المعصوم.

وأما استمدادها من أعمال البشر الصالحين وأقوالهم فهو لموافقتها للوحي.

2- **موافقتها للعقل والفطرة:** فليس في الأخلاق الإسلامية ما يرفضه العقل السليم؛ لبشاعته، أو عدم صلاحيته، بل هي مما يدعو إليه ويحث عليه.

وليس فيها كذلك مباينة للفطرة السليمة، بل هي تلبي مطالبها، وتحقق لها ما ترنو إليه.

3- **التمام والشمولية:** فهي أخلاق تامة لا تبحث الحياة عن زيادة عليها في ظروفها ومجالاتها المختلفة؛ لأنها شملت أداء حق الله، وحق النفس، وحق



الخلق، ولأنها حاضرة في الحياة الشخصية، والحياة العامة، وحاضرة كذلك في جميع شؤون الحياة: السياسية، والاقتصادية، والثقافية، والاجتماعية، والأسرية.

وهي كذلك ترافق الإنسان في جميع ظروفه وأحواله: في سره وعلنه، وحضره وسفره، وفرحه وحزنه، وصحته ومرضه، وغير ذلك.

4-الوسطية: فالأخلاق الإسلامية ليس فيها غلو يمل النفس، ويدعو إلى الضيق في الامتثال، فيؤدي إلى الترك.

وليس فيها تفريط فتبقى جوانب شاغرة لا أخلاق فيها، فيكثر فيها الشر والفساد.

5-الثبات والصلاح لكل زمان ومكان: فهي أخلاق ثابتة؛ لأن عناصر الخلود والصلاح قائمة فيها ما قامت الحياة؛ لكونها عن الوحي المعصوم؛ ولهذا هي صالحة للامتثال في كل زمان ومكان وإن تغيرت مظاهر الحياة فيها، وتعاقب أهلها، وتعددت بيئاتهم.

6-ارتباطها بالجزاء الآخروي: فهي أخلاق تجعل ممثليها غير ناظر إلى الجزاء الدنيوي، فلا يهتم في امتثالها رضا الناس أو غضبهم، ولا شكرهم ولا جحودهم؛ لأنهم ليسوا المقصودين على الحقيقة، بل هم -إن تعلق الأخلاق بهم- طريق إلى نيل رضوان الله وثوابه، وهذا يجعل المتحلي بها يستمر عليها، ويريح نفسه بالاطمئنان من انتظار ردود أفعال الناس.



المطلب السادس:

أسباب الانحراف عن الأخلاق الإسلامية

لزوم الأخلاق الحسنة للإنسان خير كبير في عاجل أمره وآجله، وقد تمر بالإنسان سنون أو أوقات يكون على درجة عالية من الخلق الكريم، غير أنه ينحرف عن ذلك بعد أن كان على الجادة، فما أسباب ذلك:

1 - كثرة المعاصي: فإن من عقاب المعصية المعاصي بعدها، كما قال بعض السلف: "إنَّ من عقوبة السيئة السيئة بعدها، وإنَّ من ثواب الحسنة الحسنة بعدها"⁽¹⁾.

فإذا تواترت الذنوب طمست نور القلب فأظلمت الأخلاق وتغيرت الطباع.

2 - جلساء السوء والبيئة الفاسدة: فقد يبقى المرء محافظاً على سلامة أخلاقه في كنف الرفقة الطيبة، والمجتمع النقي، فإذا جالس جلساء سيئين تأثر بسوء أخلاقهم بطول الصحبة والسكوت عن مساوئهم، والطباع نقالة. وكذلك البيئة فإذا عاش الإنسان في بيئة - الأسرة - المدرسة - الحارة - المجتمع - لا تعرف للأخلاق الكريمة قدراً؛ تأثر مع مرور الزمن بها، إلا إذا كانت له طبيعة نافرة تنكر ما تسمعه وتشاهده من منكرات الأخلاق.

(1) الجواب الكافي (1/ 139).



عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: (مثل المجلس الصالح والسوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك: إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحا خبيثة) (1).

3- أن تكون أخلاق الإنسان الحسنة لأجل مصلحة وقد انتهت تلك المصلحة: فإذا كان المرء حسن الأخلاق في ظل مصالح معينة، وليس تديناً ولا تخلقاً عن قناعة؛ فإن تلك الأخلاق تبقى ما بقيت تلك المصالح، فمتى ما ذهبت تلاشت فساء خلقه. فيتبين ممن هذه حاله أن أخلاقه مصلحة ضيقة، وليست أخلاقاً إسلامية أو شخصية محمودة.

4- الحصول على مغنم بتركها: هناك من الناس من لا ترسخ الأخلاق في نفوسهم، فأقل ربح مصلحة تمر بها تأخذ معها تلك الأخلاق فتبقى النفوس خاوية منها، فتستبدل بها سوء الأخلاق وفساد السلوك. وكم في الدنيا من شهوات تتخطف الإنسان عن خلقه الكريم.

غير أن من الناس من يستجيب ويضعف، ومنهم من يصبر ويثبت.

5- الحسد: فقد يكون هناك أصدقاء تجمعهم المودة وطيب الأخلاق، ولكن قد ينعم الله على أحدهم بنعمة حادثة يتميز بها على بقية خلانه، فحينئذ يحقد عليه بعضهم فيصبح يعامله بجفاء وسوء أخلاق؛ حسداً له؛ لما نال من النعم.

(1) رواه البخاري (5534)، ومسلم (2628).



6- الإعلام ووسائل التواصل غير النزيهة: فكم من ذي خلق حسن، وطبع لطيف، وسلوك مستقيم غيره الإعلام السيء الذي يتابعه، وساءت أخلاقه بسبب وسائل التواصل التي أساء استعمالها.

7- وللمأوردي أسباب أخرى ذكرها مبيناً أنها تحدث انحراف الإنسان عن خلقه: يقول رَحِمَهُ اللهُ: "وربما تغير حسن الخلق وَالْوَطْأُ إِلَى الشَّرَاسَةِ والبذاء لأسباب عارضة، وأمور طارئة، تجعل اللين خشونة، والوطاء غلظة، والطلاق عبوساً. فمن أسباب ذلك:

الولاية التي تحدث في الأخلاق تغيراً، وعلى الخلطاء تنكراً، إما من لؤم طبع، وإما من ضيق صدر. وقد قيل: من تاه في ولايته ذل في عزله. وقيل: ذل العزل يضحك من تيه الولاية.

ومنها: العزل؛ فقد يسوء به الخلق ويضيق به الصدر، إما لشدة أسف أو لقلّة صبر.

حكى حميد الطويل أن عمار بن ياسر عزل عن ولاية فاشتد ذلك عليه، وقال: إني وجدتها حلوة الرضاع، مرة الفطام.

ومنها: الغنى؛ فقد تتغير به أخلاق اللّثيم بطراً، وتسوء طرائقه أشراً. وقد قيل: من نال استطال.

وأنشد الرياشي:

عَظْبَانُ يَعْلَمُ أَنَّ الْمَالَ سَاقٌ لَهُ مَا لَمْ يَسْقُهُ لَهُ دِينَ وَلَا خُلُقُ



فَمَنْ يَكُنْ عَنْ كِرَامِ النَّاسِ يَسْأَلُنِي فَأَكْرَمُ النَّاسِ مَنْ كَانَتْ لَهُ وَرِقٌ

وقال بعض الشعراء:

فَإِنْ تَكُنِ الدُّنْيَا أَنَا لَتَكْ ثَرَوَةٌ فَأَصْبَحْتَ ذَا يُسْرِ وَقَدْ كُنْتَ ذَا عُسْرِ
لَقَدْ كَشَفَ الْإِثْرَاءُ مِنْكَ خَلَائِقًا مِنَ اللُّؤْمِ كَانَتْ تَحْتَ ثَوْبٍ مِنَ الْفَقْرِ

وبحسب ما أفسده الغنى كذلك يصلحه الفقر.

وكتب قتيبة بن مسلم إلى الحجاج: أن أهل الشام قد التاثوا عليه. فكتب إليه: أن اقطع عنهم الأرزاق، ففعل. فساءت حالهم، فاجتمعوا إليه فقالوا: أقلنا. فكتب إلى الحجاج فيهم فكتب إليه: إن كنت أنست منهم رشداً فأجر عليهم ما كنت تجري. واعلم أن الفقر جند الله الأكبر يذل به كل جبار عنيد يتكبر.

ومنها: الفقر؛ فقد يتغير به الخلق إما أنفة من ذل الاستكانة، أو أسفاً على فائت الغنى.

قال أبو تمام الطائي:

وَأَعْجَبُ حَالَاتِ ابْنِ آدَمَ خَلْقُهُ يَضِلُّ إِذَا فَكَّرَتْ فِي كُنْهِهِ الْفِكْرُ
فَيَفْرَحُ بِالشَّيْءِ الْقَلِيلِ بِقَاؤُهُ وَيَجْزَعُ مِمَّا صَارَ وَهَوْلُهُ دُخْرُ

وربما تسلى من هذه الحالة بالأمان، وإن قل صدقها.

فقد قيل: قلما تصدق الأمانة. ولكن قد يعتاض بها سلوة من هم أو مسرة

برجاء. وقد قال أبو العتاهية:

حَرَّكَ مُنَاكَ إِذَا اغْتَمَمْتُ ————— تَفْلِيحُنَّ مَرَاوِحُ



وقال آخر:

إِذَا تَمَنَّيْتُ بِتُّ اللَّيْلَ مُغْتَبِطًا إِنَّ الْمُنَى رَأْسُ أَمْوَالِ الْمَفَالِيسِ

ومنها: الهموم التي تذهل القلب، وتشغل القلب، فلا تتبع الاحتمال ولا تقوى على صبر. وقد قيل: الهمُّ كالسم. وقال بعض الأدباء: الحزن كالداء المخزون في فؤاد المحزون.

وقال بعض الشعراء:

هُمُومُكَ بِالْعَيْشِ مَقْرُونَةٌ فَمَا تَقْطَعُ الْعَيْشَ إِلَّا بِهِمْ
إِذَا تَمَّ أَمْرٌ بَدَا نَقْصُهُ تَرَقَّبَ زَوَالًا إِذَا قِيلَ تَمْ
إِذَا كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ فَارْعَهَا فَإِنَّ الْمَعَاصِيَ تُزِيلُ النِّعَمَ
وَحَامِ عَلَيْهَا بِشُكْرِ الْإِلَهِ فَإِنَّ الْإِلَهَ سَرِيعُ النِّقَمِ
حَالَاوَةٌ دُنْيَاكَ مَسْمُومَةٌ فَمَا تَأْكُلُ الشَّهْدَ إِلَّا بِسْمِ
فَكَمْ قَدَرِ دَبَّ فِي مُهْلَةٍ فَلَمْ يَعْلَمْ النَّاسُ حَتَّى هَجَمَ

ومنها الأمراض التي يتغير بها الطبع ما يتغير بها الجسم، فلا تبقى الأخلاق على اعتدال ولا يقدر معها على احتمال.

وقد قال المتنبي:

آلَةُ الْعَيْشِ صِحَّةٌ وَشَبَابٌ فَإِذَا وَلَّى عَنِ الْمَرِّ وَلَّى
وَإِذَا الشَّيْخُ قَالَ أَفٍّ فَمَا مَلَّ حَيَاءً وَإِنَّمَا الضَّعْفُ مَلًّا



لَمْ تَجِدْ مِنَ النَّاسِ كُفًّا ذَاتُ خِذْرٍ أَرَادَتْ الْمَوْتَ بَعْلًا
أَبَدًا تَسْتَرِدُّ مَا تَهَبُ الدُّنْيَا فَيَا لَيْتَ جُودَهَا كَانَ بُخْلًا

ومنها: علو السن وحدوث الهرم؛ لتأثيره في آلة الجسد، كذلك يكون تأثيره في أخلاق النفس، فكما يضعف الجسد عن احتمال ما كان يطيقه من أثقال، فكذلك تعجز النفس عن أثقال ما كانت تصبر عليه من مخالفة الوفاق، ومضيق الشقاق. وكذلك ما ضاهاه.

وقال منصور النمري:

مَا كُنْتُ أَوْفِي شَبَابِي كُنْهَ عِزَّتِهِ حَتَّى مَضَى فَإِذَا الدُّنْيَا لَهُ تَبَعُ
أَصْبَحْتَ لَمْ تُطْعِمِي ثُكُلَ الشَّبَابِ وَلَمْ تَشْجِي لِعِصَّتِهِ فَالْعُذْرُ لَا يَقَعُ
مَا كَانَ أَقْصَرَ أَيَّامِ الشَّبَابِ وَمَا أَبْقَى حَلَاوَةَ ذِكْرَاهُ الَّتِي تَدْعُ
مَا وَاجَهَ الشَّيْبَ مِنْ عَيْنٍ وَإِنْ رَمَقَتْ إِلَّا لَهَا بَبْوَةٌ عَنْهُ وَمُرْتَدْعُ
قَدْ كَذَبْتَ تَقْضِي عَلَى قَوْتِ الشَّبَابِ أَسَى لَوْلَا يُعَزِّيكِ أَنَّ الْعُمَرَ مُنْقَطِعُ

فهذه سبعة أسباب أحدثت سوء خلق كان عاما.

وها هنا سبب خاص يحدث سوء خلق خاص **وهو البغض** الذي تنفر منه النفس فتحدث نفورا على المبغض، فيؤول إلى سوء خلق يخصه دون غيره. فإذا كان سوء الخلق حادثا بسبب كان زواله مقرونا بزوال ذلك السبب، ثم بالضد⁽¹⁾.

(1) أدب الدنيا والدين (ص: 244).

المطلب السابع:

وسائل تنمية الأخلاق الحسنة

الخلق الحسن لدى الإنسان بفعل الجبلة، أو الاكتساب غير المستمر؛ لا يكفي لتكامل مكارم الأخلاق في النفس، بل يحتاج إلى تنمية واستزادة؛ حتى يحافظ على الرصيد السابق الذي هو رأس المال، ويضيف إليه تقويماً وتنويعاً وتوسيعاً.

فمن الوسائل المعينة على هذه الغاية :

1- تقوية الإيمان: فإن الإيمان إذا صح وقوي دعا صاحبه إلى حسن الأخلاق، وجميل العشرة، فمن كان أقوى إيماناً كان أقوى في الأخلاق الحسنة.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا) (1).

2- مجاهدة النفس وهواها: فالنفس الإنسانية أمارة بالسوء، خاذلة لصاحبها عن بلوغ المعالي، فإذا أخذها بالحزم والقسر وجاهدتها وخالف أهواءها،

(1) رواه أحمد (7402)، وأبو داود (4682)، والترمذي (1162)، والبيهقي في الكبرى (20783)، وابن حبان (479)، والطبراني في الأوسط (4420)، والدارمي (2834)، والبزار (7945)، وابن أبي شيبة (25321)، والخرائطي في مكارم الأخلاق (18)، والحاكم (1) وسكت عنه وقال الذهبي: "وهو صحيح"، قال الهيثمي: "رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَفِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، وَحَدِيثُهُ حَسَنٌ، وَبَيَّحَهُ رِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ"، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (4/ 303)



وقادها بزمامها نحو طريق الأخلاق الحميدة؛ انقادت له ولزمت متابعة السير، وبذلك تزكو فينال بها الفلاح، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الشمس: 9].

قال بعض الأدباء: "ليحسن تعاهدك نفسك بما تكون به للخير أهلاً، فإنك إذا فعلت ذلك أتاك الخير يطلبك كما يطلب الماء السيل إلى الحدورة" (1).

وقال أيضاً: "فلتحسن تعاهدك لنفسك؛ فإنك إذا فعلت ذلك جاءك الخير يطلبك كما يطلب الماء انحداره. وإنما جعل الفضل للحازم البصير بالأمور، وأما الكسلان المتردد فإن الفضل لا يصحبه" (2).

ويدخل في هذا إرغام النفس ورياضتها وتكليفها التخلق بما يجمل، ومجاهدتها على الاستمرار والصبر عليه

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ) (3).

والمعنى أن هذا: "لا يحصل إلا ببسط النفس وحثها عليه ومجاهدتها على الاتصاف به" (4).

(وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ) (5).

(1) الأدب الصغير (ص: 73).

(2) كلیلة ودمنة (ص: 193).

(3) رواه الطبراني في الأوسط (2663) والكبير (929)، والبيهقي في الشعب (10254)، وحسنه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (1/136).

(4) التنوير شرح الجامع الصغير (4/186).

(5) رواه البخاري (1469)، ومسلم (1053).

قوله: (ومن يستغف) أي: من طلب العفة عن السؤال، ولم يظهر الاستغناء عن الخلق، ولم يقبل إن أعطي؛ فهو هو؛ إذ الصبر جامع لمكارم الأخلاق (ومن يستغن) أي: ومن يظهر الاستغناء (يعفه الله) أي: يرزقه الله العفة، أي: الكف عن الحرام... **قوله:** (ومن يتصبر) أي: من يعالج الصبر، وهو ما باب: التفعّل، فيه معنى التكلف (يصبره الله) أي: يرزقه الله صبرا⁽¹⁾.

وقال ابن حزم: " فلم أزل بالرياضة، واطلاعي على مَا قَالَتِ الْأَنْبِيَاءُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَالْأَفْضَلُ مِنَ الْحُكَمَاءِ الْمُتَأَخِّرِينَ وَالْمُتَقَدِّمِينَ فِي الْأَخْلَاقِ، وَفِي آدَابِ النَّفْسِ؛ أَعَانِي مَدَاوَاتُهَا، حَتَّى أَعَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى أَكْثَرِ ذَلِكَ بِتَوْفِيقِهِ وَمَنْهُ " ⁽²⁾.

3 - تعلم العلم النافع الذي يزكي النفس ويثري العقل: فالعلم بدين الله القائم على الوحي يبين لطالبه ما يتحلى به من الأخلاق وما يدعه، وبذلك يفارق المتعلم الجاهل، فليس من علم كمن جهل.

فالأخلاق دين ومعارف تحتاج إلى تتبعها في مظانها، ومظانها على قسمين: الأول: علم القرآن والسنة، والثاني: علم الأخلاق، فقد دونت فيه أسفار، فحشدت أدلته، وقعدت قواعده.

قال الشاعر:

وَفِي الْجِلْمِ وَالْإِسْلَامِ لِلْمَرْءِ وَانْعُ وَفِي تَرْكِ أَهْوَاءِ الْفُؤَادِ الْمُتَمِّمِ

(1) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (9 / 49).

(2) الأخلاق والسير في مداواة النفوس (ص: 33).



بَصَائِرُ رُشْدٍ لِفَتَى مُسْتَبِينَةٍ وَأَخْلَاقُ صِدْقٍ عِلْمُهَا بِالتَّعَلُّمِ (1)

4- **التربية الأسرية السليمة:** فالييت الذي تعمّره الأخلاق الفاضلة، وتسكن فيه الأعمال الصالحة، تنشأ فيه الأجيال على استقامة سلوك ودمائة خلق.

فمتى اختلط أبنائهم بالجيران أو الأقارب أو زملاء الدراسة سمعوا ورأوا من سوء الأخلاق ما تشمئز منه نفوسهم، وتنفر منه طباعهم، وربما هرع الأولاد الصغار إلى آبائهم وأمهاتهم يخبرونهم بأنهم سمعوا من فلان يقول كذا ورأوه يفعل كذا من مساوئ الأخلاق، مما لا يجدونه في البيت.

فلو أن كل بيت أدى رسالة الأخلاق الحسنة كما ينبغي لصلح المجتمع.

5- **مجالسة ذوي الأخلاق الحميدة، وقراءة سيرهم واستماع أخبارهم:** فالجلس بالجلس يقتدي، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ) (2).

والتراجم حافلة بأخبار الصالحين التي تتضمن جانباً مهماً عني به بعض المترجمين وهو جانب حسن الخلق، وقد ساقوا من أخبارهم في ذلك ما فيه قدوة حسنة. وسيمر بنا في الشرح - إن شاء الله - بعض تلك الأخبار.

(1) جامع بيان العلم وفضله (1/ 421).

(2) رواه أحمد (8417)، وأبو داود (4833)، والترمذي (2378)، والحاكم (7320)، والبيهقي

في الشعب (8990)، والخراطي في مساوئ الأخلاق (6559)، وأبو داود الطيالسي (2696)،

قال النووي: "رواه أبو داود والترمذي بإسناد صحيح، وقال الترمذي: «حديث حسن»".

رياض الصالحين (ص: 133).



6- الدعاء: فالدعاء الذي توفرت فيه أسباب الإجابة وسيلة عظيمة لنيل المآرب، وتحقيق المطالب، فليكن للمسلم وقوف طويل على بابه يرفع منه طلبًا ملحًا إلى ربه لكي يعينه على تحسين خلقه.

وقد كان النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -الذي مدحه الله بالخلق العظيم- يدعو بتحسين الخلق، فكيف غيره:

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: (اللَّهُمَّ حَسَّنْتَ خَلْقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي) **وفي لفظ:** (اللَّهُمَّ أَحْسَنْتَ خَلْقِي، فَأَحْسِنْ خُلُقِي) (1).

وكان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يدعو فيقول: (وَاهِدْنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ) (2).

وفي لفظ للنسائي: (اللَّهُمَّ اهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَعْمَالِ، وَأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَقِنِي سَيِّئَ الْأَعْمَالِ، وَسَيِّئَ الْأَخْلَاقِ، لَا يَقِي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ) (3).

(1) رواه أحمد (3823)، وابن حبان (959)، والبيهقي في الشعب (8183)، وأبو يعلى (5075)، والخرائطي في مكارم الأخلاق (9)، والطبراني في الدعاء (404)، وصححه ابن حبان، والألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (2/289) -

(2) رواه مسلم (771).

(3) سنن النسائي (972).

المطلب الثامن:

المقصد الصحيح من التحلي بالأخلاق الحسنة

إن الأخلاق في ديننا الإسلامي الحنيف لا يراد من التحلي بها الوصول إلى أعراض دنيوية، والظفر برضا الناس وثنائهم، والعبور عليها إلى منازل راقية في المجتمع.

فليست الأخلاق في الإسلام أخلاقاً تجارية يكسب بها البائع قلب المشتري حتى يشتري منه.

يقول المثل الصيني: "إن الذي لا يُحسن الابتسامة لا ينبغي له أن يفتح متجرًا"⁽¹⁾.

وليست كذلك أخلاقاً كاذبة يتشبع بها طالب شهوة عاجلة، وهي ليست من شيمه على الحقيقة.

وإنما الأخلاق في ديننا عبادة يتقرب بها العبد إلى ربه لينال بها رضاه، فإذا نال رضوانه نال كل خير في الدنيا والآخرة.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أَحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيَحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي

(1) كيف تكسب الأصدقاء ، داييل كارنيجي (30).

السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ: ثُمَّ يُوَضَّعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أَبْغَضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ، قَالَ: فَيَبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، قَالَ: فَيَبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوَضَّعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ (١).

وحب الناس وثنائهم وحصول فوائد دنيوية مصالح سينالها تبعاً بلا ريب من تعبد بالأخلاق لله وطلب بها رضوانه.

وشتان ما بين من جعلها مقاصد محضة لحسن خلقه، ومن جعل طاعة الله تعالى هي مقصده وغاية خلقه الحميد، فالأول يحبط عمله فيحرم الثواب، والآخر يرضى الله عنه وينيله من منافع الدنيا جزاءً حسناً معجلاً. ﴿وَلَا جُرْ الْآخِرَةَ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 41].

(١) رواه البخاري (3209)، ومسلم (2637).



المطلب التاسع:

عظمة خلق رسول الله ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

لقد كان نبينا ﷺ قد نال من مكارم الأخلاق أوفاهها، ومن محاسن الشيم أسمهاها، فكان الخلق الكريم ديدنه في رضاه وغضبه، وفرحه وترحه، مع أهله في بيته، ومع غيرهم من أمته، فلا يرى منه إلا أحمد ما يكون من كل خلق، ولا يسمع من شفتيه إلا كل جميل من كل قول.

ففي التأمل في حديثه وسيرته ما يدعو الإنسان إلى الاقتداء به في خلاله، والسير على منواله في كرم طباعه وسماحة أخلاقه. لا سيما وقد أثنى الله تعالى بهذه الجملة البليغة: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:4].

قال ابن جزري: "﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:4]: هذا ثناء على خلق رسول الله ﷺ، قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (كان خلق رسول الله ﷺ القرآن)، تعني: التأدب بآدابه وامتثال أوامره، وعبر ابن عباس عن الخلق بالدين والشرع وذلك رأس الخلق، وتفصيل ذلك: أن رسول الله ﷺ جمع كل فضيلة، وحاز كل خصلة جميلة، فمن ذلك: شرف النسب ووفور العقل وصحة الفهم، وكثرة العلم، وشدة الحياء، وكثرة العبادة والسخاء والصدق والشجاعة والصبر والشكر والمروءة والتودد والاقتصاد والزهد والتواضع والشفقة والعدل والعفو وكظم الغيظ وصلة الرحم وحسن المعاشرة، وحسن التدبير وفصاحة



اللسان وقوة الحواس وحسن الصورة وغير ذلك، حسبما ورد في أخباره وسيره
 عن **صلى الله عليه وسلم** (1).

عن سعد بن هشام بن عامر، قال: يا أم المؤمنين، أنبئني عن خلق رسول
 الله **صلى الله عليه وسلم**، قالت: «ألمست تقرأ القرآن؟» قلت: بلى، قالت: «فإن خلق نبي الله
 كان القرآن» (2).

وفي رواية: " .. أما تقرأ القرآن؟؛ قول الله عز وجل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ
 عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4]" (3).

قال ابن كثير: ومعنى هذا: أنه **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** صار امتثال القرآن أمراً ونهياً
 سجية له وخلقاً تطبعه، وترك طبعه الجبلي، فمهما أمره القرآن فعله ومهما نهاه
 عنه تركه، هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم من الحياء والكرم
 والشجاعة والصفح والحلم، وكل خلق جميل؛ كما ثبت في الصحيحين عن
 أنس قال: خدمت رسول الله **صلى الله عليه وسلم** عشر سنين فما قال لي: أف قط، ولا قال
 شيء فعلته: لم فعلته؟ ولا شيء لم أفعله: ألا فعلته؟ وكان **صلى الله عليه وسلم** أحسن الناس
 خلقاً، ولا مسست خزاً ولا حريراً ولا شيئاً كان ألين من كف رسول الله **صلى الله عليه وسلم**،
 ولا شممت مسكاً ولا عطراً كان أطيب من عرق رسول الله **صلى الله عليه وسلم**. وعن البراء
 قال: (كان رسول الله **صلى الله عليه وسلم** أحسن الناس وجهاً، وأحسن الناس خلقاً، ليس

(1) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (2 / 398).

(2) رواه مسلم (746).

(3) رواه أحمد (24601).



بالطويل ولا بالقصير) والأحاديث في هذا كثيرة، ولأبي عيسى الترمذي في هذا كتاب الشماثل.

عن عائشة قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ بيده خادماً له قط، ولا ضرب امرأة، ولا ضرب بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله، ولا خير بين شيئين قط إلا كان أحبهما إليه أيسرهما حتى يكون إثماً، فإذا كان إثماً كان أبعد الناس من الإثم، ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتى إليه إلا أن تنتهك حرمة الله فيكون هو ينتقم لله عز وجل (1).

يقول ابن القيم في وصف خلق رسول الله ﷺ: "ومما يحمد عليه ﷺ: ما جبله الله عليه من مكارم الأخلاق وكرائم الشيم؛ فإن من نظر في أخلاقه وشيمه ﷺ علم أنها خير أخلاق؛ فإنه ﷺ كان أعلم الخلق، وأعظمهم أمانة، وأصدقهم حديثاً، وأجودهم وأسخاهم، وأشدهم احتمالاً، وأعظمهم عفواً ومغفرة، وكان لا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا، كما روى البخاري في صحيحه: عن عبد الله بن عمرو، أنه قال في صفة رسول الله ﷺ في التوراة: محمد عبدي ورسولي سميته المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخاب بالأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء وأفتح به أعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً، حتى يقولوا: لا إله إلا الله.

(1) تفسير ابن كثير (8/ 208).

وأرحم الخلق وأرأفهم بهم، وأعظم الخلق نفعاً لهم في دينهم ودنياهم، وأفصح خلق الله، وأحسنهم تعبيراً عن المعاني الكثيرة بالألفاظ الوجيزة الدالة على المراد، وأصبرهم في مواطن الصبر، وأصدقهم في مواطن اللقاء، وأوفاهم بالعهد والذمة، وأعظمهم مكافأة على الجميل بأضعافه، وأشدّهم تواضعاً، وأعظمهم إثارةً على نفسه، وأشدّ الخلق ذباً عن أصحابه وحماية لهم ودفاعاً عنهم، وأقوم الخلق بما يأمر به، وأتركهم لما ينهي عنه، وأوصل الخلق لرحمه،

فهو أحق بقول القائل:

برّد على الأدنى ومرحمةً وعلى الأعادي مازنٌ جلدٌ

قال علي رضي الله عنه: "كان رسول الله ﷺ أجود الناس صدرًا، وأصدقهم لهجة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة، من رآه بدهية هابه، ومن خالطه معرفة أحبه"، يقول ناعته: "لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ".

فقوله: كان أجود الناس صدرًا: أراد به بر الصدر وكثرة خيره، وأن الخير يتفجر منه تفجيراً، وأنه منطو على كل خلق جميل، وكل خير، كما قال بعض أهل العلم: ليس في الدنيا كلها محل كان أكثر خيراً من صدر رسول الله ﷺ، قد جمع الخير بحذافيره، وأودع في صدره ﷺ.

وقوله: أصدق الناس لهجة: هذا مما أقر له به أعداؤه المحاربون له، ولم يجرب عليه أحد من أعدائه كذبة واحدة قط، دع شهادة أوليائه كلهم له به، فقد حاربه أهل الأرض بأنواع المحاربات، مشركوهم وأهل الكتاب منهم، وليس



أحد منهم يوماً من الدهر طعن فيه بكذبة واحدة صغيرة ولا كبيرة.

قال المسور بن مخرمة: "قلت لأبي جهل - وكان خالي - يا خال، هل كنتم تتهمون محمداً بالكذب قبل أن يقول مقالته؟ فقال: والله يا ابن أختي، لقد كان محمد وهو شاب يدعى فينا الأمين، فلما وخطه الشيب لم يكن ليكذب. قلت: يا خال، فلم لا تتبعونه؟ فقال: يا ابن أختي، تنازعنا نحن وبنو هاشم الشرف، فأطعموا وأطعمنا، وسقوا وسقيننا، وأجاروا وأجرنا، فلما تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان، قالوا: منا نبي، فمتى نأتيهم بهذه؟" أو كما قال.

وقال تعالى يسليه ويهون عليه قول أعدائه: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَأِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: 34-33] (1).

وقال ابن القيم أيضاً في وصف جوده: "كان صلى الله عليه وسلم أعظم الناس صدقة بما ملكت يده، وكان لا يستكثر شيئاً أعطاه الله تعالى، ولا يستقله، وكان لا يسأله أحد شيئاً عنده إلا أعطاه، قليلاً كان أو كثيراً، وكان عطاؤه عطاء من لا يخاف الفقر، وكان العطاء والصدقة أحب شيء إليه، وكان سروره وفرحه بما يعطيه أعظم من سرور الآخذ بما يأخذه، وكان أجود الناس بالخير، يمينه كالريح المرسلة.



وكان إذا عرض له محتاج أثره على نفسه، تارة بطعامه، وتارة بلباسه.

وكان ينوع في أصناف عطائه وصدقته، فتارة بالهبة، وتارة بالصدقة، وتارة بالهدية، وتارة بشراء الشيء ثم يعطي البائع الثمن والسلعة جميعاً، كما فعل ببعير وتارة كان يقترض الشيء فيرد أكثر منه وأفضل وأكبر، ويشتري الشيء فيعطي أكثر من ثمنه، ويقبل الهدية ويكافئ عليها بأكثر منها أو بأضعافها، تلطفاً وتنوعاً في ضروب الصدقة والإحسان بكل ممكن، وكانت صدقته وإحسانه بما يملكه وبحاله وبقوله، فيخرج ما عنده، ويأمر بالصدقة، ويحض عليها، ويدعو إليها بحاله وقوله، فإذا رآه البخيل الشحيح دعاه حاله إلى البذل والعطاء، وكان من خالطه وصحبه ورأى هديه لا يملك نفسه من السماحة والندى⁽¹⁾.

وقال المباركفوري: "وكان النبي ﷺ يمتاز في قومه بخلال عذبة وأخلاق فاضلة، وشمائل كريمة؛ فكان أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقاً، وأعزهم جواراً، وأعظمهم حلماً، وأصدقهم حديثاً، وألينهم عريكة، وأعفهم نفساً، وأكرمهم خيراً، وأبرهم عملاً، وأوفاهم عهداً، وآمنهم أمانة، حتى سماه قومه: الأمين؛ لما جمع فيه من الأحوال الصالحة والخصال المرضية، وكان كما قالت أم المؤمنين خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يحمل الكل، ويكسب المعدوم، ويقرى الضيف ويعين على نوائب الحق"⁽²⁾.

(1) زاد المعاد في هدي خير العباد (2/ 21).

(2) الرحيق المختوم (ص: 54).

الأخلاق مع الله تعالى

- 1- الإخلاص.
- 2- الاستغفار.
- 3- تقوى الله تعالى.
- 4- التوبة إلى الله تعالى.
- 5- التوكل على الله تعالى.
- 6- حسن الظن بالله تعالى.
- 7- خشية الله تعالى.
- 8- الخوف من الله تعالى.
- 9- الدعاء.
- 10- ذكر الله تعالى.
- 11- الرجاء من الله تعالى.
- 12- شكر الله تعالى.
- 13- محبة الله تعالى.
- 14- مراقبة الله تعالى.

الإخلاص

إن الله تبارك وتعالى هو المعبود الواحد لا شريك له، أمر عباده أن يفردوه بكل طاعة قلبية وبدنية، ولا يشركوا معه فيها أحداً من الخلق، وهذا هو الدين الخالص، والعبادة التي أمر سبحانه بها، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ * أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: 2-3].

"فَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِالتَّذَلُّلِ لَهُ وَالْإِخْلَاصِ فِيهِ" وهذه الآية: "أَصْلُ فِي خُلُوصِ الْأَعْمَالِ لِلَّهِ تَعَالَى وَتَصَفِيَّتِهَا مِنْ شَوَائِبِ الرِّيَاءِ وَغَيْرِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ حَدًّا﴾ [الكهف: 110]" (1).

إن المستقر الذي يحل فيه هذا الخلق هو القلب، فهو محل الإرادات، ومحط التمييز في قصد الإنسان من أعماله وأقواله، فالعمل في الجوارح واحد بين الناس، ولكنه يختلف قبولاً ورداً باختلاف ما في القلب؛ ولهذا كان نظر الله تعالى من العبد إلى تلك المضغة الصغيرة، وعليه يرفع العبد أو يضعه، أو يأجره أو يؤثمه.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى

(1) تفسير القرطبي (5/ 180).



صَوْرَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ⁽¹⁾.

يعني: ينظر: "إِلَى مَا فِيهَا مِنَ الْيَقِينِ، وَالصِّدْقِ، وَالْإِخْلَاصِ، وَقَصْدِ الرِّيَاءِ، وَالسُّمْعَةِ، وَسَائِرِ الْأَخْلَاقِ الرَّضِيَّةِ، وَالْأَحْوَالِ الرَّدِيَّةِ"⁽²⁾.

ولذلك كان الطريق إلى تحقيق العبودية والقيام بالدين الخالص هو: إخلاص العمل لله تعالى؛ فهو مطلب العبودية، وروحها، والمعبر عن سلامتها، وحسن قصد فاعلها، وهو الصورة الصادقة عن الإيمان المستكن في النفوس، وهو المعيار الذي يتميز به الناس.

وتحقيقه والاستمرار عليه ليس بالأمر اليسير على كل النفوس؛ "قيل لسهل: أي شيء أشد على النفس؟ فقال: الإخلاص؛ لأنه ليس لها فيه نصيب... وقال يوسف بن الحسين: أعز شيء في الدنيا: الإخلاص، وكم أجتهد في إسقاط الرياء عن قلبي، فكأنه ينبت على لون آخر"⁽³⁾.

وقال أيوب السختياني: "تخليص النيات على العمال، أشد عليهم من جميع الأعمال"⁽⁴⁾.

(1) رواه مسلم (2564).

(2) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (8/3331).

(3) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (2/92).

(4) إحياء علوم الدين (4/378).



تعريف الإخلاص:

لغة:

(خَلَصَ) الْخَاءُ وَاللَّامُ وَالصَّادُ أَصْلٌ وَاحِدٌ مُطَّرَدٌ، وَهُوَ تَنْقِيَةُ الشَّيْءِ وَتَهْدِيئُهُ. **يَقُولُونَ**: خَلَصْتُهُ مِنْ كَذَا وَخَلَصَ هُوَ. **وِخْلَاصَةُ السَّمَنِ**: مَا أُقْلِيَ فِيهِ مِنْ تَمَرٍ أَوْ سَوِيقٍ لِيَخْلُصَ بِهِ.

وَأَخْلَصَهُ وَخَلَصَهُ وَأَخْلَصَ لِلَّهِ دِينَهُ: أَمَحَضَهُ. **وَأَخْلَصَ الشَّيْءَ**: اخْتَارَهُ، **وَقُرِيَ**: **إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ** * و **الْمُخْلِصِينَ** *؛ **قَالَ ثَعْلَبٌ**: يَعْنِي بِالْمُخْلِصِينَ: الَّذِينَ أَخْلَصُوا الْعِبَادَةَ لِلَّهِ تَعَالَى، وَبِالْمُخْلِصِينَ الَّذِينَ أَخْلَصَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (1).

اصطلاحاً:

الإخلاص: هو القصد بالعبادة إلى أن يعبد المعبود بها وحده، وقيل: تصفية السر والقول والعمل (2).

وقال الجنيد عنه: إنه: "سر بين الله وبين العبد، لا يعلمه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده، ولا هوى فيميله" (3).

(1) لسان العرب (7/ 26)، مقاييس اللغة (2/ 208).

(2) الكليات (ص: 64).

(3) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (2/ 92).



وقال ابن القيم: "الإخلاص هو: إفراد المعبود عن غيره" (1).

وقال أبو حامد: "اعلم أن كل شيء يتصور أن يشوبه غيره، فإذا صفا عن شوبه، وخلص عنه سمي خالصاً، ويسمى الفعل المصفي المخلص إخلاصاً؛ قال الله تعالى: ﴿مَنْ بَيْنَ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبْنَا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ [النحل: 66]، فإنما خلوص اللبن: أن لا يكون فيه شوب من الدم والفرت، ومن كل ما يمكن أن يمتزج به" (2).

ويقول ابن عاشور عن حقيقته: "أن يكون الداعي إلى الإتيان بالمأمور، وإلى ترك المنهي إرضاء الله تعالى، وهو معنى قولهم: لوجه الله، أي: لقصد الإمثال بحيث لا يكون الحظ الدنيوي هو الباعث على العبادة، مثل: أن يعبد الله ليمدحه الناس، بحيث لو تعطل المدح لترك العبادة؛ ولذا قيل: الرياء شرك الأصغر، أي: إذا كان هو الباعث على العمل" (3).

أهمية الإخلاص:

لإخلاص العمل لله تعالى أهمية كبيرة، ويدل على ذلك أمور، منها:

1- أن العمل الخالص هو أحسن العمل وأفضله:

قال إبراهيم بن الأشعث في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾

(1) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (1/ 129).

(2) إحياء علوم الدين (4/ 379).

(3) التحرير والتنوير (23/ 318).



[هود: 7] قَالَ: أَخْلَصْهُ وَأَصَوِّبْهُ، قَالَ: إِنَّ الْعَمَلَ إِذَا كَانَ خَالِصًا وَلَمْ يَكُنْ صَوَابًا لَمْ يُقْبَلْ، وَإِذَا كَانَ صَوَابًا وَلَمْ يَكُنْ خَالِصًا لَمْ يُقْبَلْ حَتَّى يَكُونَ خَالِصًا صَوَابًا، وَالْخَالِصُ إِذَا كَانَ لِلَّهِ، وَالصَّوَابُ: إِذَا كَانَ عَلَى السُّنَّةِ (1).

وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَشْعَثِ عَنْ فَضِيلِ بْنِ عِيَاضٍ قَالَ: خَيْرُ الْعَمَلِ أَخْفَاهُ، أَمْنَعُهُ مِنَ الشَّيْطَانِ وَأَبْعَدُهُ مِنَ الرِّيَاءِ (2).

و"عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَتَّابٍ قَالَ: رَأَيْتُ عَامِرَ بْنَ عَبْدِ قَيْسٍ فِي النَّوْمِ فَقُلْتُ: أَيُّ الْأَعْمَالِ وَجَدْتَ أَفْضَلَ؟ قَالَ: مَا أُرِيدُ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ (3).

2- العمل كله هباء إلا ما كان خالصاً لله :

"قال سهل **رَحِمَهُ اللَّهُ:** العلم كله دنيا، والآخرة منه العمل به، والعمل كله هباء إلا الإخلاص (4).

3- العمل القليل الخالص خير من العمل الكثير المشوب :

"كتب عمر بن الخطاب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** إلى أبي موسى الأشعري: من خلصت نيته كفاه الله تعالى ما بينه وبين الناس. وكتب بعض الأولياء إلى أخ له: أخلص النية في أعمالك يكفك القليل من العمل (5).

(1) الإخلاص والنية لابن أبي الدنيا (ص: 50).

(2) الإخلاص والنية لابن أبي الدنيا (ص: 56).

(3) الإخلاص والنية لابن أبي الدنيا (ص: 42).

(4) إحياء علوم الدين (1/ 61).

(5) إحياء علوم الدين (4/ 378).



4- الإخلاص يخلص العمل من العيوب:

"قال يحيى بن معاذ: الإخلاص يميز العمل من العيوب، كتمييز اللبن من الفرث والدم"⁽¹⁾.

5- لا حياة للعمل إلا بالإخلاص وبه النجاة:

قال أبو حامد: "وقال بعضهم: في إخلاص ساعة نجاة الأبد، ولكن الإخلاص عزيز، ويقال: العلم بذر، والعمل زرع، وماؤه الإخلاص"⁽²⁾.

6- بالإخلاص تتفاضل الأعمال:

قال ابن القيم: "فتفاضل الأعمال بحسب تجريد الإخلاص والمتابعة، تفاضلاً لا يَحْصِيهِ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى"⁽³⁾.

حكم الإخلاص في الأعمال الصالحة:

الإخلاص خلق واجب في كل عمل صالح، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: 11]. وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: 5]. قال القرطبي: "وفي هذا دليل على وجوب النية في العبادات؛ فإن الإخلاص من عمل القلب، وهو الذي يراد به وجه الله تعالى لا غيره"⁽⁴⁾.

(1) إحياء علوم الدين (4 / 378).

(2) إحياء علوم الدين (4 / 378).

(3) المنار المنيف في الصحيح والضعيف = نقد المنقول والمحك المميز بين المردود والمقبول (ص: 33).

(4) تفسير القرطبي (20 / 144).

عن أبي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا غَزَا يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ وَالذِّكْرَ مَا لَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَا شَيْءَ لَهُ) فَأَعَادَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَا شَيْءَ لَهُ)، ثُمَّ قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ) ⁽¹⁾.

وعن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ) ⁽²⁾.

قال العز ابن عبد السلام: "إخلاص العبادة شرط في أولها" ⁽³⁾.

وقال الشوكاني: "عُمْدَةُ الْأَعْمَالِ الَّتِي تَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا صِحَّتُهَا أَوْ فَسَادُهَا هِيَ النِّيَّةُ وَالْإِخْلَاصُ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُمَا مِنَ الْأُمُورِ الْبَاطِنَةِ، فَمَنْ لَمْ تَكُنْ نِيَّتُهُ صَحِيحَةً لَمْ يَصِحْ عَمَلُهُ الَّذِي عَمِلَهُ، وَلَا أَجْرُهُ الْمُتَرْتَّبُ عَلَيْهِ، وَمَنْ لَمْ يَخْلُصْ عَمَلُهُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ فَهُوَ مَرْدُودٌ عَلَيْهِ مَضْرُوبٌ بِهِ فِي وَجْهِهِ، وَذَلِكَ كَالْعَامِلِ الَّذِي يَشُوبُ نِيَّتَهُ بِالرِّيَاءِ" ⁽⁴⁾.

وقال صديق حسن خان: "ولا خلاف في أن الإخلاص شرط لصحة العمل وقبوله" ⁽⁵⁾.

(1) رواه النسائي (4333)، والطبراني في الكبير (7628)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (2/115).

(2) رواه البخاري (1)، ومسلم (1907).

(3) قواعد الأحكام في مصالح الأنعام (1/207).

(4) قطر الولي على حديث الولي (ص: 438).

(5) الدين الخالص (2/385).

1- إِيْثَارُ الْخُمُولِ وَكَرَاهِيَةُ الشُّهْرَةِ:

فأويس القرني رَحِمَهُ اللهُ الَّذِي أَثْنَى عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ يَفِرُّ مِنَ النَّاسِ؛ خَوْفًا عَلَى إِخْلَاصِهِ.

فَعَنْ أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ، قَالَ: كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِذَا أَتَى عَلَيْهِ أَمْدَادُ أَهْلِ الْيَمَنِ، سَأَلَهُمْ: أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ حَتَّى أَتَى عَلَى أُوَيْسٍ فَقَالَ: أَنْتَ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرْنٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: لَكَ وَالِدَةٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ، مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرْنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَا بَرَّةَ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ) فَاسْتَغْفِرَ لِي، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَتَيْنَ تَرِيدُ؟ قَالَ: الْكُوفَةُ، قَالَ: أَلَا أَكْتُبُ لَكَ إِلَى عَامِلِيهَا؟ قَالَ: أَكُونُ فِي غَبَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ. قَالَ: فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ حَجَّ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ، فَوَافَقَ عُمَرَ، فَسَأَلَهُ عَنْ أُوَيْسٍ، قَالَ: تَرَكْتُهُ رَثَّ الْبَيْتِ، قَلِيلَ الْمَتَاعِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرْنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ، إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَا بَرَّةَ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ) فَاتَى أُوَيْسًا فَقَالَ: اسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: أَنْتَ أَحَدْتُ عَهْدًا بِسَفَرٍ صَالِحٍ، فَاسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: اسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: أَنْتَ أَحَدْتُ عَهْدًا بِسَفَرٍ صَالِحٍ، فَاسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: لَقِيتَ عُمَرَ؟

قَالَ: نَعَمْ، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ، فَفَطِنَ لَهُ النَّاسُ، فَانْطَلَقَ عَلَى وَجْهِهِ⁽¹⁾.

قوله: أَكُونُ فِي غَبْرَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ " قال النووي: " وهذا من إشار الخمول، وكنتم حاله"⁽²⁾.

قال ابن الجوزي: "لما وصف الرسول ﷺ للصحابه جمال الخمول من حلة حلية أويس عمل معول الشوق في قلب عمر فكان في كل عام ينشد بلفظ الطالب، ويسأل عن أهل اليمن:

أَلَا أَيُّهَا الرِّكْبُ الْيَمَانُونَ عَرَّجُوا عَلَيْنَا فَقَدْ أَمْسَى هَوَانَا يَمَانِيَا
نِسَائِلُكُمْ هَلْ سَالَ نَعْمَانُ بَعْدَنَا وَحُبَّ إِلَيْنَا بَطْنُ نَعْمَانَ وَادِيَا

فلما لقيه عمر قال: من أنت؟ قال: راعي غنم، وأجير قوم، وستر ذكر أويس.

الأولياء تحت ستر الخمول ما يعلمهم إلا قليل، فإن عرفتهم بسيماهم فتلمح نقاء الأسرار، لا دنس الثياب ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾⁽³⁾.

2- عدم انتظار المكافأة من الخلق وعدم الغضب والحقد من ترك الشكر

على العمل:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُنْطَعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ [الإنسان: 9].

(1) رواه مسلم (2542).

(2) شرح النووي على مسلم (96 / 16).

(3) اللطائف (ص: 10).



قال الغزالي: "فمدح المخلصين ينفي كُلَّ إِرَادَةٍ سِوَى وَجْهِ اللَّهِ، وَالرِّيَاءِ ضِدُّهُ" (1).

قال ابن القيم: "قال صاحب "المنازل": الإخلاص: تصفية العمل من كل شوب.

أي: لا يمازج عمله ما يشوبه من شوائب إرادات النفس؛ إما طلب التزين في قلوب الخلق، وإما طلب مدحهم، والهرب من ذمهم، أو طلب تعظيمهم، أو طلب أموالهم أو خدمتهم ومحبتهم وقضائهم حوائجهم، أو غير ذلك من العلل والشوائب، التي عَقْدُ مُتَفَرِّقَاتِهَا هُوَ إِرَادَةُ مَا سِوَى اللَّهِ بِعَمَلِهِ، كائناً ما كان" (2).

والمخلص لما كان لا ينتظر المكافأة من الخلق؛ سلم قلبه من كراهية الناس والغضب عليهم إذا لم يشكروه على عمله.

قال بعضهم: "الإخلاص: أن لا تطلب على عملك شاهداً غير الله، ولا مجازياً سواه" (3).

وقال رويم: "الإخلاص من العمل هو: ألا يريد صاحبه عليه عوضاً في الدارين" (4).

لكن قول رويم هذا في شأن الآخرة فيه نظر.

(1) إحياء علوم الدين (3/ 293).

(2) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (2/ 93).

(3) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (2/ 92).

(4) تفسير القرطبي (2/ 146).

3 - حب إخفاء العمل وإيثاره وكرهية أن يطلع عليه الناس:

قال تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ [البقرة: 272].

وقد "اتفق العلماء على أن كتمان صدقة التطوع أفضل، وإخفاؤها خير من إظهارها؛ لأن ذلك أبعد من الرياء وأقرب إلى الإخلاص، ولأن فيه بعداً عما تؤثره النفس من إظهار الصدقة"⁽¹⁾.

قَالَ يَعْقُوبُ الْمَكْفُوفُ: "الْمُخْلِصُ مَنْ يَكْتُمُ حَسَنَاتِهِ كَمَا يَكْتُمُ سَيِّئَاتِهِ"⁽²⁾.

و"كَانَ حَسَّانُ بْنُ أَبِي سِنَانٍ يَخْضُرُ مَسْجِدَ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ، فَإِذَا تَكَلَّمَ مَالِكٌ بَكَى حَسَّانٌ حَتَّى يَسِيلَ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ لَا يُسْمَعُ لَهُ صَوْتُ"⁽³⁾.

وَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ، مُوسَى بْنُ يَسَارٍ: "صَحِبْتُ مُحَمَّدَ بْنَ وَاسِعٍ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْبَصْرَةِ، فَكَانَ اللَّيْلَ أَجْمَعَ يُصَلِّي فِي الْمَحْمَلِ جَالِسًا يُومِئُ بِرَأْسِهِ إِيمَاءً، وَكَانَ يَأْمُرُ الْحَادِي أَنْ يَكُونَ خَلْفَهُ وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ؛ حَتَّى لَا يُفْطَنَ لَهُ"⁽⁴⁾.

4 - رؤية التقصير، وترك استعظام العمل، والاعتراف بالنقص:

فالمخلص مهما أحسن العمل لا يزال يشعر نفسه بالقصور، وهذا يجعله يستمر في العمل وإحسانه.

(1) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل (1/ 206).

(2) إحياء علوم الدين (4/ 378).

(3) الإخلاص والنية لابن أبي الدنيا (ص: 66).

(4) الإخلاص والنية لابن أبي الدنيا (ص: 67).



لما كان عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** في يومه الذي مات فيه: "وَلَجَّ عَلَيْهِ شَابٌّ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: أَبَشِّرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، بِبُشْرَى اللَّهِ، كَانَ لَكَ مِنَ الْقَدَمِ فِي الْإِسْلَامِ مَا قَدْ عَلِمْتَ، ثُمَّ اسْتُخْلِفْتَ فَعَدَلْتَ، ثُمَّ الشَّهَادَةُ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ، فَقَالَ: لَيْتَنِي - يَا ابْنَ أَخِي - وَذَلِكَ كَفَافًا لَا عَلَيَّ وَلَا لِي" ⁽¹⁾.

ثمرات الإخلاص العاجلة والآجلة:

الإخلاص يثمر على صاحبه ثمرات جليلة في الدنيا والآخرة، فمن ذلك:

1 - قبول العمل عند الله تعالى:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: 27].

قال ابن عاشور: "... وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُرَادَ بِالْمُتَّقِينَ: الْمُخْلِصُونَ فِي الْعَمَلِ، فَيَكُونُ عَدَمُ الْقَبُولِ أَمَارَةً عَلَى عَدَمِ الْإِخْلَاصِ" ⁽²⁾.

وقال علي بن أبي طالب: "كُونُوا لِقَبُولِ الْعَمَلِ أَشَدَّ هَمًّا مِنْكُمْ بِالْعَمَلِ، أَلَمْ تَسْمَعُوا اللَّهَ يَقُولُ ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: 27]" ⁽³⁾.

و"**عَنْ** عُبَيْدِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّهُ سَمِعَ فَضَالَ بْنَ عُبَيْدٍ، يَقُولُ: لِأَنْ أَكُونَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ تَقَبَّلَ مِنِّي مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا؛ لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: 27]" ⁽⁴⁾.

(1) رواه البخاري (1392).

(2) التحرير والتنوير (6/ 170).

(3) الإخلاص والنية لابن أبي الدنيا (ص: 39).

(4) الإخلاص والنية لابن أبي الدنيا (ص: 49).

وقال رسول الله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ) (1).

وأما الرياء فهو محبط للعمل؛ فعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ لَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشَّرْكَ الْأَصْغَرَ) قَالُوا: وَمَا الشَّرْكَ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِذَا جَزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَاَنْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً؟) (2).

قال ابن القيم: "العمل بغير إخلاص ولا اقتداء كالمسافر يملأ جرابه رملًا يثقله، ولا ينفعه" (3).

وقال ابن الجوزي: "الإخلاص اليسير كثير، ووجود عمل الرياء عدم، قراضة الأمانى لا تقف، وصحيح الشبه مردود، خليج صاف أنفع من بحر كدر، إذا لم تخلص فلا تتعب، لا يكسر الجوز بالعهن، أتحدو وما لك بعير، أتمد القوس وما لها وتر، أتجشأ من غير شع، وأعجبًا من وحشي بلا جبل، كم بذل نفسه مرءٍ لتمدحه الخلق فذهبت والمدح، ولو بذلها للحق لبقيت والذكر،

(1) رواه النسائي (4333)، والطبراني في الكبير (7628)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (2/115).

(2) رواه أحمد (23630)، والبيهقي في الشعب (6412)، وحسنه الأرناؤوط، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (1/120).

(3) الفوائد لابن القيم (ص: 49).



عمل المَرَائِي بصلّة كلّها قشور، المَرَائِي يحشو جراب العَمَل رملاً فيثقله وَلَا يَنْفَعُهُ، رِيح الرِّيَاء جيفة تتحاماها مسام القُلُوب. لما أَخَذ دود القز ينسج أَقْبَلَت العنكبوت تتشبه وَقَالَتْ: لَكَ نَسْج وَلِي نَسْج، فَقَالَتْ دودة القز: وَلَكِنْ نَسْجِي أَرْدِيَةِ لِلْمَلُوكِ، وَنَسْجُكَ شَبَكَةٌ لِلذَّبَابِ، وَعِنْدَ مَسِ النَسِيجِينَ بَيْنَ الْفَرْقِ.

شَجَرَةُ الصَّنُوبَرِ تثمر في ثَلَاثِينَ سَنَةً، وشجرة الدبا تصعد في أسبوعين فتَقُولُ لشَجَرَةِ الصَّنُوبَرِ: إِنْ الطَّرِيقَ الَّتِي قَطَعْتَهَا فِي ثَلَاثِينَ سَنَةً قَدْ قَطَعْتَهَا فِي أسبوعين، فَيَقَالُ لِي: شَجَرَةٌ وَلَكَ شَجَرَةٌ، فتجيبها: مهلاً إِلَى أَنْ تَهْبَ رِيحُ الْخَرِيفِ⁽¹⁾.

2- غفران الذنوب:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: (مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)⁽²⁾.

ف" (إيمَانًا)؛ أي: تصديقاً لثوابه، (واحتِسَابًا)؛ أي: إخلاصاً"⁽³⁾.

3- الاستغلال في ظل الله يوم القيامة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ...)

(1) المدهش (ص: 418).

(2) رواه البخاري (1901)، ومسلم (760).

(3) شرح المصابيح لابن الملك (2/ 194).

وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ⁽¹⁾.

قال النووي: "وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ: فَضْلُ صَدَقَةِ السَّرِّ. قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَهَذَا فِي صَدَقَةِ التَّطَوُّعِ فَالسَّرُّ فِيهَا أَفْضَلُ؛ لِأَنَّهُ أَقْرَبُ إِلَى الْإِخْلَاصِ وَأَبْعَدُ مِنَ الرِّيَاءِ... وَفِيهِ فَضِيلَةُ الْبُكَاءِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَفَضْلُ طَاعَةِ السَّرِّ؛ لِكَمَالِ الْإِخْلَاصِ فِيهَا"⁽²⁾.

4- صرف السوء والفحشاء عن المخلص:

قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: 24] **قال ابن مفلح:** "يَدُلُّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْإِخْلَاصَ سَبَبٌ لِدَفْعِ السُّوءِ، وَالْفَحْشَاءِ؛ فَالْقَلْبُ إِذَا امْتَلَأَ مِنْ ذَلِكَ اسْتَحْلَاهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَتَغَدَّى بِهِ وَاسْتَغْنَى بِهِ عَمَّا سِوَاهُ"⁽³⁾.

وقال ابن القيم- وهو يتحدث عن علاج عشق الصور -: "وليس له دواء أنفع من الإخلاص لله. وهو الدواء الذي ذكره الله في كتابه حيث قال: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: 24]. فأخبر سبحانه أنه صرف عنه السوء من العشق والفحشاء من الفعل بإخلاصه؛ فإنَّ

(1) رواه البخاري (660)، ومسلم (1031).

(2) شرح النووي على مسلم (7/ 122).

(3) الآداب الشرعية والمنح المرعية (3/ 125).



القلب إذا خلص وأخلص عمله لله لم يتمكن منه عشق الصور؛ فإنه إنما يتمكن من قلب فارغ، كما قال:

فصادف قلباً خالياً فتمكنا⁽¹⁾

وقال أيضاً: "فلما أخلص لربه صرف عنه دواعي السوء والفحشاء، فأنصرف عنه السوء والفحشاء؛ ولهذا لما علم إبليس أنه لا سبيل له على أهل الإخلاص استنابهم من شرطته التي اشترطها للغواية والإهلاك فقال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿ص: 82-83﴾، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الحجر: 42]. فالإخلاص هو سبيل الخلاص، والإسلام هو مركب السلامة، والإيمان خاتم الأمان"⁽²⁾.

5- نيل محبة الخالق والخلق:

فمن أخلص أحبه الله وحببه إلى خلقه؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أَحَبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيَحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيَحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ)⁽³⁾.

عن الأعمش، قال: سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ، يَقُولُ: إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الْعَمَلَ الْحَسَنَ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ، أَوِ الْعَمَلَ لَا يُرِيدُ بِهِ وَجَهَ اللَّهِ فَيَقَعُ لَهُ الْمَقْتُ وَالْعَيْبُ عِنْدَ النَّاسِ

(1) الداء والدواء (1/ 491).

(2) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (1/ 72).

(3) رواه البخاري (3209)، ومسلم (2637).

حَتَّى يَكُونَ عَيْبًا، وَإِنَّهُ لَيَعْمَلُ الْعَمَلَ أَوْ الْأَمْرَ يَكْرَهُهُ النَّاسُ يُرِيدُ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ فَيَقَعُ لَهُ الْمِقَّةُ وَالْحُسْنُ عِنْدَ النَّاسِ" (1).

6- راحة النفس واطمئننانها ، وسلامتها من كثرة الوسواس :

قال أبو سليمان الداراني: "إذا أخلص العبد انقطعت عنه كثرة الوسواس والرياء" (2).

7- التوفيق وعدم الخذلان :

قال ابن الجوزي: "وإنما يتعثر من لم يخلص" (3).

وقال أيضًا: "إذا نزلت عن مطية الإخلاص، مشيت في حسك التعثر، فتقطعت قدم القصد" (4).

و"عَنْ مَعْقِلِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ الْجَزَرِيِّ قَالَ: كَانَتْ الْعُلَمَاءُ إِذَا اتَّقَوْا تَوَاصَوْا بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ، وَإِذَا غَابُوا كَتَبَ بِهَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ أَنَّهُ: مَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ أَصْلَحَ اللَّهُ عِلَانِيَتَهُ، وَمَنْ أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ كَفَاهُ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، وَمَنْ اهْتَمَّ بِأَمْرِ آخِرَتِهِ كَفَاهُ اللَّهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ" (5).

(1) الإخلاص والنية لابن أبي الدنيا (ص: 40).

(2) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (2 / 92).

(3) صيد الخاطر (ص: 367).

(4) اللطائف (ص: 22).

(5) الإخلاص والنية لابن أبي الدنيا (ص: 54).



8- دوام العمل والاستمرار عليه :

فالمخلص لا يصاب بالإعجاب ورؤية النفس حتى يجعله ذلك يرضى عن نفسه فيدع العمل، بل يبقى يشعر بالنقص وعدم الوفاء بحق العمل الصالح مهما قدم؛ لهذا فإنه يستمر في العمل ويداوم عليه.

9- الإخلاص تعب قليل وراحة أبدية :

قال أبو حامد: "وأما المخلصون فإن الله تعالى اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، فلما رأوا أنهم تركوا تمتع عشرين سنة مثلاً أو ثلاثين سنة بتمتع الأبد؛ استبشروا ببيعهم الذي بايعوا به" (1).

10- قال ابن الجوزي: "الإخلاص مسك مصون في مسك القلب، ينبه ريحه على حامله، العمل صورة، والإخلاص روح، إذا لم تخلص فلا تتعب، لو قطعت سائر المنازل لم تكن حاجاً إلا بشهود الموقف، ولا تغتر بصورة الطاعات، فإن خصم الإخلاص إذا جاء عند حاكم الجزاء ألزم الحبس عن القبول. سوق الإخلاص رائجة رابحة ليس فيها كساد، المخلص يعد طاعاته لاحتقارها عرضاً، وقلم القبول قد أثبتها في حيز الجوهر، المخلص مبهرج على الحق بستر الحال، وببهرجته يصح النقد" (2).

(1) إحياء علوم الدين (4/ 228).

(2) اللطائف (ص: 10).



وسائل معينة على الإخلاص وتقويته :

الحريص على قبول عمله يخلص فيه، ويسعى إلى البحث عن الوسائل التي تعينه على الإخلاص، فمن ذلك:

1- العلم بالله تعالى وبدينه: فإن العلم يخبر صاحبه بأهمية الإخلاص، وخطر الرياء على الأعمال، ويحدثه أن الله تعالى أعظم من أن يشرك معه غيره في عمل صالح.

والكتاب والسنة فيهما نصوص كثيرة تحت على الإخلاص وتحذر من الرياء، فمن علم ذلك كان له عوناً على الإخلاص.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمَلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشُرَكَهُ) ⁽¹⁾.

" والمراد: أن عمل المرائي باطل لا ثواب فيه، وَيَأْتُمُّ بِهِ " ⁽²⁾.

2- رؤية المخلصين وقراءة أخبارهم: فإن رؤية من يخلص دعوة إلى الإخلاص، وكم للقدوة الصالحة المرئية من أثر!

فإن فاتت القدوة المنظورة ففي قراءة أخبار المخلصين ما يحث النفس على السير على منوالهم.

(1) رواه مسلم (2985).

(2) شرح النووي على مسلم (116 / 18).



قال حماد بن زيد: "كان أيوب ربهما حدث بالحديث فيرق فيلتفت فيمتخط، ويقول: ما أشد الزكام!" (1).

3- الإعراض عن طلب مدح الناس وثنائهم والطمع بما في أيديهم: عَنْ
عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، قَالَ: "بَلَّغَنِي أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: الْعَمَلُ الصَّالِحُ الَّذِي لَا تُرِيدُ أَنْ يَحْمَدَكَ عَلَيْهِ أَحَدٌ إِلَّا لِلَّهِ" (2).

وقال ابن القيم: "لَا يَجْتَمِعُ الْإِخْلَاصُ فِي الْقَلْبِ وَمَحَبَّةُ الْمَدْحِ وَالثَّنَاءِ وَالطَّمْعِ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ، إِلَّا كَمَا يَجْتَمِعُ الْمَاءُ وَالنَّارُ، وَالضُّبُّ وَالْحَوْتَ، فَإِذَا حَدَّثَتْكَ نَفْسُكَ بِطَلَبِ الْإِخْلَاصِ فَأَقْبِلْ عَلَى الطَّمْعِ أَوْلاً فَادْبَحْهُ بِسَكِينِ الْيَأْسِ، وَأَقْبِلْ عَلَى الْمَدْحِ وَالثَّنَاءِ فَازْهَدْ فِيهِمَا زَهْدَ عَشَّاقِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ، فَإِذَا اسْتَقَامَ لَكَ ذُبْحُ الطَّمْعِ وَالزَّهْدِ فِي الثَّنَاءِ وَالْمَدْحِ سَهْلَ عَلَيْكَ الْإِخْلَاصُ" (3).

4- مجالسة ذوي الإخلاص؛ فالجلوس يتأثر بجليسه.

5- مجاهدة النفس على التحلي بالإخلاص.

6- الدعاء.

كان من دعاء عمر بن الخطاب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: "اللهم، اجعل عملي كله صالحاً، واجعله لوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه شيئاً" (4).

(1) صفة الصفوة (2/ 175).

(2) الإخلاص والنية لابن أبي الدنيا (ص: 35).

(3) الفوائد لابن القيم (ص: 149).

(4) تفسير القاسمي (3/ 155).

قدوة صالحة:

1- **عَنِ الْحَسَنِ** قَالَ: "إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لِيَجْتَمِعَ إِلَيْهِ الْقَوْمُ أَوْ يَجْتَمِعُونَ يَتَذَكَّرُونَ فَتَجِيءُ الرَّجُلَ عِبْرَتُهُ فَيَرُدُّهَا، ثُمَّ تَجِيءُ فَيَرُدُّهَا، ثُمَّ تَجِيءُ فَيَرُدُّهَا، فَإِذَا خَشِيَ أَنْ يَفْلِتَ قَامَ" (1).

2- **"كَانَ** ابن أبي ليلى يصلي، فإذا دخل عليه أحد نام على فراشه" (2).

3- **عَنْ مَعْمَرٍ** قَالَ: "بَكَى رَجُلٌ إِلَى جَنْبِ الْحَسَنِ فَقَالَ: قَدْ كَانَ أَحَدُهُمْ يَبْكِي إِلَى جَنْبِ صَاحِبِهِ فَمَا يَعْلَمُ بِهِ" (3).

4- **عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ وَاسِعٍ**، قَالَ: "لَقَدْ أَدْرَكْتُ رَجُلًا كَانَ الرَّجُلُ يَكُونُ رَأْسُهُ وَرَأْسُ امْرَأَتِهِ عَلَى وَسَادٍ وَاحِدٍ قَدْ بَلَ مَا تَحْتَ خَدِّهِ مِنْ دُمُوعِهِ لَا تَشْعُرُ بِهِ امْرَأَتُهُ، وَاللَّهِ لَقَدْ أَدْرَكْتُ رَجُلًا كَانَ أَحَدُهُمْ يَقُومُ فِي الصَّفِّ فَتَسِيلُ دُمُوعُهُ عَلَى خَدِّهِ لَا يَشْعُرُ الَّذِي إِلَى جَنْبِهِ" (4).

5- **عَنْ أَبِي التَّيَّاحِ** قَالَ: "إِنْ كَانَ الرَّجُلُ يَتَعَبَّدُ عِشْرِينَ سَنَةً وَمَا يَعْلَمُ بِهِ جَارُهُ" (5).

(1) الإخلاص والنية لابن أبي الدنيا (ص: 63).

(2) اللطائف (ص: 10).

(3) الإخلاص والنية لابن أبي الدنيا (ص: 60).

(4) المصدر السابق (ص: 61).

(5) المصدر السابق.



6- قال حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ: "بَكَى أَيُّوبُ مَرَّةً، فَأَخَذْنَا مِنْهُ فَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ الزَّكَمَةُ رُبَّمَا عَرَضَتْ" (1).

7- عَنْ الْحَسَنِ قَالَ: "إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَكُونُ عِنْدَهُ الزُّوَارُ فَيُصَلِّي الصَّلَاةَ الطَّوِيلَةَ أَوْ الْكَثِيرَةَ مِنَ اللَّيْلِ مَا يَعْلَمُ بِهَا زَوَّارُهُ" (2).

8- وَعَنْهُ أَيْضًا قَالَ: "إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَتَكُونَ لَهُ السَّاعَةُ يَخْلُو فِيهَا فَيُصَلِّي، فَيُوصِي أَهْلَهُ فَيَقُولُ: إِنْ جَاءَ أَحَدٌ يَطْلُبُنِي فَقُولُوا: هُوَ فِي حَاجَةٍ لَهُ" (3).

9- عَنْ ابْنِ عَوْنٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: "كَانُوا يَكْرَهُونَ إِذَا اجْتَمَعُوا أَنْ يُظْهَرَ الرَّجُلُ أَحْسَنَ مَا عِنْدَهُ" (4).

10- قال مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الزَّرَّادُ: "رُبَّمَا اشْتَرَى حَسَّانُ بْنُ أَبِي سِنَانٍ أَهْلَ بَيْتِ الرَّجُلِ وَعِيَالَهُ ثُمَّ يُعْتَقُهُمْ جَمِيعًا، ثُمَّ لَا يَتَعَرَّفُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُعَلِّمُهُمْ مَنْ هُوَ" (5).

(1) المصدر السابق (ص: 63).

(2) المصدر السابق (ص: 65).

(3) المصدر السابق (ص: 65).

(4) المصدر السابق (ص: 70).

(5) المصدر السابق (ص: 67).



لا يسلم الإنسان من الوقوع في التفريط في جنب الله، بمقارفة الخطايا في الليل والنهار، وترك بعض الواجبات الشرعية، ولو أخذه الله بكل ذلك لكانت الهلكة.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ [فاطر: 45].

لكن من رحمة الله تعالى وكرمه الواسع: أن جعل للعبد باباً يمحو به زلله، ويداوي علله، ألا وهو باب الاستغفار.

فقد أمر الله تعالى بالاستغفار فقال: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: 90].

ورغب عباده في هذا الطريق وأغراهم بمغفرته ورحمته وتوبته جل وعلا فقال: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: 74]، وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: 64].

وقال رسول الله ﷺ: (قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أَبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ



عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أَبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقَيْتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَا تَيْتَكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً⁽¹⁾.

وأخبر الله جل وعلا عباده المتقين بأنهم ليسوا معصومين، غير أنهم إذا أسرفوا على أنفسهم استغفروا، فقال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: 135].

وبين النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سعة حلم الله ورحمته بالعاصين فقال: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَسْطُرُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَسْطُرُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا)⁽²⁾.

إن العبد بحاجة إلى الاستغفار كثيراً، وهو مقدم على التسبيح والتحميد وغير ذلك من الأذكار؛ لأنه تخلية، وتلك تخلية، والتخلية مقدمة على التخلية، وغسل الثوب الدنس مقدم على تطيبه.

قال ابن القيم: "وقلت لشيخ الإسلام ابن تيمية **رَحِمَهُ اللَّهُ** تعالى يوماً: سئل

(1) رواه أحمد (21505)، والترمذي (3540)، والطبراني في الصغير (820) والأوسط (5483)

والكبير (12346)، والدارمي (2830)، والبيهقي في الشعب (1011)، والبزار (6760)، **قال**

الهيثمي: "رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الثَّلَاثَةِ، وَفِيهِ إِبرَاهِيمُ بْنُ إِسْحَاقَ الصَّيْنِيُّ، وَقَيْسُ بْنُ الرَّبِيعِ، وَكِلَاهُمَا مُخْتَلَفٌ فِيهِ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ رِجَالُ الصَّحِيحِ"، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد

(10/216). وصححه الألباني.

(2) رواه مسلم (2759).



بعض أهل العلم أيهما أنفع للعبد التسييح أو الاستغفار؟ فقال: إذا كان الثوب نقياً فالبخور وماء الورد أنفع له، وإذا كان دنساً فالصابون والماء الحار أنفع له. فقال لي **رَحِمَهُ اللَّهُ** تعالى: فكيف والثياب لا تزال دنسة؟⁽¹⁾.

تعريف الاستغفار:

لغة:

الْغَفْرُ: السَّتْرُ، والغفران والغفر بمعنى، **يقال**: غفر الله ذنبه غفراً ومغفرة وغفراناً، واستغفر الله تعالى لذنبيه **ومن ذنبه**: أي: طلب مغفرته. **وَالْغَفْرُ**: إلباس ما يصونه عن الدَّنَس، **ومنه قيل**: اغْفِرْ ثوبك في الوعاء، واصبغ ثوبك؛ فَإِنَّهُ أَغْفَرَ للوسخ، **وَالْغُفْرَانُ وَالْمَغْفِرَةُ من الله هو**: أن يصون العبد من أن يمسه العذاب⁽²⁾.

والغفار: اسم من أسماء الله تعالى، وهو الذي: يَغْفِرُ ذُنُوبَ عِبَادِهِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى، كُلَّمَا تَكَرَّرَتِ التَّوْبَةُ فِي الذَّنْبِ مِنَ الْعَبْدِ تَكَرَّرَتِ الْمَغْفِرَةُ؛ كَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: 82]. وَأَصْلُ الْغَفْرِ فِي اللَّغَةِ: التَّغْطِيَةُ والستر، **وَمُنْهُ قِيلَ لِجَنَّةِ الرَّأْسِ**: الْمَغْفَرُ، وَبِهِ سُمِّيَ زُبُرُ الثَّوْبِ غَفَرًا؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ يُسْتَرُ سَدَاهُ؛ فَالْغَفَارُ: السَّتَارُ لِلذُّنُوبِ عِبَادِهِ، وَالْمُسْدِلُ عَلَيْهِمْ ثَوْبَ عَظْفِهِ وَرَأْفَتِهِ، وَمَعْنَى السَّتْرِ فِي هَذَا: أَنَّهُ لَا يَكْشِفُ أَمْرَ الْعَبْدِ لِخَلْقِهِ وَلَا يَهْتِكُ سِتْرَهُ بِالْعُقُوبَةِ الَّتِي تَشْهَرُ فِي عِيُونِهِمْ⁽³⁾.

(1) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: 92).

(2) ينظر: مقاييس اللغة (4/ 385)، شمس العلوم (8/ 4982)، المفردات في غريب القرآن (ص: 609).

(3) شأن الدعاء (1/ 52).



اصطلاحاً :

الاستِغْفَارُ: طلب غفران الذنب بالمقال والفعال⁽¹⁾.

وقيل: طلب المغفرة بعد رؤية قبح المعصية، والإعراض عنها⁽²⁾.

فضل الاستغفار:

للاستغفار فضل كبير، فمن ذلك:

1- أنه شُرع في ختام عدد من الأعمال الصالحة؛ ليقبل به عمل العامل
ويجبر خلله فيه:

- فعندما ينصرف المسلم من صلاة الفريضة يستغفر الله ثلاثاً، ثم يقول بقية الأدعية: **فَعَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَنْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا وَقَالَ: (اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) قَالَ الْوَلِيدُ: فَقُلْتُ لِلْأَوْزَاعِيِّ: "كَيْفَ الِاسْتِغْفَارُ؟" قَالَ: تَقُولُ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ"⁽³⁾.

- وفي ختام صلاة الليل يستغفر الله: قال تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: 17-18].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى

(1) المفردات في غريب القرآن (ص: 609).

(2) التعريفات (ص: 18).

(3) رواه مسلم (591).

كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ⁽¹⁾.

-وعند الانتهاء من أداء أعظم أركان الحج يستغفر الله: قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة 199].

-وبعد التضحيات العظيمة، والجهاد الطويل، والصعاب المتتالية والانتصارات الإسلامية الممتدة يقول الله تعالى لرسوله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر 1-3].

2- أنه شرع عند حصول الخسوف والكسوف:

فَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَسَفَتِ الشَّمْسُ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَرَعَا، يَخْشَى أَنْ تَكُونَ السَّاعَةُ، فَاتَى الْمَسْجِدَ، فَصَلَّى بِأَطْوَلِ قِيَامٍ وَرُكُوعٍ وَسُجُودٍ رَأَيْتُهُ قَطُّ يَفْعَلُهُ، وَقَالَ: (هَذِهِ الْآيَاتُ الَّتِي يُرْسِلُ اللَّهُ لَا تَكُونُ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنْ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، فَافْزَعُوا إِلَى ذِكْرِهِ وَدُعَائِهِ وَاسْتَغْفَارِهِ)⁽²⁾.

3 - أنه يغضب الشيطان ويوقف هدف إغوائه:

فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّ

(1) رواه البخاري (1145)، ومسلم (758).

(2) رواه البخاري (1059)، ومسلم (912).



إِبْلِيسَ قَالَ لِرَبِّهِ: بِعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ لَا أَبْرَحُ أُغْوِي بَنِي آدَمَ مَا دَامَتِ الْأَرْوَاحُ فِيهِمْ، فَقَالَ لَهُ اللَّهُ: فَبِعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَبْرَحُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي (1).

4- أنه عبادة تقوم الملائكة بها لنفع المؤمنين:

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: 7].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (الملائكة تُصَلِّي على أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ، مَا لَمْ يُحْدِثْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، وَلَا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا دَامَتِ الصَّلَاةُ تَحْسِبُهُ، لَا يَمْنَعُهُ أَنْ يَنْقَلِبَ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا الصَّلَاةُ) (2).

الإكثار من الاستغفار:

على المسلم أن يكثر من الاستغفار في الليل والنهار، وفي جميع الأحوال والأماكن التي يشرع فيها ذكر الله؛ لما في ذلك من الخير العظيم على المستغفر.

(1) رواه أحمد (11244)، وأبو يعلى (1399)، والطبراني في الأوسط (8788)، والحاكم (7672)، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي: "رواه أحمد، وأبو يعلى بنحوه، وقال: «لَا أَبْرَحُ أُغْوِي عِبَادَكَ». وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَأَحَدُ إِسْنَادَيْ أَحْمَدَ رِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ، وَكَذَلِكَ أَحَدُ إِسْنَادَيْ أَبِي يَعْلَى"، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (207/10).

(2) رواه البخاري (659)، ومسلم (649).

فعن عبد الله بن بسرٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا) (1).

وعن عبد الله بن عُمَرَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (يَا مَعْشَرَ النَّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ وَأَكْثِرْنَ الْإِسْتِغْفَارَ؛ فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ) (2).

وعن هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (مَنْ أَحَبَّ أَنْ تَسْرَهُ صَحِيفَتُهُ، فَلْيُكْثِرْ فِيهَا مِنَ الْإِسْتِغْفَارِ) (3).

وقال لقمان لابنه: "يا بني، عود لسانك الاستغفار؛ فإن الله ساعات لا يرد فيهن سائلاً" (4).

وقال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إني لأستغفر الله وأتوب إليه كل يوم ألف مرة، وذلك على قدر ديتي.

وقال أبو المنهال: ما جاور عبد في قبره من جارٍ أحب إليه من استغفار كثير (5).

(1) رواه النسائي في الكبرى (10216)، وابن ماجه (3818)، والطبراني في الدعاء (1789)، البزار (3508)، والبيهقي في شعب الإيمان (637)، وجيد النووي إسناده. الأذكار للنووي (ص: 636). وصححه الألباني.

(2) رواه مسلم (79).

(3) رواه الطبراني في الأوسط (839)، والبيهقي في شعب الإيمان (639)، والضياء في المختارة (892)، قال الهيثمي: "رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَرَجَّاهُ ثِقَاتٌ". مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (208 / 10)

(4) لطائف المعارف لابن رجب (ص: 214).

(5) جامع العلوم والحكم (3 / 1173).



وروي عن الحسن أنه كان يقول: أكثرُوا من الاستغفار في بيوتكم، وعلى موائدكم، وفي طرقكم، وفي أسواقكم، وفي مجالسكم، وأينما كنتم؛ فإنكم لا تدرون متى تنزل المغفرة⁽¹⁾.

ثمرات الاستغفار:

للاستغفار ثمرات جليلة، تعود على صاحبه بالخير في الدنيا والآخرة، فمن ذلك:

1- السلامة من العذاب:

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: 33].

وعن أبي موسى **رضي الله عنه** قال: "أَمَانَانِ كَانَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، رُفِعَ أَحَدُهُمَا، وَبَقِيَ الْآخَرُ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: 33]"⁽²⁾.

وقال قتادة بن دعامة: القرآن يدلکم عن دلائکم ودوائکم؛ أما دوائکم فالذنوب، وأما دوائکم فالاستغفار. وقال علي **رضي الله عنه**: العجب ممن يهلك

(1) سير السلف الصالحين لإسماعيل بن محمد الأصبهاني (ص: 739).

(2) رواه أحمد (19506)، والترمذي (3082)، والبيهقي في شعب الإيمان (645)، والحاكم

(1988)، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه". وضعف إسناده:

الألباني، وقال الأرناؤوط: "صحيح لغيره".



ومعه النجاة. قيل: وما هي؟ قال: الاستغفار. وكان يقول: ما ألهم الله سبحانه عبداً الاستغفار وهو يريد أن يعذبه⁽¹⁾.

2- تفريج الكرب وحصول الرزق والولد:

قال تعالى: ﴿قُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلَ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: 10-12].

"قال الشعبي: خرج عمر يستسقي، فلم يزد على الاستغفار، فقالوا: ما رأيك استسقيت! فقال: لقد طلبت الغيث بمجاديح السماء التي يستنزلون بها المطر، ثم قرأ: ﴿قُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلَ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: 10-12]⁽²⁾.

"وعن الحسن: "أن رجلاً شكاً إليه الجذب، فقال: استغفر الله. وشكاً إليه آخر الفقر، وآخر قلة السيل، وآخر قلة ريع أرضه، فأمرهم كلهم بالاستغفار. فقال له بعض القوم: أذاك رجال يشكون إليك أنواعاً من الحاجة، فأمرتهم كلهم بالاستغفار! فتلا له الآية"⁽³⁾.

(1) إحياء علوم الدين (1/ 313).

(2) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: 119).

(3) تفسير الرازي (30/ 652).



وقال جعفر بن محمد لسفيان الثوري: يا سفيان، إذا استبطأت الرزق فأكثر من الاستغفار؛ فإن الله تعالى قال في كتابه: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلَ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ [نوح: 10-12] يعني: في الدنيا ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ﴾ [نوح: 12] في الآخرة" (1).

3- غفران الذنوب:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: 110].

وعن بلال بن يسار بن زيد، حدَّثني أبي، عن جدي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: (مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، غُفِرَ لَهُ وَإِنْ كَانَ قَرَّ مِنَ الرَّحْفِ) (2).

وعن أسماء بن الحَكَمِ الفَزَارِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا، يَقُولُ: إِنِّي كُنْتُ رَجُلًا إِذَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثًا نَفَعَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِمَا شَاءَ أَنْ يَنْفَعَنِي، وَإِذَا حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ اسْتَحْلَفْتُهُ. فَإِذَا حَلَفَ لِي صَدَّقْتُهُ، وَإِنَّهُ حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ، وَصَدَقَ أَبُو بَكْرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: مَا مِنْ رَجُلٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا ثُمَّ يَقُومُ فَيَتَطَهَّرُ، ثُمَّ يُصَلِّي ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِلَّا غُفِرَ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا

(1) صفة الصفوة (1/ 391).

(2) رواه أبو داود (1517)، والترمذي (3577)، والطبراني في الكبير (4670)، والحاكم (2550)

وقال: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخَرِّجْهُ" **ووافقه الذهبي**، وصححه الألباني والأرنؤوط.



فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَّرُوا اللَّهَ ﴿١﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ [آل عمران: 135] (1).

وعن الربيع بن خثيم، أنه قال لأصحابه: ما الداء؟ وما الدواء؟ وما الشفاء؟ قالوا: لا نعلم. قال: الداء: الذنوب، والدواء: الاستغفار، والشفاء: أن تتوب فلا تعود" (2).

وقال أبو يحيى: "شكوت إلى مجاهد الذنوب، فقال: أين أنت من الممحة؟ يعني: من الاستغفار" (3).

4- كسب الحسنات الكثيرة:

عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (مَنْ اسْتَغْفَرَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ حَسَنَةً) (4).

5- الظفر بالحياة الطيبة:

قال تعالى: ﴿وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ [هود: 3].

(1) رواه أحمد (2)، والترمذي (3006)، والنسائي في الكبرى (10178)، وابن ماجه (1395)، والبيهقي في الشعب (6675)، وأبو داود الطيالسي (1)، وأبو يعلى (13)، وصححه الألباني وحسنه الأرناؤوط.

(2) الزهد لأحمد بن حنبل (ص: 274).

(3) الزهد لأحمد بن حنبل (ص: 307).

(4) رواه الطبراني في مسند الشاميين (2155) **قال الهيثمي:** "رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ، وَإِسْنَادُهُ جَيِّدٌ". مجمع

الزوائد ومنبع الفوائد (210 / 10)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته



6- إنزال المطر وحصول القوة:

قال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: 52].

7- قال شيخ الإسلام: "الاستغفار يخرج العبد من الفعل المكروه إلى الفعل المحبوب، ومن العمل الناقص إلى العمل التام، ويرفع العبد من المقام الأدنى إلى الأعلى منه والأكمل؛ فإن العابد لله والعارف بالله في كل يوم، بل في كل ساعة، بل في كل لحظة يزداد علماً بالله، وبصيرة في دينه وعبوديته بحيث يجد ذلك في طعامه وشرابه، ونومه ويقظته وقوله وفعله، ويرى تقصيره في حضور قلبه في المقامات العالية وإعطائها حقها، فهو يحتاج إلى الاستغفار آناء الليل وأطراف النهار؛ بل هو مضطر إليه دائماً في الأقوال والأحوال في الغرائب والمشاهد؛ لما فيه من المصالح وجلب الخيرات ودفع المضرات، وطلب الزيادة في القوة في الأعمال القلبية والبدنية اليقينية الإيمانية.

وقد ثبتت: دائرة الاستغفار بين أهل التوحيد واقتراها بشهادة أن لا إله إلا الله من أولهم إلى آخرهم، ومن آخرهم إلى أولهم، ومن الأعلى إلى الأدنى. وشمول دائرة التوحيد والاستغفار للخلق كلهم وهم فيها درجات عند الله ولكل عامل مقام معلوم. فشهادة أن لا إله إلا الله بصدق ويقين تذهب الشرك كله دقه وجله خطأ وعمده أوله وآخره، سره وعلايته، وتأتي على جميع صفاته وخفاياه ودقائقه، والاستغفار يمحو ما بقي من عثراته، ويمحو الذنب الذي هو من شعب الشرك؛ فإن الذنوب كلها من شعب الشرك.

فالتوحيد يذهب أصل الشرك، والاستغفار يمحو فروعه، فأبلغ الشاء قول: لا إله إلا الله، وأبلغ الدعاء: قول: أستغفر الله ⁽¹⁾.

الاستغفار النافع:

يجب على المسلم أن يكون صادقاً فيما يقول، فيقرن صدق القول بصدق الفعل، فالاستغفار النافع: ما كان أوله العزم على الإقلاع عن الذنب والندم على اقترافه، ثم الاستجابة والإنابة والتوبة، فيجمع هذا الاستغفار أعمال القلوب وأعمال الجوارح.

فهذا هو الاستغفار النافع.

أما ذكر اللسان بدون مطابقة الفعل واستقامة الطريق فإنه استغفار قد لا ينفع صاحبه.

قال ابن رجب: "فالاستغفار التام الموجب للمغفرة: هو ما قارن عدم الإصرار، كما مدح الله أهله، ووعدهم المغفرة.

قال بعض العارفين: من لم يكن ثمرة استغفاره تصحيح توبته، فهو كاذب في استغفاره، وكان بعضهم يقول: استغفارنا هذا يحتاج إلى استغفار كثير، **وفي ذلك يقول بعضهم:**

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ لَفْظَةٍ بَدَرَتْ خَالَفَتْ مَعْنَاهَا

(1) مجموع الفتاوى (11/696).



وَكَيْفَ أَرْجُو إِجَابَاتِ الدُّعَاءِ وَقَدْ سَدَدْتُ بِالذَّنْبِ عِنْدَ اللَّهِ مَجْرَاهَا

فأفضل الاستغفار: ما اقترن به ترك الإصرار، وهو حينئذ توبة نصوح، وإن قال بلسانه: أستغفر الله، وهو غير مقلع بقلبه، فهو داع لله بالمغفرة، كما يقول: اللهم اغفر لي، وهو حسن، وقد يرجى له الإجابة، وأما من قال: هو توبة الكذابين، فمراده: أنه ليس بتوبة، كما يعتقد بعض الناس، وهذا حق؛ فإن التوبة لا تكون مع الإصرار⁽¹⁾.

وقالت رابعة العدوية: "استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير"⁽²⁾.

وسئل سهل التستري عن الاستغفار الذي يكفر الذنوب فقال: "أول الاستغفار الاستجابة، ثم الإنابة، ثم التوبة. فالاستجابة: أعمال الجوارح، والإنابة: أعمال القلوب، والتوبة: إقباله على مولاه بأن يترك الخلق، ثم يستغفر الله من تقصيره الذي هو فيه"⁽³⁾.

وقال الراغب: "وقوله: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: 10] لم يؤمروا بأن يسألوه ذلك باللسان فقط، بل باللسان وبالفعال، فقد قيل: الاستغفار باللسان من دون ذلك بالفعال فعل الكذابين، وهذا معنى: ﴿أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: 60]"⁽⁴⁾.

(1) تفسير ابن رجب الحنبلي (1/ 152).

(2) الأذكار للنووي (ص: 637).

(3) إحياء علوم الدين (4/ 48).

(4) المفردات في غريب القرآن (ص: 609).

"وَسَمِعَ أَعْرَابِيٌّ وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنْ اسْتَغْفَرِيَّ مَعَ إِصْرَارِي لِلذُّمِّ، وَإِنْ تَرَكَتِي اسْتَغْفَارُكَ مَعَ عِلْمِي بِسَعَةِ عَفْوِكَ لِعَجْزِي، فَكَمْ تَتَحَبَّبُ إِلَيَّ بِالنِّعَمِ مَعَ غِنَاكَ عَنِّي، وَكَمْ أَتَبْغِضُ إِلَيْكَ بِالْمَعَاصِي مَعَ فَقْرِي إِلَيْكَ، يَا مَنْ إِذَا وَعَدَ وَفَّى، وَإِذَا أَوْعَدَ عَفَا، أَدْخَلَ عَظِيمَ جُرْمِي فِي عَظِيمِ عَفْوِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ" (1).

أَحْسِنِ الْاسْتِغْفَارَ:

إِنْ أَحْسَنَ الْاسْتِغْفَارَ: ما جمع الثناء على الله تعالى، والاعتراف بالفقر والحاجة إليه، وبنعمته على عبده، وجميل صنعه فيه، مع الدوام والاستمرار.

فَعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:** عَنِ النَّبِيِّ **ﷺ** قَالَ: (سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ: أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذُنُوبِي فَاعْفُرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ) قَالَ: (وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ) (2).

قال ابن القيم: "فتضمن هذا الاستغفار: الاعتراف من العبد بربوبية الله، وإلهيته وتوحيده، والاعتراف بأنه خالقه، العالم به، إذ أنشأه نشأة تستلزم عجزه

(1) إحياء علوم الدين (1/ 313).

(2) رواه البخاري (6306).



عن أداء حقه وتقصيره فيه، والاعتراف بأنه عبده الذي ناصيته بيده وفي قبضته، لا مهرب له منه، ولا ولي به سواه...⁽¹⁾.

الفرق بين الاستغفار والتوبة:

هناك فروق بين الاستغفار والتوبة، منها:

- 1 - التوبة ترك المرء الإثم والعزم على الترك مع الندامة على ما فعل، بخلاف الاستغفار؛ فإنه يكون من الشخص لنفسه ولغيره⁽²⁾.
- 2 - التوبة هي: الندم على ما فرط منه في الماضي، والعزم على الامتناع عنه في المستقبل.

والاستغفار: طلب المغفرة، وأصله: ستر العبد فلا يفضح، ووقايته من شر الذنب فلا يُعاقب عليه، فمغفرة الله لعبده تتضمن أمرين: ستره فلا يفضحه، ووقايته أثر معصيته فلا يؤاخذ عليها، وبهذا يعلم أن بين الاستغفار والتوبة فرقاً، فقد يستغفر العبد ولم يتب كما هو حال كثير من الناس، لكن التوبة تتضمن الاستغفار⁽³⁾.

- 3 - وقال ابن القيم: "وأما من أصر على الذنب، وطلب من الله مغفرته، فهذا ليس باستغفار مطلق؛ ولهذا لا يمنع العذاب، فالاستغفار يتضمن التوبة،

(1) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (1/ 236).

(2) العرف الشذي شرح سنن الترمذي (1/ 384)، فيض الباري على صحيح البخاري

(6/ 218).

(3) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب (4/ 93).

والتوبة تتضمن الاستغفار، وكل منهما يدخل في مسمى الآخر عند الإطلاق.

وأما عند اقتران إحدى اللفظتين بالأخرى، **فلاستغفار**: طلب وقاية شر ما مضى، **والتوبة**: الرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله.

فهاهنا ذنبان: ذنب قد مضى، **فلاستغفار منه**: طلب وقاية شره، وذنب يخاف وقوعه، **فالتوبة**: العزم على أن لا يفعله. والرجوع إلى الله يتناول النوعين: رجوع إليه ليقية شر ما مضى، ورجوع إليه ليقية شر ما يستقبل من شر نفسه وسيئات أعماله.

وأيضاً فإن المذنب بمنزلة من ركب طريقاً تؤديه إلى هلاكه، ولا توصله إلى المقصود، فهو مأمور أن يوليها ظهره، ويرجع إلى الطريق التي فيها نجاته، والتي توصله إلى مقصوده، وفيها فلاحه.

فهاهنا أمران لا بد منهما: مفارقة شيء، والرجوع إلى غيره، فخصت التوبة بالرجوع، والاستغفار بالمفارقة، وعند أفراد أحدهما يتناول الأمرين؛ ولهذا جاء -والله أعلم- الأمر بهما مرتباً بقوله: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ [هود: 3] فإنه الرجوع إلى طريق الحق بعد مفارقة الباطل.

وأيضاً فلاستغفار من باب إزالة الضرر، والتوبة طلب جلب المنفعة، فالمغفرة أن يقيه شر الذنب، والتوبة أن يحصل له بعد هذه الوقاية ما يحبه، وكل منهما يستلزم الآخر عند إفراده، والله أعلم⁽¹⁾.

(1) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (1/ 315).



قدوة صالحة :

إننا مهما قلّت ذنوبنا، وبلغنا المراتب العالية في الصلاح والتقوى؛ فنحن بحاجة إلى عبادة الاستغفار، ولنا قدوة بأعبد الناس وخيرهم وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: **فَادَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ** عندما اقترب الخطيئة في السماء هبط بها إلى الأرض، فلم يرتفع بعد ذلك عند أهل السماء والأرض إلا عندما أناب واستغفر، قال تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف 23].

وقال تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة 37].

ونبينا محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -الذي قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر- كان يُعدّ له في المجلس الواحد: (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ) مائة مرّة⁽¹⁾.

وقال ﷺ: (إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي⁽²⁾، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، فِي الْيَوْمِ مِائَةً مَرَّةً⁽³⁾).

(1) رواه أحمد (4726)، وأبو داود (1516)، والترمذي (3434)، والنسائي في الكبرى (10219)، وابن حبان (927)، والطبراني في الأوسط (6267)، والبزار (5906)، وابن أبي شيبة (35073)، **قال الترمذي**: "حسن صحيح"، وصححه ابن حبان والألباني والأرنؤوط.

(2) **قال القاضي**: قيل: المراد: الفترات والغفلات عن الذكر الذي كان شأنه الدوام عليه، فإذا فتر عنه أو غفل عد ذلك ذنباً واستغفر منه". شرح النووي على مسلم (23 / 17).

(3) رواه مسلم (2702).

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ مِنْ قَوْلٍ: (سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ) قَالَتْ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْكَ تَكْثِرُ مِنْ قَوْلٍ: (سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ؟ فَقَالَ: (خَبَرَنِي رَبِّي أَنِّي سَأَرَى عَلَامَةً فِي أُمَّتِي، فَإِذَا رَأَيْتُهَا أَكْثَرْتُ مِنْ قَوْلٍ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، فَقَدْ رَأَيْتُهَا ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: 1]، فَتُح مَكَّةَ، ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: 3] (1).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً) (2).

وَعَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةً مَرَّةً) (3).

(1) رواه مسلم (484).

(2) رواه البخاري (6307).

(3) رواه أحمد (9807)، والنسائي في الكبرى (10195)، والترمذي (3815)، وابن ماجه (3815)، والطبراني في الأوسط (2954)، وابن أبي شيبة (29442)، وحسن إسناده الهيثمي. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (208/10). **وقال البوصيري:** "هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ رِجَالُهُ ثِقَاتٌ"، مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه (133/4).



إن الإنسان في هذه الحياة قد ترغب نفسه وهواه في أشياء ينال منها لذته، أو يحصل فيها منفعته، ولكن تلك الأشياء قد يكون في تناولها خسارات أو مكاره. **فمن الناس** من لا يفكر في هذه العواقب المضرّة فيقتحم مرغوبه حتى يلقيه في حماتها.

وهناك صنف آخر يرجعون إلى عقولهم مسترشدين للإقدام أو الإحجام، فتنهاهم عقولهم عن تناول تلك المرغوبات؛ خشية عواقبها. ففي هذا نلاحظ أن تلك العقول المنيّرة مثّلت وقاية صلبة وسيّجاً سميكاً حال بينهم وبين ما يؤذيهم تناوله.

وهذا التنوع للناس فيما يرغبون من شؤون الدنيا ونتائج ذلك موجود لدى كل الناس، مسلمهم وكافرهم.

لكننا نحن المسلمين لدينا دين يأمرنا بفعل أشياء، وينهانا عن أخرى، ويترتب على ذلك الجزاء الأخروي، بل وشيء من الجزاء في الدنيا.

فالمسلم العامل بدينه، الطالب مرضاة ربه يتقي مولاه فيما يأتي ويذر، فيكون ما استقر في نفسه من التقوى هو المصباح الذي يمشي وراء ضوائه في

جميع مسالك الحياة، فما بث فيه نوره اتبعه ومضى فيه، وما ألفاه فاقداً لنوره سلك درباً آخر غيره.

تعريف التقوى:

لغة:

مشتقة من الوقاية، وهي: حفظ الشيء مما يؤذيه، ويضره. **يقال**: وقاه وقياً ووقاية وواقية: صانه. **والتوقية**: الكلاءة، والحفظ. **وقيل**: الأصل فيها: وقاية النساء التي تستر المرأة بها رأسها، تقيها من غبار، وحر، وبرد. **والوقاية**: ما وقيت به شيئاً. ومن ذلك: فرس واقٍ: إذا كان يهاب المشي من وجع يجده في حافره. **فأصل تقوى: وقوى**، أبدلت الواو تاء؛ ك تراث، وتجاه. **وكذلك اتقى يتقى أصله**: اوتقى، على افتعل. فقلبت الواو ياء؛ لانكسار ما قبلها، وأبدلت منها التاء، وأدغمت. فلما كثر استعماله على لفظ الافتعال توهموا أن التاء من نفس الكلمة، فجعلوه تَقَى يتقى، بفتح التاء فيها. ثم لم يجدوا له مثلاً في كلامهم يلحقونه به، فقالوا: تَقَى يتقى مثل: قضى يقضي. وتقول في الأمر: تَقِ، وفي المؤنث تَقِي.

والتقوى البالغة الجامعة: اجتناب كل ما فيه ضرر لأمر الدين، وهو المعصية، والفضول. فعلى ذلك ينقسم على فرض، ونفل⁽¹⁾.

(1) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (2/ 299-300).



اصطلاحاً :

للعلماء عبارات متنوعة في بيان معنى التقوى، فمن ذلك:

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في معناها: أن يُطاع الله فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر⁽¹⁾.

قال ابن رجب: "وشكره يدخل فيه جميع فعل الطاعات. ومعنى ذكره فلا ينسى: ذكر العبد بقلبه لأوامر الله في حركاته وسكناته وكلماته فيمثلها، ولنواهيه في ذلك كله فيجتنبها⁽²⁾".

وقد يغلب استعمال التقوى على اجتناب المحرمات كما قال أبو هريرة وسئل عن التقوى، فقال: هل أخذت طريقاً ذا شوك؟ قال: نعم، قال: فكيف صنعت؟ قال: إذا رأيت الشوك عدلت عنه، أو جاوزته، أو قصرت عنه، قال: ذاك التقوى. **وأخذ هذا المعنى ابن المعتز فقال:**

خَلَّ الذُّنُوبَ صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا فَهُوَ التَّقَى
وَاصْنَعْ كَمَا شِ فَوْقَ أَرْ ضِ الشَّوْكِ يَحْذَرُ مَا يَرَى
لَا تَحْقِرَنَّ صَغِيرَةً إِنَّ الْجَبَالَ مِنَ الْخَصَى⁽³⁾

وقال الراغب: "التَّقْوَى في تعارف الشرع: حفظ النفس عما يؤثم، وذلك

(1) جامع العلوم والحكم (1/ 401).

(2) جامع العلوم والحكم (1/ 401-402).

(3) جامع العلوم والحكم (1/ 402).



بترك المحظور، ويتم ذلك بترك بعض المباحات لما روي: (الحلال بين، والحرام بين، ومن رتع حول الحمى فحقيق أن يقع فيه) (1).

أهمية التقوى:

للتقوى في دين الإسلام أهمية عظيمة، ومما يدل على ذلك:

1- أن الله تعالى أوصى بها، ولا يوصي الله تعالى بشيء إلا لأهميته والحث

على ملازمته:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا

الله﴾ [النساء: 131].

2- أن رسول الله عليه الصلاة والسلام كان يوصي بها أصحابه مبتدئاً ومجيباً:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ فقلت: أوصني، قال: (أوصيك بتقوى الله؛ فإنها رأس كل شيء) (2).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى رسول الله ﷺ رجل يريد السفر فودعه فقال: أوصني، فقال: (أوصيك بتقوى الله، والتكبير على كل شرف) (3).

(1) المفردات في غريب القرآن (ص: 881).

(2) رواه أحمد (11774)، قال الهيثمي: "ورجال أحمد ثقات"، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (4/ 215)، وضعفه الأرنؤوط، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (1/ 498).

(3) رواه أحمد (8310)، وابن ماجه (2771)، وابن حبان (2692)، وابن خزيمة (2561)، والبيهقي في الكبرى (10313)، والبخاري (8528)، وابن أبي شيبة (29608)، والحاكم (2481) =



وفي حديث العرباض بن سارية **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**... فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةٌ مُودَّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ فَقَالَ: (أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ...) (1).

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْصِنِي. قَالَ: (اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ) (2).

3- كان الصالحون يوصون بها كثيراً:

كَتَبَ لَيْثٌ: "مِنْ لَيْثِ بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ طَرْحَانَ: سَلَامٌ عَلَيْكَ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ، فَإِنَّ الْمُتَّقِي يَنْفَعُهُ مِنْ عَمَلِهِ مَا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ، جَعَلْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ بِرَحْمَتِهِ مِنَ الْمُتَّقِينَ" (3).

= **وقال:** "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ" **ووافقه الذهبي**، وحسنه الترمذي والألباني.

(1) رواه أحمد (17145)، وأبو داود (4607)، والترمذي (2676)، والبيهقي في الكبرى (20338)، والطبراني في الكبير (617)، والدارمي (96)، وابن حبان (5)، والحاكم (329) **وقال:** "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ لَيْسَ لَهُ عِلَّةٌ" **ووافقه الذهبي**، وصححه الترمذي والألباني والأرنؤوط.

(2) رواه أحمد (21354)، والترمذي (1987)، والدارمي (2833)، والبيهقي في شعب الإيمان (7663)، والبزار (4022)، والطبراني في الصغير (530) والأوسط (3779) والكبير (296)، وابن أبي شيبة (25324)، والخراطي في مكارم الأخلاق (5)، وحسنه الترمذي والألباني والأرنؤوط.

(3) الزهد لابن أبي الدنيا (ص: 213).

4- أن الله تعالى أمر بها في آيات كثيرة؛ فأمر بها الناس عموماً، وأمر بها المؤمنين خصوصاً، وأمر بها نبيه محمداً عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1].

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102].

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الأحزاب: 1].

5- أن رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كان يأمر بها كثيراً في حثه على امتثال بعض الأوامر، واجتناب بعض النواهي:

- ففي النهي عن الجور بين الأولاد قال رسول الله ﷺ: (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ) (1).

- وفي الأمر بالصبر على الزوجات قال: (اتَّقِ اللَّهَ، وَأَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ) (2).

وفي الأمر بالإحسان إلى الحيوان قال: (اتَّقُوا اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ الْمُعْجَمَةِ،

(1) رواه البخاري (2587)، ومسلم (1623).

(2) رواه البخاري (7420).



فَارْكَبُوهَا صَالِحَةً، وَكُلُوهَا صَالِحَةً⁽¹⁾.

وفي الأمر بالأمانة في الوظيفة قال لعبادة بن الصامت **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** -عندما استعمله في الصدقة-: (اتَّقِ اللَّهَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ، لَا تَأْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِبَعِيرٍ تَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِكَ لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقَرَةٌ لَهَا خُورٌ، أَوْ شَاةٌ لَهَا ثَوَاجٍ)، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ ذَا لِكَذًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ **ﷺ**: (إِي، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِلَّا مِنْ رَحِمِ اللَّهِ) قَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَعْمَلُ عَلَى اثْنَيْنِ أَبَدًا⁽²⁾.

6- أن التقوى خير زاد يتزوده الإنسان في هذه الدنيا إلى دار الآخرة:

قال الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾

[البقرة: 197].

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ **ﷺ** فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أُرِيدُ سَفَرًا فَزَوِّدْنِي. قَالَ: (زَوِّدَكَ اللَّهُ التَّقْوَى)، قَالَ: زِدْنِي، قَالَ: (وَعَفَرَ ذَنْبَكَ) قَالَ: زِدْنِي بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، قَالَ: (وَيَسِّرْ لَكَ الْخَيْرَ حَيْثُمَا كُنْتَ)⁽³⁾.

قال الشاعر:

- (1) رواه أبو داود (2548)، وابن خزيمة (2545)، وصححه الألباني والأرنؤوط.
- (2) رواه الشافعي في مسنده (667)، والبيهقي في معرفة السنن (8420)، والحميدي في مسنده (919) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (82/1).
- (3) رواه الترمذي (3444)، والدارمي (2713)، وابن خزيمة (2532)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (502)، والبزار (6933)، والخرائطي في مكارم الأخلاق (808)، والحاكم (2477) وسكت عنه الذهبي. **وقال الترمذي**: "حسن صحيح".

تَزَوَّدْ مِنَ التَّقْوَى فَإِنَّكَ لَا تَذَرِي إِذَا جَنَّ لَيْلٌ هَلْ تَعِيشُ إِلَى الْفَجْرِ
فَكَمْ مِنْ سَلِيمٍ مَاتَ مِنْ غَيْرِ عَلَّةٍ وَكَمْ مِنْ سَقِيمٍ عَاشَ حِينًا مِنَ الدَّهْرِ (1)

7- أن التقوى خير لباس للمؤمن يجمّل باطنه وظاهره:

قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ
التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 26].

و"المراد بالتقوى: تقوى الله وخشيته، وأطلق عليها اللباس إما بتخييل
التقوى بلباس يلبس، وإما بتشبيه ملازمة تقوى الله بملازمة اللباس لباسه، كقوله
تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِهِنَّ﴾ [البقرة: 187] مع ما يحسن هذا
الإطلاق من المشاكلة" (2).

قال الشاعر:

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَلْبَسْ ثِيَابًا مِنَ التَّقَى تَقَلَّبَ عُريَانًا وَإِنْ كَانَ كَاسِيَا
وَخَيْرُ خِصَالِ الْمَرْءِ طَاعَةُ رَبِّهِ وَلَا خَيْرَ فَيَمَنُ كَانَ اللَّهُ عَاصِيَا (3)

صفات المتقين:

ذكر الله تعالى في عدة آيات صفات المتقين وعلاماتهم؛ دعوة للناس
للتمسك بها حتى يكون من هذا الصنف الكريم:

(1) الاستعداد للموت (127).

(2) التحرير والتنوير (8 / 75).

(3) لطائف المعارف لابن رجب (ص: 112).



أ- قال الله تعالى: ﴿الْم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: 1-5].

ففي هذه الآيات من الصفات:

- 1- الإيمان بالغيب.
- 2- إقامة الصلاة.
- 3- الإنفاق في مرضاة الله.
- 4- الإيمان بالقرآن وسائر الكتب التي نزلت من عند الله على رسله.
- 5- اليقين بالآخرة.

ب- وقال الله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: 177].

ففي هذه الآية من الصفات:

- 1- الإيمان بالله واليوم الآخر وبكتبه ورسله وملائكته.
- 2- إنفاق المال في الأقارب واليتامى والمساكين وأبناء السبيل وتحرير الأرقاء.
- 3- إقامة الصلاة.
- 4- إيتاء الزكاة.
- 5- الوفاء بالعهد.
- 6- الصبر على الفقر والمرض.



ج- وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: 133-135].

ففي هذه الآيات من الصفات:

- 1- الإنفاق في حالي السراء والضراء.
- 2- كظم الغيظ.
- 3- العفو عن الناس.
- 4- الاستغفار والتوبة من الذنوب وعدم الإصرار عليها.
- د- وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ * وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات: 15-19].

ففي هذه الآيات من الصفات:

- 1- الإحسان.
- 2- قيام الليل.
- 3- الاستغفار في الأسحار.
- 4- الإنفاق على السائل والمحروم.

هـ- ومن صفات المتقين: ما جاء في هذا الأثر عن ابن الزبير:

عن مالك بن أنس **رَحِمَهُ اللَّهُ** قال: بلغني أن رجلاً من بعض الفقهاء كتب إلى ابن الزبير **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** يقول: "ألا إن لأهل التقوى علامات يُعرفون بها، ويُعرفونها



من أنفسهم: مَنْ رَضِيَ بالقضاء، وَصَبَرَ على البلاء، وشكر على النعماء، وَصَدَقَ في اللسان، ووفى بالوعد والعهد، وتلا لأحكام القرآن⁽¹⁾.

ز-ومن صفات المتقين: ما جاء في قول ميمون بن مهران: "لا يكون الرجل من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة شريكه، حتى يعلم من أين مطعمه، ومن أين ملبسه، ومن أين مشربه، أمن حل ذلك أم من حرام؟"⁽²⁾.

ح-ومنها ما جاء في الحَسَنِ، قَالَ: "لِأَهْلِ التَّقْوَى عِلَامَاتٌ يُعْرَفُونَ بِهَا: صِدْقُ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءُ الْأَمَانَةِ، وَالْإِيْفَاءُ بِالْعَهْدِ وَقِلَّةُ الْفَخْرِ، وَالْخِيَلَاءِ، وَصِلَّةُ الرَّحِمِ، وَرَحْمَةُ الضُّعَفَاءِ وَقِلَّةُ الْمُتَأَنِّفَةِ لِلنِّسَاءِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ، وَسَعَةُ الْعِلْمِ، وَاتِّبَاعُ الْعِلْمِ فِيمَا يَقْرُبُ إِلَى اللَّهِ زُلْفَى"⁽³⁾.

ويمكن أن نقول: إن كل عمل صالح هو من صفات المتقين؛ لأن التقوى هي فعل الأوامر وترك النواهي.

ثمرات التقوى:

للتقوى ثمرات عديدة ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم، وذكرها النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** في سنة، وهي ثمرات كثيرة، لكن سأكتفي في هذه المسألة بما ذكره الفيروزآبادي حيث قال: "وَأَمَّا الْبَشَارَاتُ الَّتِي بَشَّرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا الْمُتَّقِينَ فِي

(1) جامع الأصول (11/703).

(2) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (4/89).

(3) الحلم لابن أبي الدنيا (ص: 35).

القرآن **فالأول:** البشري بالكرامات: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس: 63-64].

الثاني: البشري بالعون والنصرة: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ [النحل: 128].

الثالث: بالعلم والحكمة: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: 29].

الرابع: بكفارة الذنوب وتعظيمه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق: 5].

السادس: بالمغفرة: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنفال: 69].

السابع: اليسر والسهولة في الأمر: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: 4].

الثامن: الخروج من الغم والمحنة: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: 2].

التاسع: رزق واسع، بأمن وفراغ: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: 3].

العاشر: النجاة من العذاب، والعقوبة: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ [مريم: 72].

الحادي عشر: الفوز بالمراد: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ﴾ [الزمر: 61]. ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ [النبا: 31].



الثاني عشر: التَّوْفِيقَ وَالْعَصْمَةَ: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾
إلى قوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: 177].

الثالث عشر: الشهادة لهم بالصدق: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: 177].

الرابع عشر: بشارة الكرامة والأكرمية: ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ﴾
[الحجرات: 13].

الخامس عشر: بشارة المحبِّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: 4].

السادس عشر: الفلاح: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: 189].

السابع عشر: نيل الوصال، والقربة: ﴿وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾
[الحج: 37].

الثامن عشر: نيل الجزاء بالجنة: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: 90].

التاسع عشر: قبول الصدقة: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: 27].

العشرون: الصِّفاء والصِّفوة: ﴿فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: 32].

الحادي والعشرون: كمال العبودية: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ [آل عمران: 102].

الثاني والعشرون: الجنَّات والعيون: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾
[الحجر: 45].

الثالث والعشرون: الأَمْن من البليّة: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾

[الدخان: 51].

الرابع والعشرون: عزّ الفوقيّة على الخلق: ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ﴾ [البقرة: 212].

الخامس والعشرون: زوال الخوف والحزن من العقوبة: ﴿فَمَنْ اتَّقَى

وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: 35].

السادس والعشرون: الأزواج الموافقة: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ [النبا: 31] إلى

قوله: ﴿وَكَوَاعِبُ أَتْرَابًا﴾ [النبا: 33] ⁽¹⁾.

وسائل معينة على تحصيل التقوى:

التقوى وصف حميد، وعمل يوصل صاحبه إلى خيرات كثيرة في الدنيا والآخرة، ولما كانت الشهوات تصد عن التقوى فإنها صعبت على كثير من الناس.

لهذا كانت هناك وسائل معينة على الوصول إلى منزلة المتقين، فمن ذلك:

1 - تصبير النفس ومجاهدتها على فعل الأوامر وترك النواهي من غير انتقاء

منها حسب الميول والأهواء:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾

[العنكبوت: 69].

(1) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (2/ 301-303).



وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ) (1).

2- التفقه في دين الله تعالى لمعرفة الحلال والحرام واتباع ذلك بامثال الأوامر وترك النواهي:

فإن الجهل بدين الله يوقع صاحبه في ترك مأمور أو فعل محظور شعر بذلك أم لم يشعر، وكم عابد جاهل يقع في موبقات بسبب جهله.

3 - مصاحبة المتقين وقراءة أخبارهم وسماع محاضراتهم ونصائحهم، والتشبه بهم والسير على منوالهم:

فالجليس يتأثر بجليسه، والقارئ يتأثر بما يقرأ.

قال الشاعر:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح (2).

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "آخِ الْإِخْوَانَ عَلَى قَدْرِ تَقْوَى" (3).

و"قَالَ رَجُلٌ لِدَاوُدَ الطَّائِي: أَوْصِنِي قَالَ: "اصْحَبْ أَهْلَ التَّقْوَى؛ فَإِنَّهُمْ أَيْسَرُ أَهْلِ الدُّنْيَا عَلَيْكَ مُؤَنَّةً، وَأَكْثَرُهُمْ لَكَ مَعُونَةً" (4).

(1) رواه أحمد (8095)، والترمذي (2305)، وابن ماجه (4217)، والبيهقي في الشعب (5366)، والخرائطي في مكارم الأخلاق (242). **قال البوصيري:** "هَذَا إِسْنَادٌ حَسَنٌ وَأَبُو رَجَاءٍ اسْمُهُ مُحَرِّزُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ فِي الْجَامِعِ بِغَيْرِ هَذَا اللَّفْظِ" مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه (4/ 240)، وحسنه الألباني والأرنؤوط.

(2) نفح الأزهار في منتخبات الأشعار (ص: 9).

(3) الإخوان لابن أبي الدنيا (ص: 98).

(4) الإخوان لابن أبي الدنيا (ص: 95).



4- التفكير في الآخرة والشوق إليها:

فالإنسان عندما يعلق قلبه بالدار الآخرة يزهد في الدنيا، ويتخفف من التعلق بالشهوات الصادة عن النجاة، ويصبح همه في المسارعة إلى مرضاة الله والبعد عن مساخطه والبحث عن كل وسيلة تسرع به إلى الوصول إلى الله.

قال تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِیَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: 64].

5- الدعاء.

ومنه: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: 74].

(اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى، وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى) (1).

قدوة صالحة:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ اتَّقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللَّهِ أَنَا) (2).

(1) رواه مسلم (2721).

(2) رواه البخاري (20)، ومسلم (1216).



التوبة إلى الله تعالى

إن الذنوب خطرهما على الإنسان كبير في حياته: الدنيوية والأخروية. غير أن كثيراً من الناس لا يدركون هذا الخطر؛ ولذلك يظنون سادرين في معاصيهم، غير مباليين بعواقب ما هم عليه.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نَكَتَتْ فِي قَلْبِهِ نَكْتَةً سَوْدَاءً، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ صُقِلَ قَلْبُهُ، فَإِنْ زَادَ زَادَتْ حَتَّى تَغْلُو قَلْبُهُ فَذَلِكَ هُوَ الرَّأْنُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ: ﴿كَأَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: 14])⁽¹⁾.

قال بعض الصالحين: "عجبت لمن يحتمي من الطيبات مخافة الداء، كيف لا يحتمي من المعاصي مخافة النار!!"⁽²⁾.

والناس في سرف معاصيهم أشبه ما يكونون بالموتى أو ذاهبي العقول، ولا صحو من تلك السكره، ولا حياة من ذلك الموت إلا بالتوبة إلى الله تعالى.

والتوبة إلى الله خُلِقَ عَظِيمٌ مَعَهُ تَعَالَى، لَهُ شَأْنٌ كَبِيرٌ فِي الدِّينِ؛ فَالتَّوْبَةُ "أَوَّلُ

(1) رواه الترمذي (3334)، والنسائي في الكبرى (10179)، وابن ماجه (4244)، وابن حبان (2787)، وحسنه الألباني.

(2) أدب الدنيا والدين، للماوردي (ص: 116).

المنازل، وأوسطها، وآخرها، فلا يفارقه العبد السالك، ولا يزال فيه إلى الممات، وإن ارتحل إلى منزل آخر ارتحل به، واستصحبه معه ونزل به، فالتوبة هي بداية العبد ونهايته، وحاجته إليها في النهاية ضرورية، كما أن حاجته إليها في البداية كذلك، وقد قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: 31]. وهذه الآية في سورة مدنية، خاطب الله بها أهل الإيمان وخيار خلقه أن يتوبوا إليه، بعد إيمانهم وصبرهم، وهجرتهم وجهادهم، ثم علق الفلاح بالتوبة تعليق المسبب بسببه، وأتى بأداة لعل المشعرة بالترجي؛ إيذاناً بأنكم إذا تبتم كنتم على رجاء الفلاح، فلا يرجو الفلاح إلا التائبون، جعلنا الله منهم" (1).

والتوبة هي حقيقة دين الإسلام، والدين كله داخل في مسمى التوبة، وبهذا استحق التائب أن يكون حبيب الله؛ فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين، وإنما يحب الله من فعل ما أمر به، وترك ما نهى عنه. فإذا التوبة هي الرجوع مما يكرهه الله ظاهراً وباطناً إلى ما يحبه ظاهراً وباطناً، ويدخل في مسمائها الإسلام، والإيمان، والإحسان، وتتناول جميع المقامات؛ ولهذا كانت غاية كل مؤمن، وبداية الأمر وخاتمته، كما تقدم، وهي الغاية التي وجد لأجلها الخلق، والأمر والتوحيد جزء منها، بل هو جزؤها الأعظم الذي عليه بناؤها. وأكثر الناس لا يعرفون قدر التوبة ولا حقيقتها، فضلاً عن القيام بها علماً وعملاً وحالاً، ولم يجعل الله تعالى محبته للتوابين إلا وهم خواص الخلق لديه.

(1) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (1/ 196).

(2) رواه مسلم (2759).

ولهذا يفرح سبحانه بتوبة عباده إليه، قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَلَّهِ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ نَزَلَ مَنْزِلًا وَبِهِ مَهْلَكَةٌ، وَمَعَهُ رَاحِلَتُهُ، عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ فَنَامَ نَوْمَةً، فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ رَاحِلَتُهُ، حَتَّى إِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْحَرُّ وَالْعَطَشُ أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ، قَالَ: أَرْجِعْ إِلَى مَكَانِي، فَرَجَعَ فَنَامَ نَوْمَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَإِذَا رَاحِلَتُهُ عِنْدَهُ) (1).

لأجل ذلك على العبد أن يبادر إلى التوبة قبل فوات الأوان؛ فالأجال مجهولة، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقْبَلُ تَوْبَةَ عَبْدِهِ مَا لَمْ يُغْرَغِرْ) (2).

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ) (3).

وعن وهب بن منبه، قال: قال رجل من العباد لابنه: "يا بني، لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل، ويؤخر التوبة بطول الأمل" (4).

(1) رواه البخاري (6308)، ومسلم (2675).

(2) رواه أحمد (6408)، والترمذي (3537)، وابن حبان (628)، وابن ماجه (4253)، والبخاري (8773)، والحاكم (7659) **وقال**: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ" ووافقه الذهبي، **وقال الهيثمي**: "رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَرَجَّاهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ غَيْرَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَهُوَ ثِقَةٌ. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (10/197).

(3) رواه مسلم (2703).

(4) التوبة لابن أبي الدنيا (ص: 53).



وقال لقمان لابنه: "يا بني، لا تؤخر التوبة؛ فإن الموت قد يأتي بغتة" (1).

قال الشاعر:

قَدَّمْ لِنَفْسِكَ تَوْبَةً مَرْجُوءَةً قَبْلَ الْمَمَاتِ وَقَبْلَ حَبْسِ الْأَلْسُنِ
بَادِرْ بِهَا غَلَقَ النُّفُوسِ فَإِنَّهَا ذُخْرٌ وَغَنَمٌ لِلْمُنِيبِ الْمُحْسِنِ (2).

تعريف التوبة:

لغة:

يقال: تاب الرجل إلى الله يتوب توبة ومتابًا، والله التواب يتوب على عبده، والعبد تائب إلى الله، وأصل تاب: عاد إلى الله ورجع وأتاب وتاب الله عليه أي: عاد عليه بالمغفرة. والتَّوْبُ: ترك الذنب على أجمل الوجوه، وهو أبلغ وجوه الاعتذار؛ فإنَّ الاعتذار على ثلاثة أوجه: إمَّا أن يقول المعتذر: لم أفعل، أو يقول: فعلت لأجل كذا، أو فعلت وأساءت وقد أقلت، ولا رابع لذلك، وهذا الأخير هو التوبة.

والتائب يقال لباذل التوبة، ولقابل التوبة؛ فالعبد تائب إلى الله، والله تائب على عبده، والتَّوَابَ: العبد الكثير التوبة، وذلك بتركه كلَّ وقت بعض الذنوب على الترتيب حتى يصير تاركًا لجميعه، وقد يقال ذلك لله تعالى؛ لكثرة قبوله توبة العباد حالًا بعد حال (3).

(1) التوبة لابن أبي الدنيا (ص: 53).

(2) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص: 213).

(3) ينظر: المفردات في غريب القرآن (ص: 169)، تهذيب اللغة (14 / 236).



شرعاً:

قال الراغب: هي: ترك الذنب لقبحه، والندم على ما فرط منه، والعزيمة على ترك المعاودة، وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالأعمال بالإعادة⁽¹⁾.

وقال الجرجاني: التوبة: الرجوع إلى الله بحل عقدة الإصرار عن القلب، ثم القيام بكل حقوق الرب.

والتوبة النصوح: هي توثيق بالعزم على ألا يعود لمثله، قال ابن عباس، **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:** التوبة النصوح: الندم بالقلب، والاستغفار باللسان، والإقلاع بالبدن، والإضمار على ألا يعود.

وقيل: التوبة النصوح: ألا يبقى على عمله أثراً من المعصية سرّاً وجهراً، وقيل: هي التي تورث صاحبها الفلاح عاجلاً وآجلاً⁽²⁾.

شروط التوبة:

تأمل العلماء في النصوص الشرعية فوجدوا أن التوبة إلى الله تعالى لا تكون مقبولة إلا بشروط:

قال النووي: "قال العلماء: التوبة واجبة من كل ذنب؛ فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي فلها ثلاثة شروط:

(1) المفردات في غريب القرآن (ص: 169).

(2) التعريفات (ص: 70).



أحدها: أن يقلع عن المعصية.

والثاني: أن يندم على فعلها.

والثالث: أن يعزم أن لا يعود إليها أبدا.

فإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته.

وإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فشروطها أربعة: هذه الثلاثة، وأن يبرأ من حق صاحبها، فإن كانت مالا أو نحوه رده إليه، وإن كانت حد قذف ونحوه مكنه منه أو طلب عفوه، وإن كانت غيبة استحلها منها.

ويجب أن يتوب من جميع الذنوب، فإن تاب من بعضها صحت توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب وبقي عليه الباقي⁽¹⁾.

وقال ابن حجر: قال القرطبي: "ثم توبة العاصي إما من حق الله، وإما من حق غيره؛ فحق الله تعالى يكفي في التوبة منه الترك على ما تقدم، غير أن منه ما لم يكتف الشرع فيه بالترك فقط، بل أضاف إليه القضاء أو الكفارة، وحق غير الله يحتاج إلى إيصالها لمستحقها وإلا لم يحصل الخلاص من ضرر ذلك الذنب، لكن من لم يقدر على الإيصال بعد بذله الوسع في ذلك فعفو الله مأمول؛ فإنه يضمن التبعات ويبدل السيئات حسنات، والله أعلم. قلت: حكى غيره عن عبد الله بن المبارك في شروط التوبة زيادة فقال: الندم، والعزم على عدم العود، ورد المظلمة، وأداء ما ضيع من الفرائض"⁽²⁾.

(1) رياض الصالحين (ص: 14).

(2) فتح الباري (63 / 18).

وقال ابن القيم عن التوبة النصوح: "وقد اختلفت عبارات السلف عنها، ومرجعها إلى شيء واحد، فقال عمر بن الخطاب، وأبي بن كعب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**: التوبة النصوح: أن يتوب من الذنب ثم لا يعود إليه، كما لا يعود اللبن إلى الضرع، وقال الحسن البصري: هي: أن يكون العبد نادماً على ما مضى، مجمعاً على أن لا يعود فيه، وقال الكلبي: أن يستغفر باللسان، ويندم بالقلب، ويمسك بالبدن... وقال محمد بن كعب القرظي: يجمعها أربعة أشياء: الاستغفار باللسان، والإقلاع بالأبدان، وإضمار ترك العود بالجنان، ومهاجرة سيء الإخوان. قلت: النصح في **التوبة يتضمن ثلاثة أشياء**:

الأول: تعميم جميع الذنوب واستغراقها بها بحيث لا تدع ذنباً إلا تناولته.

والثاني: إجماع العزم والصدق بكليته عليها، بحيث لا يبقى عنده تردد، ولا تلوم ولا انتظار، بل يجمع عليها كل إرادته وعزمته مبادراً بها.

الثالث: تخليصها من الشوائب والعلل القادحة في إخلاصها، ووقوعها لمحض الخوف من الله وخشيته، والرغبة فيما لديه، والرغبة مما عنده، لا كمن يتوب لحفظ جاهه وحرمة، ومنصبه ورياسته، ولحفظ حاله، أو لحفظ قوته وماله، أو استدعاء حمد الناس، أو الهرب من ذمهم، أو لئلا يتسلط عليه السفهاء، أو لقضاء نهمته من الدنيا، أو لإفلاسه وعجزه، ونحو ذلك من العلل التي تقدح في صحتها وخلوصها لله عز وجل.

فالأول يتعلق بما يتوب منه، والثالث يتعلق بمن يتوب إليه، والأوسط يتعلق بذات التائب ونفسه، فنصح التوبة الصدق فيها، والإخلاص، وتعميم



الذنوب بها، ولا ريب أن هذه التوبة تستلزم الاستغفار وتتضمنه، وتمحو جميع الذنوب، وهي أكمل ما يكون من التوبة" (1).

فمن خلال ما سبق يتلخص من شروط التوبة:

1- الإقلاع عن المعصية إقلاعاً تاماً:

بحيث ينكف عن تلك المعصية فعلاً لا قولاً فقط، ولا يحجبه عن ذلك طول أمل ولا انتظار مستقبل زمن.

عن علي بن حسين، قال: "إنما التوبة بالعمل، والرجوع من الأمر، وليست التوبة بالكلام" (2).

وعن يحيى بن معاذ قال: "الذي حجب الناس عن التوبة: طول الأمل، وعلامة التائب: إسبال الدمعة، وحب الخلوة، والمحاسبة للنفس عند كل همة" (3).

2- الندم على ارتكاب الذنب أو الذنوب التي أفلح عنها:

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (النَّدَمُ تَوْبَةٌ) (4).

(1) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (1/ 316).

(2) التوبة لابن أبي الدنيا (ص: 70).

(3) ذم الهوى (ص: 216).

(4) رواه أحمد (4012)، وابن ماجه (4252)، وابن حبان (612)، والبيهقي في الكبرى

(20558)، والحاكم (7612)، **وقال**: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ بِهِذِهِ

الْلَفْظَةِ" ووافقه الذهبي، وحسنه ابن حجر في فتح الباري (13/ 471).

وعن إبراهيم بن أبي عبلة، قال: دخلت على عمر بن عبد العزيز وهو في مسجد داره، وكنت له ناصحًا، وكان مني مستمعًا، فقال: "يا إبراهيم، بلغني أن موسى قال: "إلهي، ما الذي يخلصني من عقابك، ويبلغني رضوانك وينجيني من سخطك؟ قال: الاستغفار باللسان، والندم بالقلب، والترك بالجوارح" (1).

وعن معاوية بن قرة، قال: قال علي بن أبي طالب: "إني لأرجو أن يكون توبة العبد من ذنبه ندامته عليه" (2).

وعن عون بن عبد الله قال: "جرائم التوابين منصوبة بالندامة نصب أعينهم، لا تقر للتائب بالدنيا عين كلما ذكر ما اجترح على نفسه. وكان يقول: التائب أسرع دمعة، وأرق قلباً" (3).

3- العزم الصادق على عدم العودة إلى تلك الذنوب:

قال الحسن البصري عن التوبة: إنها: ندم بالقلب، واستغفار باللسان، وترك الجوارح، وإضمار أن لا يعود" (4).

4- رد المظالم إلى أهلها:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عَرَضِهِ أَوْ شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ،

(1) التوبة لابن أبي الدنيا (ص: 33).

(2) التوبة لابن أبي الدنيا (ص: 34).

(3) التوبة لابن أبي الدنيا (ص: 138).

(4) الآداب الشرعية والمنح المرعية (1/ 85).



إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أَخَذَ مِنْهُ بِقَدَرٍ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتٍ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ⁽¹⁾.

ثمرات التوبة إلى الله تعالى:

إن الأقبال على الله تعالى بالتوبة يثمر على العبد ثمرات كثيرة في الدنيا والآخرة، فمن ذلك:

1- حصول الحياة الطيبة:

فترك المعاصي والإعراض عنها ابتغاء وجه الله تعالى يورث صاحبه السعادة العامرة في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْشَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: 97].

قال عبد الله بن المبارك:

أَيُضْمَنُ لِي فَتَى تَرَكَ الْمَعَاصِي وَأَرْهَنُهُ الْكَفَالَةَ بِالْخُلَاصِ
أَطَاعَ اللَّهَ قَوْمٌ فَاسْتَرَأَوْا وَلَمْ يَتَجَرَّعُوا غُصَصَ الْمَعَاصِي⁽²⁾

2- الظفر بمغفرة الذنوب:

قال تعالى: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ

(1) رواه البخاري (2449).

(2) أدب الدنيا والدين، للماوردي (ص: 117).

عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿[المائدة: 39].

وقال: ﴿وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: 82].

3- نيل الفلاح:

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ [القصص: 67].

وقال: ﴿وَتَوُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: 31].

4- معرفة قبح الذنوب:

قال إبراهيم بن أدهم: "إنك إن أدمنت النظر في مرآة التوبة بان لك قبيح شر المعصية" (1).

5- دخول الجنة والوقاية من النار:

قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [مريم: 60].

وقال عون بن عبد الله: "داووا الذنوب بالتوبة، ولرب تائب دعتة توبته إلى الجنة حتى أوفدته عليها" (2).

(1) التوبة لابن أبي الدنيا (ص: 64).

(2) التوبة لابن أبي الدنيا (ص: 136).



وسائل مُعِينَة على التوبة :

هناك وسائل تساعد الإنسان العاصي على التوبة إلى الله تعالى والثبات عليها، فمنها:

أولاً: التفكير في عواقب المعاصي وآثارها السيئة:

فمن نظر في أضرار المعاصي وآثارها بعين العقل ساقته إلى التوبة من غير تريث.

قال ابن الجوزي: "أجهل الجهال: من آثر عاجلاً على آجل لا يأمن سوء مغيبته، فكم قد سمعنا عن سلطان وأمير وصاحب مال أطلق نفسه في شهواتها، ولم ينظر في حلال وحرام، فنزل به من الندم وقت الموت أضعاف ما التذ، ولقي من مرير الحسرات ما لا يقاومه ولا ذرة من كل لذة. ولو كان هذا فحسب لكفى حزناً، كيف والجزاء الدائم بين يديه؟!... وهل عُذٌّ في العقلاء قط من قيل له: اجلس في المملكة سنة ثم نقتلك. هيهات بل الأمر بالعكس، وهو أن العاقل من صابر مرارة الجهد سنة، بل سنين ليستريح في عاقبته، وفي الجملة أفٍ للذة أعقبت عقوبة" (1).

ثانياً: الاعتراف بالذنب وإقرار النفس به وعدم الإصرار عليه:

فإقرار المرء بذنبه يحمله على تركه، قال تعالى: ﴿وَأَخْرُونا عَتَرُونا﴾

(1) صيد الخاطر، لابن الجوزي (ص: 129).



بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿التوبة: 102﴾.

قال ابن القيم: "الإصرار هو: الاستمرار على المخالفة، والعزم على المعاودة، وذلك ذنب آخر لعله أعظم من الذنب الأول بكثير، وهذا من عقوبة الذنب أنه يوجب ذنباً أكبر منه، ثم الثاني كذلك ثم الثالث كذلك حتى يستحكم الهلاك، فالإصرار على المعصية معصية أخرى، والقيود عن تدارك الفارط من المعصية إصرار ورضا بها وطمأنينة إليها، وذلك علامة الهلاك" (1).

ثالثاً: مفارقة بيئة المعصية وأسباب العودة إليها:

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن نبي الله ﷺ قال: كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب، فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفساً، فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله فأكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا؛ فإن بها أناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك؛ فإنها أرض سوء فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط، فأتاه ملك في صورة آدمي

(1) مدارج السالكين، لابن القيم (1/181).



فجعلوه بينهم فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة⁽¹⁾.

رابعاً: التفكر في فجأة الموت ولقاء الله والدار الآخرة، وترك الاغترار بطول الأمل:

فمن تفكر بأنه لا بد عن الدنيا راحل، وأنه لربه سيقابل، وأنه إلى الآخرة صائر؛ فإنه سيعدل لرحلته زاداً من التوبة والإنابة.

خامساً: مجالسة التائبين:

فالجليس يتأثر بجليسه؛ قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "جالسوا التوابين؛ فإنهم أرق شيء أفئدة"⁽²⁾.

سادساً: الدعاء:

وذلك بأن يدعو المرء لنفسه بأن يجعله الله من التائبين، **ومن ذلك:**
أن يستحضر هذا عند الدعاء في ختام الوضوء: (اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ، وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ)⁽³⁾.

وكذلك: دعاؤه بقبول توبته وحصول المغفرة له، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا

(1) رواه مسلم (4/2118).

(2) التوبة لابن أبي الدنيا (ص: 117).

(3) رواه الترمذي (55)، والطبراني في الأوسط (4895)، والبيهقي في الكبرى (370)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (32)، وصححه الألباني.



مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ دُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿البقرة: 128﴾. وقال: ﴿رَبَّنَا إِنَّنا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: 193].

وأيضاً: دعاء المسلم لغيره بأن يتوب الله عليه؛ عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: "إذا رأيتم الرجل منكم قارف ذنباً فلا تدعوا الله عليه ولا تسبوه ولكن ادعوا الله أن يعافيه، وأن يتوب عليه؛ فإننا كنا إذا رأينا الرجل ختم له بخير رجونا له، وإذا ختم له بشر خفنا عليه" (1).

قدوة صالحة:

1 - **عن عائشة رضي الله عنها** قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُكْثِرُ مِنْ قَوْلٍ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، قَالَتْ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْكَ تَكْثِرُ مِنْ قَوْلٍ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ؟، فَقَالَ: (خَبَرَنِي رَبِّي أَنِّي سَأَرَى عَلَامَةً فِي أُمَّتِي، فَإِذَا رَأَيْتُهَا أَكْثَرْتُ مِنْ قَوْلٍ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، فَقَدْ رَأَيْتُهَا) إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿النصر: 1﴾، فَتُحْ مَكَّةَ، ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ ﴿النصر: 3﴾ (2).

2 - **عن عيسى بن المغيرة** قال: تذاكرنا عند إبراهيم إسلام كعب، فقال: أسلم

(1) التوبة لابن أبي الدنيا (ص: 99).

(2) رواه مسلم (484).



كعب في زمان عمر، أقبل وهو يريد بيت المقدس، فمرّ على المدينة، فخرج إليه عمر فقال: يا كعب، أسلم! قال: أستم تقرأون في كتابكم: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [سورة الجمعة: 5]؟ وأنا قد حملت التوراة! قال: فتركه. ثم خرج حتى انتهى إلى حمص، قال: فسمع رجلاً من أهلها حزيناً وهو يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدَقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلُ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [النساء: 47]. فقال كعب: يا رب، آمنت، يا رب أسلمت! مخافة أن تصيبه الآية، ثم رجع فأتى أهله باليمن، ثم جاء بهم مسلمين (1).

3 - عن يونس البلخي قال: كان إبراهيم بن أدهم من الأشراف، وكان أبوه كثير المال والخدم، والمراكب والجنائب (2) والبزاة، فبينا إبراهيم في الصيد على فرسه يركضه، إذا هو بصوت من فوقه: يا إبراهيم، ما هذا العبث؟! ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: 115]، اتق الله، عليك بالزاد ليوم الفاقة. فنزل عن دابته، ورفض الدنيا وأخذ في عمل الآخرة (3).

4 - عن الفضل بن موسى قال: "كان الفضيل بن عياض شاطراً (4) يقطع

(1) تفسير الطبري (8 / 446).

(2) الجنائب: الدواب المقودة. المعجم الوسيط (1 / 139).

(3) سير أعلام النبلاء، الذهبي (7 / 388)، البداية والنهاية، ابن كثير (10 / 136).

(4) يعني: قاطعاً للطريق.

الطريق بين أبيورد وسرخس، وكان سبب توبته: أنه عشق جارية فينما هو يرتقي الجدران إليها إذ سمع تالياً يتلو: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد: 16]. قال: فلما سمعها قال: بلى - يا رب - قد آن، فرجع، فأواه الليل إلى خربة وإذا فيها سابلة فقال بعضهم: نرتحل، وقال بعضهم: حتى نصبح؛ فإن فضيلاً على الطريق يقطع علينا، قال: ففكرت وقلت: أنا أسعى بالليل في المعاصي، وقوم من المسلمين ههنا يخافونني! وما أرى الله ساقني إليهم إلا لأرتدع، اللهم إني قد تبت إليك، وجعلت توبتي مجاورة البيت الحرام" (1).

5- ذكر ابن قدامة المقدسي في كتاب التوابين بسنده إلى رجل من أهل بغداد عن أبي هاشم المذكر قال: "أردت البصرة، فجئت إلى سفينة أكرتيها، وفيها رجل ومعه جارية فقال الرجل: ليس هاهنا موضع، فسألته الجارية أن يحملني فحملني، فلما سرنا دعا الرجل بالغداء فوضع، فقال: أنزلوا ذلك المسكين ليتغدى فأنزلت على أي مسكين، فلما تغدينا قال: يا جارية، هاتي شرابك فشرب، وأمرها أن تسقيني فقلت: رحمك الله إن للضيف حقاً، فتركني، فلما دبّ في النبذ قال: يا جارية، هاتي العود وهاتي ما عندك، فأخذت العود **وغنت تقول:**

وَكُنَّا كَغُصْنِي بَانَةٍ لَيْسَ وَاحِدٌ	يَزُولُ عَلَى الْحَالَاتِ عَنْ رَأْيٍ وَاحِدٍ
تَبَدَّلَ بِي خِلاً فَخَالَتُ غَيْرَهُ	وَخَلَّيْتُهِ لَمَّا أَرَادَ تَبَاُعْدِي
فَلَوْ أَنَّ كَفِّي لَمْ تُرِدْنِي أَبْتُهَا	وَلَمْ يَصْطَحِبْهَا بَعْدَ ذَلِكَ سَاعِدِي

(1) شعب الإيمان، البيهقي (5 / 468).



أَلَا قَبْحَ الرَّحْمَنِ كُلِّ مَمَازِقٍ يَكُونُ أَخَا فِي الْخَفَضِ لَا فِي الشَّدَائِدِ

ثم التفت إلي فقال: أتحسن مثل هذا؟ فقلت: أحسنُ خيراً منه. فقرأت: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ [التكوير: 1-3]. فجعل الشيخ يبكي، فلما انتهيت إلى قوله: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير: 10]. قال الشيخ: يا جارية، اذهبي فأنت حرة لوجه الله تعالى، وألقى ما معه من الشراب في الماء وكسر العود، ثم دنا إلي فاعتنقني، وقال: يا أخي، أترى الله يقبل توبتي؟ فقلت: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: 222]. قال: فواحيته بعد ذلك أربعين سنة، حتى مات قبلي، فرأيتُه في المنام فقلت له: إلامَ صرت؟ قال: إلى الجنة، قلت: بمَ صرت إلى الجنة؟ قال: بقراءتك علي: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير: 10]"⁽¹⁾.

(1) التوابين أبو محمد عبد الله المقدسي (ص: 268-270)، مصارع العشاق، أبو محمد

الحسيني (1/ 183).



إن الإنسان مخلوق يحاصره الضعف والعجز والجهل من كل جانب، وأمامه في هذه الحياة تنوع المكاره والمشاق، وعلى جانبيها يتعدد أعداؤه والمتربصون به، فإذا وكل إلى نفسه في هذا الميدان وقع في قبضة الإخفاق وإصابة ما لا يحب.

غير أن المؤمنين بالله تعالى يعتمدون عليه، ويفوضون أمورهم إليه؛ فبقوته ينالون، وبقدرته يصلون، وبعلمه يعرفون.

فهم يظلون معتمدين اعتماداً كلياً في جميع أحوالهم الدنيوية والدينية على الله القوي القادر، وهذا هو التوكل على الله تبارك وتعالى الحي الذي لا يموت، قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: 58].

فالتوكل على الله توكلًا صادقًا يعتقد اعتقاداً جازماً بأن كل شيء بيد الله، فنيل آماله لا يتحقق إلا بالله، وإذهاب آلامه لا يكون إلا بالله. ومن كان كذلك صار قلبه متحرراً من التعلق بالخلق رغبة ورهبة، وأصبح ينظر إلى السماء تاركاً أهل الأرض؛ إذ إنهم لا ينفعون ولا يضرّون إلا بإرادة الله تعالى.

فعن ابن عباس **رضي الله عنهما** قال: قال رسول الله **ﷺ**: (احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ،



وَأَعْلَمَ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ⁽¹⁾.

فأما من رضي لنفسه العبودية لغير الله ، ورضي لها الهوان بعرض حاجاته على الخلق من غير تعلق بالله، وإنما يصبح تعلقه الكامل بالخلق؛ فقد خسر الدنيا والآخرة.

عن عبد الله بن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال رسول الله **ﷺ**: (من نزلت به فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته، ومن نزلت به فاقة فأنزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل)⁽²⁾.

وقد ذكر الله تعالى التوكل في كتابه كثيراً في صور متعددة:

فذكر الأمر به فقال تعالى: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [النمل: 79]، وقال: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: 23].

وذكر سبحانه وتعالى أن التوكل من صفات أهل الإيمان فقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا

(1) رواه أحمد (2669)، والترمذي (2516)، والبيهقي في الشعب (192)، والطبراني في الأوسط (5417) والكبير (11243)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (425)، وأبو يعلى (2556)، **قال الترمذي**: "حسن صحيح" وصححه الألباني.

(2) رواه أحمد (4219)، والترمذي (2326)، والبزار (1458)، والبيهقي في الشعب (1046)، وأبو يعلى (5317)، **وقال الترمذي**: حديث حسن صحيح. **وقال شاكر**: "إسناده صحيح".

وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿[الأنفال: 2].

وذكر أن التوكل الصادق على الله وحده يعد حصناً حصيناً وحرزاً أميناً من الشيطان الرجيم فقال: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: 98-99].

وأمر به نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم به فقال له: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب: 3].

فكان النبي عليه الصلاة والسلام سيد المتوكلين في قوله وفعله؛ فكان إذا قام من الليل يقول: (اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ... اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَإِلَيْكَ أَنْبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ...) (1).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا غَزَا قَالَ: (اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضْدِي وَنَصِيرِي، بِكَ أَحُولُ، وَبِكَ أَصُولُ، وَبِكَ أَقَاتِلُ) (2).

تعريف التوكل على الله :

لغة :

يقال: توكل بالأمر، إذا ضَمَنَ القيام به. ووكلت أمري إلى فلان: أي: ألجأته إليه واعتمدت فيه عليه. ووكل فلان فلاناً، إذا استكفاه أمره ثقة بكفائته،

(1) رواه البخاري (6317)، ومسلم (769).

(2) رواه أحمد (12909)، وأبو داود (2632)، والترمذي (3584)، والنسائي في الكبرى

(8576)، وابن حبان (4761)، والبزار (7227)، وأبو يعلى (3133)، والطبراني في الدعاء

(1073)، وصححه الألباني والأرنؤوط.



أو عجزاً عن القيام بأمر نفسه.

والتَّوَكُّلُ: أن تعتمد على غيرك وتجعله نائباً عنك، والتَّوَكَّلُ فَعِيلٌ بمعنى المفعول، قال تعالى: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب: 48]. أي: اکتف به أن يتولَّى أمرك، وَيَتَوَكَّلْ لك (1).

والوكيل: اسم من أسماء الله تعالى ومعناه: الكافي، ويقال معناه: الكفيل بأرزاق العباد، والقائم عليهم بمصالحهم، وكافيتهم أمورهم وأسبابهم، وحقيقته أنه الذي يستقل بالأمر الموكل إليه ومن هذا قول: حسبنا الله ونعم الوكيل أي: نعم الكافي والكفيل بأمورنا والقائم بها (2).

اصطلاحاً:

تعددت عبارات العلماء في تعريفه:

فقل هو: "صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المنافع، ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة، وتفويض الأمور كلها إليه، وتحقيق الإيمان بأنه لا يعطي ولا يمنع، ولا يضر ولا ينفع سواه" (3).

وقيل: "أن لا يكون في قلبه أحد من الآدميين يطمع أن يجيئه بشيء، فإذا كان كذا كان الله يرزقه، وكان متوكلاً" (4).

(1) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (5/ 221)، المفردات في غريب القرآن (ص: 882).

(2) ينظر: شأن الدعاء (1/ 77)، اشتقاق أسماء الله (ص: 136).

(3) جامع العلوم والحكم (51/ 2).

(4) الآداب الشرعية (3/ 262).

وقيل: هو: حال للقلب ينشأ عن معرفته بالله، والإيمان بتفردّه بالخلق والتدبير والضر والنفع، والعطاء والمنع، وأنه ما شاء كان وإن لم يشأ الناس، وما لم يشأ لم يكن وإن شاءه الناس، فيوجب له هذا اعتماداً عليه، وتفويضاً إليه، وطمأنينة به، وثقة به، و يقيناً بكفايته لما توكل عليه فيه، وأنه لا يكون أمر إلا بمشيئته، شاءه الناس أم أبوه⁽¹⁾.

أهمية التوكل على الله تعالى:

التوكل على الله تعالى خلق إيماني ذو أهمية كبيرة، فمن ذلك:

1 - أنه مجتمّع الإيمان، وقيل: نصف الدين:

عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: "التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ جِمَاعُ الْإِيمَانِ"⁽²⁾.

وقال ابن القيم: "التوكل نصف الدين، والنصف الثاني الإنابة؛ فإن الدين استعانة وعبادة؛ فالتوكل هو الاستعانة، والإنابة هي العبادة"⁽³⁾.

2 - أن مرجع كثير من أعمال الإسلام إليه:

ولذلك جمع بينه وبينها في عدة مواضع من القرآن؛ قال ابن القيم: والله تعالى يجمع بين التوكل والعبادة، وبين التوكل والإيمان، وبين التوكل والإسلام، وبين التوكل والتقوى، وبين التوكل والهداية.

(1) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (1/ 103).

(2) التوكل على الله لابن أبي الدنيا (ص: 48).

(3) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (2/ 113).



فأما التوكل والعبادة، فقد جمع سبحانه بينهما في سبعة مواضع من كتابه، أحدها: في سورة أم القرآن فقال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 5] ... وأما الجمع بين الإيمان والتوكل، ففي مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [المك: 29].

وأما الجمع بين التوكل والإسلام ففي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [يونس: 84].

وأما الجمع بين التقوى والتوكل ففي مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب: 1-3]، وقوله: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: 2-3].

وأما الجمع بين التوكل والهداية ففي مثل قول الرسل صلوات الله وسلامه عليهم لقومهم: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا﴾ [إبراهيم: 12].

فظهر أن التوكل أصل لجميع مقامات الإيمان والإحسان، ولجميع أعمال الإسلام، وأن منزلته منها منزلة الجسد من الرأس، فكما لا يقوم الرأس إلا على البدن، فكذلك لا يقوم الإيمان ومقاماته وأعماله إلا على ساق التوكل. والله أعلم⁽¹⁾.

3- أنه أوسع منازل العبودية وأجمعها:

فمنزلته "أوسع المنازل وأجمعها. ولا تزال معمورة بالنازلين؛ لسعة متعلق

(1) طريق الهجرتين وباب السعادتین (ص: 255-258).

التوكل، وكثرة حوائج العالمين، وعموم التوكل، ووقوعه من المؤمنين والكفار، والأبرار والفجار، والطير والوحش والبهائم. فأهل السماوات والأرض - المكلفون وغيرهم - في مقام التوكل، وإن تباين متعلق توكلهم. فأولياؤه وخاصته يتوكلون عليه في الإيمان، ونصرة دينه، وإعلاء كلمته، وجهاد أعدائه، وفي محابه وتنفيذ أوامره⁽¹⁾.

أسباب قوة التوكل:

التوكل على الله تعالى قد يحصل من الصالح والطالح، غير أنه لا يقوى ولا يؤتي ثمراته على أحسن الأحوال إلا بأسباب، منها:

1- قوة الإيمان بالله تعالى وقدره وقضائه:

ف: "قوة التوكل وضعفه بحسب قوة الإيمان وضعفه، وكلما قوى إيمان العبد كان توكله أقوى، وإذا ضعف الإيمان ضعف التوكل، وإذا كان التوكل ضعيفاً، فهو دليل على ضعف الإيمان ولا بد"⁽²⁾.

2- كون المتوكل من أهل الحق والهدى:

ف: "القلب متى كان على الحق كان أعظم لطمأنينته ووثوقه بأن الله وليه وناصره وسكونه إليه، فما له أن لا يتوكل على ربه؟ وإذا كان على الباطل علماً وعملاً أو أحدهما لم يكن مطمئناً واثقاً بربه؛ فإنه لا ضمان له عليه، ولا عهد له

(1) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (2/ 114).

(2) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: 255).



عنده؛ فإن الله سبحانه لا يتولى الباطل ولا ينصره، ولا ينسب إليه بوجه، فهو منقطع النسب إليه بالكلية؛ فإنه سبحانه هو الحق، وقوله الحق، ودينه الحق ووعدته حق، ولقاؤه حق، وفعله كله حق" (1).

3- صحة التوحيد وسلامته من علائق الشرك:

"فإنه لا يستقيم توكل العبد حتى يصح له توحيد. بل حقيقة التوكل توحيد القلب. فما دامت فيه علائق الشرك، فتوكله معلول مدخول. وعلى قدر تجريد التوحيد تكون صحة التوكل؛ فإن العبد متى التفت إلى غير الله أخذ ذلك الالتفات شعبة من شعب قلبه فنقص من توكله على الله بقدر ذهاب تلك الشعبة" (2).

4- قوة حسن الظن بالله تعالى:

عن مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: سَأَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ دَاوُدَ عَنِ التَّوَكُّلِ، فَقَالَ: "أَرَى التَّوَكُّلَ حُسْنَ الظَّنِّ" (3).

"فعلى قدر حسن ظنك بربك ورجائك له يكون توكلك عليه؛ ولذلك فسر بعضهم التوكل بحسن الظن بالله. والتحقيق: أن حسن الظن به يدعوه إلى التوكل عليه؛ إذ لا يتصور التوكل على من ساء ظنك به، ولا التوكل على من لا ترجوه. والله أعلم" (4).

(1) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: 257).

(2) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (2/ 120).

(3) التوكل على الله لابن أبي الدنيا (ص: 61).

(4) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (2/ 121).

حاجة التوكل إلى الرضا بعده:

قال ابن القيم: "وكان شيخنا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يقول: المقدور يكتنفه أمران: التوكل قبله، والرضا بعده، فمن توكل على الله قبل الفعل، ورضي بالمقضي له بعد الفعل فقد قام بالعبودية. أو معنى هذا.

قلت: وهذا معنى قول النبي ﷺ في دعاء الاستخارة: (اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم). فهذا توكل وتفويض.

ثم قال: (فإنك تعلم ولا أعلم، وتقدر ولا أقدر، وأنت علام الغيوب). فهذا تبرؤ إلى الله من العلم والحوّل والقوة، وتوسّل إليه سبحانه بصفاته التي هي أحب ما توسّل إليه بها المتوسّلون. ثم سأل ربه أن يقضي له ذلك الأمر إن كان فيه مصلحته، عاجلاً أو آجلاً، وأن يصرفه عنه إن كان فيه مضرته، عاجلاً أو آجلاً. فهذا هو حاجته التي سألها. فلم يبق عليه إلا الرضا بما يقضيه له. فقال: (واقدر لي الخير حيث كان، ثم رضني به).

فقد اشتمل هذا الدعاء على هذه المعارف الإلهية، والحقائق الإيمانية، التي من جملتها التوكل والتفويض، قبل وقوع المقدور، والرضا بعده. وهو ثمرة التوكل، والتفويض علامة صحته، فإن لم يرض بما قضى له فتفويضه معلول فاسد⁽¹⁾.

(1) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (2/ 122).



التوكل وعمل الأسباب:

التوكل بدون عمل الأسباب المشروعة الممكنة ليس بتوكل شرعي. ف" الله خلق المخلوقات بأسباب وشرع للعباد أسباباً ينالون بها مغفرته ورحمته وثوابه في الدنيا والآخرة، فمن ظن أنه بمجرد توكله مع تركه ما أمره الله به من الأسباب يحصل مطلوبه، وأن المطالب لا تتوقف على الأسباب التي جعلها الله أسباباً لها؛ فهو غلط؛ فالله سبحانه وإن كان قد ضمن للعبد رزقه وهو لا بد أن يرزقه ما عمر فهذا لا يمنع أن يكون ذلك الرزق المضمون له أسباب تحصل من فعل العبد وغير فعله"⁽¹⁾.

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَعْقِلْهَا وَأَتَوَكَّلْ، أَوْ أَطْلِقْهَا وَأَتَوَكَّلْ؟ قَالَ: (اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ)⁽²⁾.

فقوله: "(اعقلها وتوكل)" هذه الكلمة الشريفة مرشدة إلى أن التوكل لا يتم إلا باتخاذ الأسباب التي جعلها الله وصلة إلى مسبباتها؛ لأن ترك السبب ليس من شأن المتوكلين، بل المتوكل من اتخذ السبب ثم توكل في حصول المسبب؛ كتوكل الزراع في سقي الأرض وإلقاء البذور، وأما تارك السبب فلا يسمى متوكلاً، بل متكلاً عاجزاً مفرطاً"⁽³⁾.

(1) مجموع الفتاوى (8 / 530).

(2) رواه الترمذي (2517)، وابن حبان (731)، والبيهقي (1159)، والضياء في المختارة (2658)، وحسنه الألباني والأرنؤوط.

(3) التنوير شرح الجامع الصغير (2 / 508).

قال ابن حجر: "فالتوكل لا ينافي تعاظم الأسباب؛ لأن التوكل عمل القلب وهي عمل البدن" (1).

وقال ابن القيم: "التوكل لا ينافي القيام بالأسباب، فلا يصح التوكل إلا مع القيام بها، وإلا فهو بطالة وتوكل فاسد. قال سهل بن عبد الله: من طعن في الحركة فقد طعن في السنة، ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان" (2).

وقال أيضًا: "فالتوكل من أعظم الأسباب التي يحصل بها المطلوب، ويندفع بها المكروه. فمن أنكر الأسباب لم يستقم منه التوكل. ولكن من تمام التوكل عدم الركون إلى الأسباب، وقطع علاقة القلب بها؛ فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بها. وحال بدنه قيامه بها.

فالأسباب محل حكمة الله وأمره ودينه. والتوكل متعلق بربوبيته وقضائه وقدره. فلا تقوم عبودية الأسباب إلا على ساق التوكل، ولا يقوم ساق التوكل إلا على قدم العبودية، والله سبحانه وتعالى أعلم" (3).

وقد غلط في هذا الباب طائفتان، والحق الأخذ بصواب ما مع كل منهما، وترك خطأ كلتا الطائفتين.

"إحداهما: زعمت أن التوكل وحده سبب مستقل كافٍ في حصول المراد،

(1) فتح الباري لابن حجر (6 / 82).

(2) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (2 / 117).

(3) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (2 / 120).



فعطلت له الأسباب التي اقتضتها حكمة الله الموصلة إلى مسبباتها، فوقعوا في نوع تفريط وعجز، بحسب ما عطلوا من الأسباب، وضعف توكلهم من حيث ظنوا قوته بانفراده عن الأسباب، فجمعوا الهم كله، وصيروه همًا واحدًا، وهذا وإن كان فيه قوة من هذا الوجه، ففيه ضعف من جهة أخرى، فكلما قوي جانب التوكل بإفراده أضعفه التفريط في السبب الذي هو محل التوكل؛ فإن التوكل محله الأسباب، وكماله بالتوكل على الله فيها، وهذا كتوكل الحراث الذي شق الأرض، وألقى فيها البذر، فتوكل على الله في زرعه وإنباته، فهذا قد أعطى التوكل حقه، ولم يضعف توكله بتعطيل الأرض، وتخليتها بورًا، وكذلك توكل المسافر في قطع المسافة مع جده في السير، وتوكل الأكياس من النجاة من عذاب الله، والفوز بثوابه، مع اجتهدهم في طاعته، فهذا هو التوكل الذي يترتب عليه أثره، ويكون الله حسب من قام به.

وأما توكل العجز والتفريط، فلا يترتب عليه أثره، وليس الله حسب صاحبه، فإن الله إنما يكون حسب المتوكل عليه إذا اتقاه، وتقواه فعل الأسباب المأمور بها، لا إضاعتها.

والطائفة الثانية: التي قامت بالأسباب، ورأت ارتباط المسببات بها شرعًا وقدرًا، وأعرضت عن جانب التوكل، وهذه الطائفة وإن نالت بما فعلته من الأسباب ما نالته، فليس لها قوة أصحاب التوكل، ولا عون الله لهم وكفايته إياهم ودفاعه عنهم، بل هي مخذولة عاجزة، بحسب ما فاتها من التوكل.

فالقوة كل القوة في التوكل على الله، كما قال بعض السلف: من سره أن يكون أقوى الناس، فليتوكل على الله، فالقوة مضمونة للمتوكل، والكفاية والحسب والدفع عنه، وإنما ينقص عليه من ذلك بقدر ما ينقص من التقوى والتوكل، وإلا فمع تحقيقه بهما لا بد أن يجعل الله له مخرجاً من كل ما ضاق على الناس، ويكون الله حسبه وكافيه⁽¹⁾.

أنواع التوكل:

التوكل على الله تعالى ينقسم إلى: توكل في الأمور الدنيوية، وتوكل في الأمور الدنيوية، وتوكل اختيار، وتوكل اضطرار.

وقد فصل ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ ذَلِكَ فقال:

"التوكل على الله نوعان: أحدهما: توكل عليه في جلب حوائج العبد وحظوظه الدنيوية، أو دفع مكروهاته ومصائبه الدنيوية.

والثاني: التوكل عليه في حصول ما يحبه هو ويرضاه من الإيمان واليقين والجهاد والدعوة إليه.

وبين النوعين من الفضل ما لا يحصيه إلا الله، فمتى توكل عليه العبد في النوع الثاني حق توكله كفاه النوع الأول تمام الكفاية، ومتى توكل عليه في النوع الأول دون الثاني كفاه أيضاً، لكن لا يكون له عاقبة المتوكل عليه فيما يحبه ويرضاه.

(1) زاد المعاد في هدي خير العباد (2/ 331).



فأعظم التوكل عليه التوكل في الهداية وتجريد التوحيد ومتابعة الرسول، وجهاد أهل الباطل، فهذا توكل الرسل وخاصة أتباعهم.

والتوكل تارة يكون توكل اضطرار وإلجاء؛ بحيث لا يجد العبد ملجأ ولا وَزَرًا إلا التوكل؛ كما إذا ضاقت عليه الأسباب وضاقت عليه نفسه، وظن أن لا ملجأ من الله إلا إليه، وهذا لا يتخلف عنه الفرج واليسير البتة.

وتارة يكون توكل اختيار؛ وذلك التوكل مع وجود السبب المفضي إلى المراد؛ فإن كان السبب مأمورًا به ذم على تركه، وإن قام السبب وترك التوكل ذم على تركه أيضًا؛ فإنه واجب باتفاق الأمة ونص القرآن، والواجب القيام بهما، والجمع بينهما، وإن كان السبب محرماً حرم عليه مباشرته، وتوحد السبب في حقه في التوكل فلم يبق سبب سواه؛ فإن التوكل من أقوى الأسباب في حصول المراد ودفع المكروه، بل هو أقوى الأسباب على الإطلاق.

وإن كان السبب مباحًا نظرت: هل يضعف قيامك به التوكل أو لا يضعفه؛ فإن أضعفه وفرق عليك قلبك وشتت همك فتركه أولى، وإن لم يضعفه فمباشرته أولى؛ لأن حكمة أحكم الحاكمين اقتضت ربط المسبب به فلا تعطل حكمته⁽¹⁾.

مواطن التوكل على الله تعالى :

يحتاج المسلم في هذه الحياة إلى ملازمة التوكل الصادق على الله تعالى في كل أعماله وأقواله وأحواله، لكن هناك مواطن يحسن فيها العمل بالتوكل على

(1) الفوائد لابن القيم (ص: 86).

الله وتحصيله فيها أكثر من غيرها، منها:

1- عند القيام بعبادة الله تعالى:

فالمسلم مهما كان عنده من القدرة والقوة والرغبة فإن ذلك قد لا يستمر ولا يدوم معه؛ فلذلك يحتاج إلى التوكل؛ لأن التوكل يحمل على الاستعانة والإخلاص، قال تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: 123].

2- في أيام الشدائد، ونزول المكروهات والمصائب حتى يخرج منها ويطلب الفرج من شدتها:

قال تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: 51]. فمن أراد النجاة من مصيبتة والخروج من أزمته فليتوكل على الله، ويعلق قلبه للنجاة منها بالله تعالى وحده.

3- عند مواجهة العدو في طريق العزة والكرامة، ونشر الحق، والدفاع عن النفس والمال والعرض:

قال تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: 160].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَهُ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: 173-174].

عن ابن عباس رضي الله عنهما: "حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ" قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا



لَكُمْ فَأَخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١﴾

4- عند خوف مكر الماكرين وكيد الكائدين:

قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾ [يونس: 71].

وقال: ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب: 48].

5- عند طلب الرزق:

فإن الرزق لا ينال بقوة قوي، ولا حرص حريص، ولا ذكاء ذكي.
عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقْتُمْ كَمَا تُرْزَقُ الطَّيْرُ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا) (2).

6- عند الخروج من المنزل:

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ

(1) رواه البخاري (4563).

(2) رواه أحمد (373)، والترمذي (2344)، والنسائي في الكبرى (11805)، وابن حبان (730)، والبيهقي في الشعب (1139)، وأبو داود الطيالسي (51)، وأبو يعلى (247)، والبزار (340)، والحاكم (7894) وقال: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ" وسكت عنه الذهبي، وصححه الألباني.

بَيْتِهِ فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، يُقَالُ حِينَئِذٍ: هُدَيْتَ، وَكُفَيْتَ، وَوُقِيتَ، فَتَتَحَى لَهُ الشَّيَاطِينُ، فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرُ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ؟ (1).

ثمرات التوكل على الله تعالى :

للتوكل على الله تعالى ثمرات كثيرة عاجلة وآجلة، **فمنها :**

1- الظفر بالمرغوب، والسلامة من المرهوب :

قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب: 48].

قال لقمان لابنه: "يا بني، الدنيا بحر غرق فيه أناس كثير، فإن استطعت أن تكون سفينتك فيها الإيمان بالله، وحشوها العمل بطاعة الله عز وجل، وشراعها التوكل على الله؛ لعلك تنجو" (2).

وقال ابن القيم: "فإن التوكل من أقوى الأسباب في حصول المراد، ودفع المكروه، بل هو أقوى الأسباب على الإطلاق" (3).

2- الكفاية من أذى المؤذين وعدوان المعتدين :

ف"التوكل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم، وهو من أقوى الأسباب في ذلك؛ فإن الله حسبه أي: كافيته،

(1) رواه أبو داود (5095)، والنسائي (9837)، والبيهقي في الدعوات الكبير (454)، وصححه الألباني.

(2) التوكل على الله لابن أبي الدنيا (ص: 49).

(3) الفوائد لابن القيم (ص: 86).



ومن كان الله كافيهِ وواقِيهِ فلا مطمع فِيهِ لعدوه ولا يضره إلا أذى لا بد منه كالحر والبرد والجوع والعطش، وأما أن يضره بما يبلغ منه مراده فلا يكون أبداً وفرق بين الأذى الذي هو في الظاهر إيذاء له وهو في الحقيقة إحسان إليه، وإضرار بنفسه، وبين الضرر الذي يتشقى به منه، قال بعض السلف: جعل الله تعالى لكل عمل جزاء من جنسه، وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته لعبده فقال: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: 3]. ولم يقل: نؤته كذا وكذا من الأجر، كما قال في الأعمال، بل جعل نفسه سبحانه كافي عبده المتوكل عليه وحسبه وواقيه، فلو توكل العبد على الله تعالى حق توكله وكادته السموات والأرض ومن فيهن لجعل له مخرجاً من ذلك، وكفاه ونصره" (1).

3- إذهاب التشاؤم والطيرة:

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (الطَّيْرَةُ شِرْكٌ وَمَا مِنَّا، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ) (2).

4- السلامة من سلطان الشيطان:

قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: 98-99].

(1) بدائع الفوائد (2/ 239).

(2) رواه أحمد (3687)، والبخاري في الأدب المفرد (909)، وأبو داود (3910)، وابن ماجه (3538)، وابن حبان (6122)، وأبو داود الطيالسي (354)، وأبو يعلى (5219)، وابن أبي شيبة (26391)، والبيهقي في الكبرى (16517)، والحاكم (44)، وقال: "هذا حديث صحيح سنده، ثقات رواه، ولم يخرجاه". وصححه الألباني والأرنؤوط.

5- نيل محبة الله تعالى :

قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل

عمران: 159].

قدوة صالحة :

1- قال تعالى عن هود عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * مِنْ دُونِهِ فَكِدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونَ * إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود: 54-56].

2- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ غَزْوَةَ قَبَلِ نَجْدٍ، فَأَدْرَكَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ شَجَرَةٍ، فَعَلَّقَ سَيْفَهُ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا قَالَ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الْوَادِي يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ رَجُلًا أَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ، فَأَخَذَ السَّيْفَ فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِي، فَلَمْ أَشْعُرْ إِلَّا وَالسَّيْفُ صَلَّتَا فِي يَدِهِ، فَقَالَ لِي: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ، ثُمَّ قَالَ فِي الثَّانِيَةِ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ قُلْتُ: اللَّهُ، قَالَ: فَشَامَ السَّيْفَ فَهَا هُوَ ذَا جَالِسٌ "ثُمَّ لَمْ يَعْزِضْ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ" (1).

(1) رواه البخاري (2910)، ومسلم (843).



ما أكثر ما يواجه المرء في هذه الحياة من المكاره، ويلقى من الصعوبات، وما أكثر ما يكون له من الرغبات والمطالب، غير أن طبع هذه الحياة الموقوتة لا يتم فيها للإنسان ما يريد؛ فينزل به بعض ما يكره، ولا يتحقق له كل ما يأمل.

وتجاه هذه الحال تتباين مواقف الناس؛ فمنهم من يتضجر ويسخط حتى ينتهي إلى اليأس، وسوء الظن بربه، ومنهم من يرضى ويحسن بربه الظن، ويوقن بأن اختيار الله خير له، فينتهي به ذلك الشعور إلى التفاؤل وبقاء تعلق النفس قائماً بحصول المرجو.

وما أكثر الخطايا والمخالفات التي يرتكبها ابن آدم، فلو فكر فيها وخلا قلبه من حسن الظن بالله لحكم على نفسه بالهلاك الذي لا نجاة بعده.

ولكن تبقى نافذة يتسلل منها إلى النفس نور التفاؤل والأمن، هي نافذة حسن الظن بالله جل وعلا.

تعريف حسن الظن بالله تعالى :

حسن الظن بالله: هو خلق يحمل المؤمن على أن يعتقد بأن الله تعالى ذو رحمة ومغفرة مهما كانت الذنوب، وأنه سبحانه وتعالى يختار للمؤمن الخير

ويعطيه، ويدخر له ما يسعده ويرضيه. مع عمله بالأسباب الممكنة للوصول إلى تلك المطالب.

أهمية حسن الظن بالله تعالى :

حسن الظن بالله خلق إيماني ذو أهمية كبيرة؛ حتى روي عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: "عمود الدين، وغاية مجده، وذروة سنامه: حسن الظن بالله" (1).

وتظهر هذه الأهمية في كونه يجب على الإنسان أن يتحلى به، ويتخلى عن ضده، وتظهر كذلك في آثاره الحسنة على أهله في الدنيا والآخرة كما سيأتي.

مواطن حسن الظن بالله تعالى :

يجب أن يكون المسلم حسن الظن بربه في جميع الأوقات والأحوال، غير أن هناك مواطن يحسن فيها الظن بالله تعالى أكثر من غيرها، فمنها:

أولاً: عند البلاء والمكروه:

البلاء قدرٌ ينزله الله تعالى على من يشاء من عباده؛ فينزل على الصالحين، وينزل على الطالحين، وهو دائر بين المحق والتمحيص؛ محق الكافرين والعاصين، وتمحيص المؤمنين ورفع شأن الصالحين، قال تعالى: ﴿إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا

(1) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص: 174).



وَيَمَحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾ [آل عمران: 140-141].

قال المباركفوري: "ومن مواطن حسن الظن بالله تعالى التي لا ينبغي للعبد أن يفارقه فيها: أوقات الشدائد والمحن، وحلول المصائب في الأهل والمال والبدن؛ لئلا يقع بعدم ذلك في الجزع والسخط"^(١).

والمؤمن في ظل هذا المكروه حسن الظن بالله تعالى، يعتقد أن الله تعالى لم يبتله إلا لخير يريده له، وأن مآل ذلك البلاء إلى عاقبة حسنة، وأن الله سيرفع ما نزل به وإن طال زمن مكثه.

عن إبراهيم بن الأشعث قال: سمعت الفضيل بن عياض **رَحِمَهُ اللَّهُ**، يقول: "لو أدخلني الله النار فصرت فيها ما أيسته"^(٢).

وحاله:

وَأَنِّي لَأَرْجُو اللَّهَ حَتَّى كَأَنِّي أَرَى بِجَمِيلِ الظَّنِّ مَا اللَّهُ صَانِعٌ^(٣)

وهذا رسولنا **ﷺ** يطارده المشركون حتى يصلوا إلى باب الغار، وبينه وبين الموت أو الأسر نظرة إلى تحت الأقدام، ومع ذلك كله كان حسن الظن بصرف الله هذا البلاء عنه وعن صاحبه، قال الله تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ

(١) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (382/7).

(٢) حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا (ص: 95).

(٣) حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا (ص: 100).

مَعَنَا ﴿التوبة: 40﴾.

عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: نَظَرْتُ إِلَى أَقْدَامِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى رُؤُوسِنَا وَنَحْنُ فِي الْغَارِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمِيهِ أَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمِيهِ، فَقَالَ: (يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ تَالِثُهُمَا) ⁽¹⁾ "أي: بالنصرة والإعانة، أفتظن أن يخذلهما، فرده من النظر إلى الأسباب إلى المسبب" ⁽²⁾.

ومن المكروه: العجز عن قضاء الدين؛ فإن حسن الظن بالله يوقن بأن الله سيعينه على قضاء دينه؛ فهذا الزبير بن العوام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوصي ابنه عبد الله قبل موته بقضاء دينه: "قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَجَعَلَ يُوصِينِي بِدَيْنِهِ، وَيَقُولُ: يَا بُنَيَّ، إِنْ عَجَزْتَ عَنْهُ فِي شَيْءٍ، فَاسْتَعِنْ عَلَيْهِ مَوْلَايَ، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا دَرَيْتُ مَا أَرَادَ حَتَّى قُلْتُ: يَا أَبَتِ مَنْ مَوْلَاكَ؟ قَالَ: اللَّهُ، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا وَقَعْتُ فِي كُرْبَةٍ مِنْ دَيْنِهِ، إِلَّا قُلْتُ: يَا مَوْلَى الزُّبَيْرِ اقْضِ عَنْهُ دَيْنَهُ، فَيَقْضِيهِ" ⁽³⁾.

ثَانِيًا: عِنْدَ الْعَصِيَانِ:

فمن حسن ظنه بالله تعالى رجا من ربه غفران ذنوبه مهما بلغت، ولا يقوده الشيطان إلى هوة اليأس والقنوط، وقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ

(1) رواه البخاري (4663)، ومسلم (2381).

(2) كشف المشكل من حديث الصحيحين (1/14).

(3) رواه البخاري (3129).



أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿الزمر: 53﴾.

"عن محمد بن سيرين، قال: قال علي **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: "أي آية في القرآن أوسع؟ فجعلوا يذكرون آيا من القرآن: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: 110] أو نحوها فقال علي: ما في القرآن آية أوسع من: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: 53]" (1).

وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ **ﷺ** يَقُولُ: (قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أَبَالِي) (2).

"**أي**: ما دمت تدعوني، وترجو مغفرتي، ولا تقنط من رحمتي، فإني أغفر لك، ولا يعظم علي مغفرتك وإن كانت ذنوبك كثيرة وفي عدم المبالاة معنى قوله: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ [الأنبياء: 23]" (3).

(1) حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا (ص: 77).

(2) رواه أحمد (21505)، والترمذي (3540)، والطبراني في الصغير (820) والأوسط (5483) والكبير (12346)، والدارمي (2830)، والبيهقي في الشعب (1011)، والبزار (6760)، **قال الهيثمي**: "رواه الطبراني في الثلاثة، وفيه إبراهيم بن إسحاق الصيبي، وقيس بن الربيع، وكلاهما مختلف فيهما، وبقيته رجاله رجال الصحيح" مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (10/216). وصححه الألباني.

(3) شرح المشكاة للطبي الكاشف عن حقائق السنن (6/1845).



"لأن الدعاء مخ العبادة، والرجاء يتضمن حسن الظن بالله" (1).

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (قَالَ اللَّهُ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي) (2). **وفي رواية:** (إِنْ ظَنَّ بِي خَيْرًا فَلَهُ، وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا فَلَهُ) (3).

وقد تنوعت عبارات العلماء في شرح قوله تعالى: (أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي) فقليل: "معناه: بالغفران له إذا استغفرني، والقبول إذا أناب إلي، والإجابة إذا دعاني، والكفاية إذا استكفاني؛ لأن هذه الصفات لا تظهر من العبد إلا إذا أحسن ظنه بالله وقوى يقينه" (4).

وقيل: "المعنى: أعامله علي حسب ظنه، وأفعل به ما يتوقعه مني. والمراد الحث على تغليب الرجاء علي الخوف، وحسن الظن بالله" (5). يعني: "إن اعتقدني كريماً أكرمت عليه، وإن اعتقدني غفوراً غفرت له، وإن اعتقدني كريماً رحمته" (6).

وعن سهيل أخي حزم القطعي قال: "رأيت مالك بن دينار رَحِمَهُ اللَّهُ في منامي، فقلت: يا أبا يحيى، ليت شعري ماذا قدمت به على الله عز وجل؟ قال: قدمت

(1) التيسير بشرح الجامع الصغير (2/ 190).

(2) رواه البخاري (7505)، ومسلم (2675).

(3) مسند أحمد (9076).

(4) إكمال المعلم بفوائد مسلم (8/ 172).

(5) شرح المشكاة للطبي الكاشف عن حقائق السنن (5/ 1723).

(6) المفاتيح في شرح المصابيح (3/ 134).



بذنوب كثيرة ، محاها عني حسن الظن بالله ⁽¹⁾.

وعن عبد الله بن شميطة، قال: "سمعت أبي ذكر المعاصي، فأكبرها وأعظمها ثم قال: وإن كان كل ما عصيت به عظيماً، فإنه في سعة رحمتك صغير" ⁽²⁾.

وعن مسجع، قال: قالت امرأة من العرب ذات عقل ودين: "سبحانك إلهي، إمهالك المذنبين أطمعني لهم في حسن عفوك عنهم، سبحانك إلهي، لم يزل قلبي يشهد برضاك لمن نال عفوك، سبحانك إلهي تفضلاً منك وامتناناً على خلقك" ⁽³⁾.

وعن سليمان بن الحكم بن عوانة، أن رجلاً دعا بعرفات، فقال: "لا تعذبنا بالنار بعد أن أسكنت توحيدك قلوبنا، قال: ثم بكى وقال: ما إخالك تفعل بعفوك، ثم بكى، وقال: ولئن فعلت فبذنوبنا، لتجمعن بيننا وبين قوم طال ما عاديناهم فيك" ⁽⁴⁾.

قال بعض العلماء: "فإن قلت: فما أسباب الظن بأن الله سيغفر لي؟

قلت: منها النظر إلى سابق فضله حيث خلقك من المسلمين، ووفقك للإسلام، ثم ترادفت ألطافه المفضية بك إلى فعل كثير من الخير وترك الشرور، وأنها لك بعد المعصية لعلك تستعتب وفتح باب التوبة، وحفظك لكتاب الله يعود عليك بركته ومواعظه بكرةً وأصيلاً، وكذلك غيره من الوحي الذي بلغنا

(1) حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا (ص: 23).

(2) المصدر السابق (ص: 64).

(3) المصدر السابق.

(4) حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا (ص: 25).



عن رسول الله ﷺ ومنها كثيرة من أسمائه الحسنی، مثل الرحمن، الرحيم، الرؤوف، البر، الودود، الغفار، العفو، القريب، المجيب، ونحوها، وما تضمنته السنة من ذكر قضايا من المغفرة بأدنى شيء.

ومنها: أنه واسع المغفرة، ولو ضايق العبيد بعض المضايقة لهلكوا، ولكنه لا يهلك على الله إلا هالك أي: شأنه الهلاك لا علاج له.

ومنها: فضائل الأعمال التي أوتيت طرفاً منها مثل: كلمة الشهادة وتلاوة القرآن وسائر الأذكار والصلاة والصيام والحج وغير ذلك.

ومنها: أن ترزق المحافظة على ما كلفت به من فعل أو ترك، لا سيما الاستغفار والتوبة على الدوام والإسراع إلى ذلك؛ فإنك كالملدوغ وذلك ترياقه.

ومنها: أن يفتح الله عليك بذكره في قلبك ولسانك في كثير أوقاتك.

ومنها: ذكر الموت ومراقبة هجومه، وأي سبب ذلك للإقبال على الله والإدبار عن الدنيا، وذلك من مثيرات الظن بالله أنه يريد بك الرحمة.

ومن حسن الظن: أنك تقبض على أحسن أحوالك فتصير جامعاً بين خوفك ورجائك للرب سبحانه.

ومنها: أن تسرك حسنتك وتسوئك سيئتك، فإن ذلك من علامة الإيمان.

ومنها: أن يرزقك حسن الظن به مع سوء ظنك بنفسك مما علمت من شرها؛ لأن ذلك أصلها وسبيلها فتنتهي عن الغرور.



وحاصل هذا البحث أحسن ما يقال في قوله تعالى: ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: 18]، فإن النظر في صورة الأعمال مع عدم الوثوق بها وتحويل اختلالها لا يكاد يسكن قلب المؤمن التقي ما لم تدرج هذه الأمور المذكورة فيصير قد قدم بعد حسن الظن بالله⁽¹⁾.

ثالثاً: عند الدعاء:

فالمسلم حين يدعو -بعد استيفاء شروط الدعاء وآدابه والسلامة من موانع الإجابة- عليه أن يحسن الظن بالله تعالى بأنه يجيبه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه)⁽²⁾؛ "لأن الإيقان بها من حسن الظن بالرب تعالى، وقد ثبت أنه عند حسن ظن عبده به"⁽³⁾.

قال ابن حجر عن حديث: (أنا عند ظن عبدي بي): "وقال القرطبي في المفهم: قيل معنى (ظن عبدي بي): ظن الإجابة عند الدعاء، وظن القبول عند التوبة، وظن المغفرة عند الاستغفار، وظن المجازاة عند فعل العباداة بشروطها؛

(1) التنوير شرح الجامع الصغير (3/ 417).

(2) رواه الترمذي (3479)، والطبراني في الأوسط (5109)، والخراطي في اعتلال القلوب (5)، والبزار (10061)، والحاكم (1817) **وقال**: "هَذَا حَدِيثٌ مُسْتَقِيمٌ الْإِسْنَادُ تَقَرَّدَ بِهِ صَالِحُ الْمُرِّيُّ، وَهُوَ أَحَدُ زُهَادِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ" قال الهيثمي: "رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ"، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (10/ 148).

(3) التنوير شرح الجامع الصغير (1/ 472).

تمسكاً بصادق وعده، قال: ويؤيده قوله في الحديث الآخر: (ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة) قال: ولذلك ينبغي للمرء أن يجتهد في القيام بما عليه موقناً بأن الله يقبله ويغفر له؛ لأنه وعد بذلك وهو لا يخلف الميعاد، فإن اعتقد أو ظن أن الله لا يقبلها، وأنها لا تنفعه فهذا هو اليأس من رحمة الله وهو من الكبائر، ومن مات على ذلك وكل إلى ما ظن، كما في بعض طرق الحديث المذكور: (فليظن بي عبدي ما شاء) قال: وأما ظن المغفرة مع الإصرار فذلك محض الجهل والغرة وهو يجر إلى مذهب المرجئة⁽¹⁾.

والعبد الحسن الظن بالله تعالى لا يستبعد على كرم الله وغناه وقدرته أن ينيله فوق ما تطلبه نفسه، وهذا يجعله يرفع سقف مطالبه الممكنة. ففي الحديث: (أنا عند ظن عبدي بي) "يعني: إنه إن تباعد ظنه فبلغ أقصى مبلغ من الأمان العريضة والآمال الطويلة، فإني عند ظنه كما أنه إن جهلني عبدي فظن في ظناً ضعيفاً فأملني أملاً صغيراً، فلم يتسع أمله لسوء ظنه بجودي، كان الحد الذي انتهى إليه قصور نفسه، هو الذي حبسه عن النيل لما أدركه أهل حسن الظن"⁽²⁾.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: (إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلَا يَقُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، وَلَكِنْ لِيَعْرِزِ الْمَسْأَلَةُ وَلِيُعْظِمِ الرَّغْبَةُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ)⁽³⁾.

(1) فتح الباري لابن حجر (13/386).

(2) الإفصاح عن معاني الصحاح (6/47).

(3) رواه مسلم (2679).



فقله: "(وليعظم الرغبة) أي: وليشدّد الرغبة والرجاء في قبول دعائه، أو المعنى: وليجعل رغبته في أمور عظيمة وحوائج كثيرة (فإن الله) سبحانه (لا) يتعاضمه شيء أعطاه) لداعيه أي: لا يكون عظيمًا صعبًا عليه؛ فإنه إنما يقول: كن فيكون" (1).

"فإن أحد ملوك هذه الدنيا لو قد تعرض له سائل فتوصل إلى لقائه فلما واجهه قال له: سلني، فلو سأله فلسًا من نحاس لاستهجن ذلك، وخاطبته العقول بالسنة الأحوال: يا هذا، تسأل من هذا الملك الواحد - وقد قال لك: اطلب مني، ودعاك إلى سؤاله - هذا المقدار اللطيف؟ لقد أفصحت بمسألتك هذه عن تبخيل هذا الملك، أو اختلال عقلك" (2).

رابعاً: عند فعل العمل الصالح:

فيقدم العبد على فعل الطاعة على الطريق الصحيحة وهو حسن الظن بالله بأنه سيقبلها ويؤجره عليها، لكن من غير جزم.

فيكون "قوي الرجاء في قبول أعماله الصالحة، وتوفية أجوره عليها في دار الجزاء، فيوجب له ذلك المبادرة لامثال الأمر والتكثير من أعمال البر" (3).

و"كلما أحسن الأدب في عبادة ربه حسن ظنه بأنه يقبلها، وكل ما شاهد توفيقه لفعلها حسن ظنه في عفوه عن زللها، ومن لا يحسن أدبه في خدمة ربه

(1) الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (25 / 18).

(2) الإفصاح عن معاني الصحاح (7 / 241).

(3) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (7 / 382).



يتوهم أنه يحسن الظن وهو مغرور ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [لقمان: 33]. فيراه يأتي بصورة عبادة بغير أدب، ويؤمل القبول ويسيء الظن بسيده في ضمان رزقه، فيحرص عليه ويأخذه من غير حله، ويسيء الظن به في الشدائد فيفزع إلى غيره، ويسيء الظن به في الخلق فلا ينفق في طاعته، ويحقق ظن عدوه وشيطانه فيستجيب له في بخله ⁽¹⁾.

خامساً : عند طلب الرزق :

فيبذل الإنسان الأسباب المشروعة لنيل الرزق المقسوم وكله رجاء وحسن ظن بأن الله سيرزقه ما يكفيه، من غير أن يصحبه يأس وسوء ظن بالله بأنه يمنع عنه الرزق، فيحمله ذلك على السخط على ربه والمسارة إلى سبل الحرام للحصول على المال.

كذلك يجمل بالعبد أن يحسن الظن بالله تعالى في تقسيم الأرزاق، وتفاوت الناس فيها بين غني وفقير، فيعتقد أن الله تعالى حكيم في هذا القضاء، فلا يقول: لماذا كنت فقيراً وفلان كان غنياً!، قال تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [الشورى: 27]. وقال: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلَخِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: 32].

(1) فيض القدير (2/ 446).



ولا يقول كما قال ذلك القائل :

سبحان من أنزل الدنيا منازلها وصير الناس مشنوءاً وموئداً
 فعاقِلٌ فطِنٌ أعيّت مذهبُه وجاهلٌ خرقٌ تلقاه مرزوقاً
 كأنه من خليج البحر مُعترفٌ ولم يكن بارتزاق القوت محقوقاً
 هذا الذي ترك الأبواب حائرةً وصير العاقل النحرير زنديقاً⁽¹⁾

سادساً : عند إنفاق المال في مرضي الله تعالى :

فقد وعد الله تعالى المنفق في سبيله بالخلف، فقال: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: 39]. وقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَا نَقَصْتُ صَدَقَةً مِنْ مَالٍ)⁽²⁾.

فمن كان حسن الظن بالله تعالى فإنه سيسارع إلى الإنفاق وكله يقين بتعويض ذلك له من ربه، ومن غير خوف النقص والذهاب؛ لهذه الوعود الشريفة.

"قال بعضهم: إن لله تعالى عباداً ينفقون على قدر بضائعهم، والله عباد ينفقون على قدر حسن الظن بالله تعالى"⁽³⁾.

(1) أخلاق الوزيرين (ص: 123).

(2) رواه مسلم (2588).

(3) إحياء علوم الدين (4/ 209).

سابعاً : عند الموت :

على العبد في حال استقرار حاله في حياته من غير علامة موت تظهر عليه؛ أن يعيش بين جناحي الخوف والرجاء؛ رجاء يبعده عن القنوط من رحمة الله، وخوف يصرفه عن الإقامة على معصيته.

قال لقمان لابنه: "يا بني، خف الله خوفاً يحول بينك وبين الرجاء، وارجع رجاء يحول بينك وبين الخوف قال: فقال: أي أبه، إنما لي قلب واحد إذا ألزمته الخوف شغله عن الرجاء، وإذا ألزمته الرجاء شغله عن الخوف قال: أي بني، إن المؤمن له قلب كقلبين يرجو الله عز وجل بأحدهما ويخافه بالآخر" (1).

وأما في حال انتقاله إلى ربه بوصوله إلى آخر لحظات الدنيا وهو ما زال في وعيه؛ ينبغي أن يغلب في هذه الحال جانب الرجاء وحسن الظن بالله تعالى "بأن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه؛ لأنه إذا حضر أجله، وأتت رحلته لم يبق لخوفه معنى، بل يؤدي إلى القنوط وهو تضيق لمجاري الرحمة والإفضال، ومن ثم كان من الكبائر القلبية، فحسن الظن، وعظم الرجاء أحسن ما تزوده المؤمن لقدمه على ربه" (2).

عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يَقُولُ: (لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ) (3).

(1) حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا (ص: 115).

(2) فيض القدير (6 / 455).

(3) رواه مسلم (2877).



قال النووي في شرح هذا الحديث: "قال العلماء: معنى حسن الظن بالله تعالى: أن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه، قالوا: وفي حالة الصحة يكون خائفًا راجيًا، ويكونان سواء، وقيل: يكون الخوف أرجح، فإذا دنت أمارات الموت غلب الرجاء أو محضه؛ لأن مقصود الخوف الانكفاف عن المعاصي والقبائح، والحرص على الإكثار من الطاعات والأعمال، وقد تعذر ذلك أو معظمه في هذا الحال، فاستحب إحسان الظن المتضمن للافتقار إلى الله تعالى والإذعان له، ويؤيده الحديث المذكور بعده: (يبعث كل عبد على ما مات عليه)؛ ولهذا عقبه مسلم للحديث الأول، قال العلماء: معناه: يبعث على الحالة التي مات عليها، ومثله الحديث الآخر بعده: (ثم بعثوا على نياتهم)"⁽¹⁾.

قال القرطبي: "حسن الظن بالله تعالى ينبغي أن يكون أغلب على العبد عند الموت منه في حال الصحة، وهو أن الله تعالى يرحمه ويتجاوز عنه، ويغفر له، وينبغي لجلسائه أن يذكروه بذلك؛ حتى يدخل في قوله تعالى: (أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء)"⁽²⁾.

وقال ابن الجوزي: "فليجعل المريض حسن الظن بالله شعاره ودثاره، وليقو نفس رجائه؛ فإن الخوف سوط تساق به النفس إلى الجد، وما بقي في الناقة موضع لشوط؛ إنما حسن الظن جدا"⁽³⁾.

(1) شرح النووي على مسلم (210 / 17).

(2) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص: 174).

(3) الثبات عند الممات (ص: 67).

وهذه الحال كانت دأب السلف في أقوالهم وأفعالهم:

1- قال حيَّانُ أَبُو النَّضْرِ: "دَخَلْتُ مَعَ وَائِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ عَلَى أَبِي الْأَسْوَدِ الْجَرْشِيِّ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، وَجَلَسَ قَالَ: فَأَخَذَ أَبُو الْأَسْوَدِ يَمِينَ وَائِلَةَ فَمَسَحَ بِهَا عَلَى عَيْنَيْهِ، وَوَجَّهَ لِيَعْتَهُ بِهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ وَائِلَةُ: وَاحِدَةٌ، أَسَأَلْتُكَ عَنْهَا؟ قَالَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: كَيْفَ ظَنُّكَ بِرَبِّكَ؟ قَالَ: فَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ: وَأَشَارَ بِرَأْسِهِ، أَيُّ: حَسَنٌ قَالَ وَائِلَةُ: أَبْشُرْ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَلْيُظَنَّ بِي مَا شَاءَ)" (1).

2- وعن ابن عباس قال: "إذا رأيتم بالرجل الموت فبشروه ليلقي ربه وهو حسن الظن به، وإذا كان حيًّا فخوفوه" (2).

3- قال المعتمر: قال أبي حين حضرته الوفاة: "يا معتمر، حدثني بالرخص؛ لعلني ألقى الله عز وجل وأنا حسن الظن به" (3).

4- وعن إبراهيم، قال: "كانوا يستحبون أن يلقنوا العبد محاسن عمله عند موته؛ لكي يحسن ظنه بربه عز وجل" (4).

(1) رواه أحمد (16016)، والطبراني في الكبير (210)، والدارمي (2773)، والبيهقي في شعب الإيمان (975)، وابن حبان (633)، والحاكم (7603) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ "ووافقه الذهبي. **وقال الهيثمي:** "رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَرِجَالُ أَحْمَدَ ثِقَاتٌ"، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (318/2)

(2) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص: 175).

(3) حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا (ص: 40).

(4) المصدر السابق.



5- وقال ابن الأمير الصنعاني: "وقد قال بعض أئمة العلم: إنه يحسن جمع أربعين حديثاً في الرجاء تقرأ على المريض، فيشتد حسن ظنه بالله؛ فإنه تعالى عند ظن عبده به، وإذا امتزج خوف العبد برجائه عند سياق الموت فهو محمود" (1).

غير أن حسن الظن في هذا الموطن لا يعني ذهاب الخوف بالكلية، وإنما التغليب فقط؛ بدليل حديث أنسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم دَخَلَ عَلَى شَابٍّ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ، فَقَالَ: (كَيْفَ تَجِدُكَ؟)، قَالَ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَرْجُو اللَّهَ، وَإِنِّي أَخَافُ ذُنُوبِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو وَأَمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ) (2).

قال السندي: "يدل على أنه ينبغي وجود الأمرين على الدوام حتى في ذلك الوقت، وأنه لا ينبغي أن يغلب الرجاء في ذلك الوقت بحيث لا يبقى من الخوف شيء" (3).

ثمرات حسن الظن:

إن حسن الظن خلق قلبي يثمر على من تحلى به ثمرات كثيرة، منها:

1 - أنه طريق إلى نيل المطالب:

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "والذي لا إله غيره ما أعطي عبد مؤمن

(1) سبل السلام (1/ 466).

(2) رواه الترمذي (983)، والنسائي في الكبرى (10834)، وابن ماجه (4261)، والبيهقي في شعب الإيمان (970)، والبخاري (6874)، وحسنه الألباني.

(3) حاشية السندي على سنن ابن ماجه (2/ 566).



شيئاً خيراً من حسن الظن بالله عز وجل، والذي لا إله غيره لا يحسن عبد بالله عز وجل الظن إلا أعطاه الله عز وجل ظنه؛ ذلك بأن الخير في يده" (1).

وقال ابن القيم: "وكلما كان العبد حسن الظن بالله، حسن الرجاء له، صادق التوكل عليه؛ فإن الله لا يخيب أمله فيه البتة؛ فإنه سبحانه لا يخيب أمل آمل، ولا يضيع عمل عامل" (2).

2- الراحة والاطمئنان:

قيل: قتل القنوط صاحبه، وفي حسن الظن بالله راحة القلوب" (3).
فأحسن الناس عيشاً، وأسعدهم قلباً، وأفسحهم صدرأً، وأنقاهم بالاً؛ أهل حسن الظن بالله تعالى.

3- إجابة الدعاء:

قال ابن القيم: "وحسن الظن بالله لقاح الافتقار والاضطرار إليه، فإذا اجتمعا أثمر إجابة الدعاء" (4).

فحسن الظن لا ييأس من تأخر الإجابة فيدع الدعاء، بل يستمر موقناً بأن الله سيحييه، فعن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عَنِ النَّبِيِّ **ﷺ** أَنَّهُ قَالَ: (لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ

(1) حسن الظن بالله (ص: 96).

(2) مدارج السالكين (1/ 468).

(3) أدب الدنيا والدين (ص: 221).

(4) الفوائد لابن القيم (ص: 199).



لِلْعَبْدِ، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةٍ رَحِمٍ، مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ) قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا
الِاسْتِعْجَالُ؟ قَالَ: يَقُولُ: (قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ، فَلَمْ أَرِ يَسْتَجِبْ لِي،
فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدْعُ الدُّعَاءَ)⁽¹⁾.

4- النجاة من النار:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ أَرْبَعَةٌ،
فَيَعْرِضُونَ عَلَى اللَّهِ، فَيُلْتَفِتُ أَحَدُهُمْ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، إِذَا أَخْرَجْتَنِي مِنْهَا فَلَا
تُعَذِّبْنِي فِيهَا، فَيُنْجِيهِ اللَّهُ مِنْهَا)⁽²⁾.

قال ابن هبيرة: "هذا الحديث يفيد أن حسن الظن بالله عز وجل خير
متعلق"⁽³⁾.

5- غفران الذنوب:

ففي الحديث القدسي المتقدم: (يا ابن آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي
غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أَبَالِي).

حقيقة حسن الظن:

إن حسن الظن بالله تعالى -فيما يتعلق بالثواب والعقاب- لا يعني الاتكال
على سعة رحمة الله وترك العمل، وقد نبه على ذلك عدد من العلماء:

(1) رواه مسلم (2735).

(2) رواه مسلم (192).

(3) الإفصاح عن معاني الصحاح (5/ 354).

قال ابن القيم: "ومن تأمل هذا الموضع حق التأمل علم أن حسن الظن بالله هو حسن العمل نفسه؛ فإنَّ العبد إنما يحمله على حسن العمل حسنُ ظنه بربه أن يجازيه على أعماله، ويشبهه عليها، ويتقبلها منه. فالذي حمّله على العمل حسنُ الظن، وكلّما حسنُ ظنه حسنُ عمله، وإلا فحسنُ الظن مع اتباع الهوى عجز، كما في الترمذي والمسنّد من حديث شدّاد بن أوس عن النبي ﷺ أنّه قال: (الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله). وبالجملّة، فحسنُ الظنّ إنّما يكون مع انعقاد أسباب النجاح. وأما مع انعقاد أسباب الهلاك، فلا يتأتّى إحسانُ الظنّ.

فإن قيل: بل يتأتّى ذلك، ويكون مستندُ حسنِ الظنّ سعةَ مغفرة الله ورحمته وعفوه وجوده، وأنَّ رحمته سبقت غضبه، وأنه لا تنفعه العقوبة ولا يضرّه العفو.

قيل: الأمر هكذا، والله فوق ذلك، وأجلُّ وأكرم وأجود وأرحم. ولكن إنّما يضع ذلك في محله اللائق به؛ فإنه سبحانه موصوف بالحكمة، والعزة، والانتقام وشدة البطش، وعقوبة من يستحق العقوبة.

فلو كان معوّلُ حسنِ الظنّ على مجرد صفاته وأسمائه لا شترك في ذلك البرّ والفاجر، والمؤمن والكافر، ووليه وعدوه. فما ينفع المجرمُ أسماءُه وصفاته، وقد باء بسخطه وغضبه، وتعرّض للعتة، وأوضع في محارمه، وانتهك حرّماته؟ بل حسنُ الظنّ ينفع من تاب، وندم، وأقلع، وبَدّل السيئة بالحسنة، واستقبل بقية عمره بالخير والطاعة، ثم حسنُ الظنّ. فهذا حسنُ الظنّ، والأول غرور⁽¹⁾.

(1) الداء والدواء (48 / 1).



وقال أيضًا: "ولا ريب أن حسن الظن إنما يكون مع الإحسان؛ فإن المحسن حسن الظن بربه أن يجازيه على إحسانه ولا يخلف وعده، ويقبل توبته.

وأما المسيء المصير على الكبائر والظلم والمخالفات فإن وحشة المعاصي والظلم والحرام تمنعه من حسن الظن بربه، وهذا موجود في الشاهد؛ فإن العبد الأبق الخارج عن طاعة سيده لا يحسن الظن به، ولا يجمع وحشة الإساءة إحسان الظن أبداً؛ فإن المسيء مستوحش بقدر إساءته، وأحسن الناس ظناً بربه أطوعهم له.

كما قال الحسن البصري: إن المؤمن أحسن الظن بربه فأحسن العمل، وإن الفاجر أساء الظن بربه فأساء العمل.

وكيف يكون محسن الظن بربه من هو شارد عنه، حالٌ مرتحل في مساخطه وما يغضبه، متعرض للعتة قد هان حقه وأمره عليه فأضاعه، وهان نبيه عليه فارتكبه وأصر عليه؟ وكيف يحسن الظن بربه من بارزه بالمحاربة، وعادى أوليائه، ووالى أعداءه، وجحد صفات كماله، وأساء الظن بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله ﷺ وظن بجهله أن ظاهر ذلك ضلال وكفر؟ وكيف يحسن الظن بربه من يظن أنه لا يتكلم ولا يأمر ولا ينهى ولا يرضى ولا يغضب؟ .

وقد قال الله في حق من شك في تعلق سمعه ببعض الجزئيات، وهو السر من القول: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

فهؤلاء لما ظنوا أن الله سبحانه لا يعلم كثيراً مما يعملون، كان هذا إساءة لظنهم بربهم، فأرداهم ذلك الظن... "(1).

وقال السفاريني: "ظن كثير من الجاهل أن حسن الظن بالله والاعتماد على سعة عفوه ورحمته مع تعطيل الأوامر والنواهي؛ كاف، وهذا خطأ قبيح وجهل فضيـح؛ فإن رجاءك لمرحمة من لا تطيعه من الخذلان والحمق، كما قاله معروف **رَحْمَةُ اللَّهِ** ورضي عنه. وقال بعض العلماء: من قطع عضواً منك في الدنيا بسرقة ربع دينار لا تأمن أن تكون عقوبته في الآخرة على نحو هذا. ولم يفرق كثير من الناس بين الرجاء والتمني. والفرق: أن الرجاء يكون مع بذل الجهد واستفراغ الوسع والطاقة في الإتيان بأسباب الظفر والفوز. والتمني حديث النفس بحصول ذلك مع تعطيل الأسباب الموصلة إليه. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: 218]. فطوى سبحانه بساط الرجاء إلا عن هؤلاء وأمثالهم "(2).

وقال المباركفوري- عند شرح حديث: (حسن الظن من حسن العبادة)-: "فلا ينبغي أن تظن ما يظنه العامة من أن حسن الظن هو أن تترك العمل وتعتمد على الله، وتقول: إنه كريم غفور رحيم، ويمكن أن يكون المعنى: بعد حسن العبادة حسن الظن، وقدم الخبر اهتماماً؛ فإن السالك إذا حسن الظن بالله على سبيل الرجاء حسن العبادة في الخلا والملا فيستحسن مأموله ويرجى قبوله، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ

(1) الداء والدواء (ص: 25).

(2) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب (1/ 468).



رَحْمَةُ اللَّهِ ﷻ [البقرة: 218]. وأما من يترك العبادة ويدعي حسن الظن بالمعبود فهو مغرور ومخدوع ومردود⁽¹⁾.

صور من سوء الظن بالله تعالى:

ساق ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ صوراً عديدة لسوء الظن بالله، وافتتح ذلك بقوله: "وأكثر الناس يظنون بالله غير الحق ظن السوء فيما يختص بهم، وفيما يفعله غيرهم، ولا يسلم عن ذلك إلا من عرف الله وعرف أسمائه وصفاته، وعرف موجب حمده وحكمته.

فمن قنط من رحمته وأيس من روحه، فقد ظن به ظن السوء.

ومن جوز عليه أن يعذب أوليائه مع إحسانهم وإخلاصهم، ويسوي بينهم وبين أعدائه، فقد ظن به ظن السوء...." ثم عدد صوراً كثيرة أخرى في عدة صفحات، إلى أن قال: "فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا الموضع، وليتب إلى الله تعالى، وليستغفره كل وقت من ظنه بربه ظن السوء، وليظن السوء بنفسه التي هي مأوى كل سوء، ومنبع كل شر، المركبة على الجهل والظلم، فهي أولى بظن السوء من أحكم الحاكمين وأعدل العادلين وأرحم الراحمين، الغني الحميد الذي له الغنى التام والحمد التام والحكمة التامة، المنزه عن كل سوء في ذاته وصفاته وأفعاله وأسمائه، فذاته لها الكمال المطلق من كل وجه، وصفاته كذلك، وأفعاله كذلك، كلها حكمة ومصلحة ورحمة وعدل، وأسمائه كلها حسنى.

(1) تحفة الأحوذى (10 / 50).

فَلَا تَظُنُّنْ بِرَبِّكَ ظَنًّا سَوْءَ فَإِنَّ اللَّهَ أَوْلَى بِالْجَمِيلِ
وَلَا تَظُنُّنْ بِنَفْسِكَ قُطْ خَيْرًا وَكَيْفَ بَظَالِمِ جَانِ جَهَوْلِ
وَقُلْ يَا نَفْسُ مَا أَوْى كُلَّ سَوْءٍ أَيْرَجِي الْخَيْرَ مِنْ مِثِّ بَخِيلِ
وَوَظَنْ بِنَفْسِكَ السَّوْأَى تَجِدُهَا كَذَاكَ وَخَيْرُهَا كَالْمُسْتَحِيلِ
وَمَا بِكَ مِنْ تَقَى فِيهَا وَخَيْرٍ فَتِلْكَ مَوَاهِبُ الرَّبِّ الْجَلِيلِ
وَلَيْسَ بِهَا وَلَا مِنْهَا وَلَكِنْ مِنَ الرَّحْمَنِ فَاشْكُرِ لِلدَّلِيلِ^(١)

قدوة صالحة:

1- قَالَ مَحْمُودُ الْوَرَّاقُ:

حُسْنُ ظَنِّي بِحُسْنِ عَفْوِكَ يَا رَبِّ جَمِيلٌ وَأَنْتَ مَالِكُ أَمْرِي
صُنْتُ سِرِّي عَنِ الْقَرَابَةِ وَالْأَهْلِ جَمِيعًا، وَكُنْتُ مَوْضِعَ سِرِّي
ثِقَةً بِالَّذِي لَدَيْكَ مِنَ السِّرِّ فَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ نَشْرِي
يَوْمَ هَتَكَ السُّتُورَ عَنْ حُجْبِ الْغَيْبِ فَلَا تَهْتِكَنَّ لِلنَّاسِ سِرِّي
لَقَنِّي حُجَّتِي وَإِنْ لَمْ تَكُنْ يَا رَبِّ لِي حَجَّةٌ وَلَا وَجْهٌ عُذْرٍ^(٢)

2- رَأَى بَعْضُ إِخْوَانِ أَبِي نُوَّاسٍ لَهُ فِي النَّوْمِ بَعْدَ أَيَّامٍ فَقَالَ لَهُ: مَا فَعَلَ اللَّهُ

بِكَ؟ قَالَ: عَفَّرَ لِي بِأَيَّاتِ قُلْتِهَا وَهِيَ الْآنَ تَحْتَ وَسَادَتِي، فَنَظَرُوا فَإِذَا بَرْفَعَةٌ

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (3/ 206-212).

(٢) حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا (ص: 116).



تَحْتَ وَسَادَتِهِ فِي بَيْتِهِ مَكْتُوبٍ فِيهَا:

يَا رَبِّ إِنَّ عَظَمَتَ ذُنُوبِي كَثَرَةٌ فَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ عَفْوَكَ أَعْظَمُ
إِنْ كَانَ لَا يَرْجُوكَ إِلَّا مُحْسِنٌ فَمَنْ الَّذِي يَدْعُو إِلَيْهِ الْمُجْرِمُ
أَدْعُوكَ رَبِّ كَمَا أَمَرْتَ تَضَرُّعًا فَإِذَا رَدَدْتَ يَدَيَّ فَمَنْ ذَا يَرْحُمُ
مَا لِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِلَّا الرَّجَا وَجَمِيلُ ظَنِّي ثُمَّ أَنِّي مُسْلِمٌ⁽¹⁾

3- قَالَ ذُو النُّونِ الْمَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: كَانَ فِي جَوَارِي شَابٍ مُسْرِفٍ عَلَى نَفْسِهِ كَثِيرَ الْخَطَايَا، فَمَرَضَ فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ أَعُودُهُ، فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ، وَأَوْصَى أَنْ يَكْتَبَ عَلَى قَبْرِهِ شَيْءٌ، فَرَأَيْتَهُ فِي مَنَامِي فَقُلْتُ لَهُ: مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ؟ قَالَ: غَفَرَ لِي، فَقُلْتُ: بِمَاذَا؟ قَالَ: فَكَّرْتُ فِي جُرْمِي وَفِي عَفْوِهِ، فَرَأَيْتُ عَفْوَهُ أَكْثَرَ مِنْ جُرْمِي، قَالَ ذُو النُّونِ: فَلَمَّا أَصْبَحْتُ جِئْتُ إِلَى قَبْرِهِ فَإِذَا عَلَيْهِ مَكْتُوبٌ:

حَسَنَ ظَنِّي بِكَ يَا رَبَّ جَرَأَنِي عَلَيْكَ
فَارْحَمِ اللَّهُمَّ عَبْدًا صَارَ رَهْنًا فِي يَدَيْكَ⁽²⁾

(1) الآداب الشرعية والمنح المرعية (2/ 242).

(2) العاقبة في ذكر الموت (ص: 147).



إن أهل العلم والإيمان يجدون في قلوبهم من خشية ربهم ما يستعظمون به مخالفته في أمره ونهيه، وما يستنكرون به غفلتهم وقسوة قلوبهم وجمود أعينهم حين يتلون أو يسمعون كلامه، أو الحديث عن ذاته العلية وصفاته البهية وأفعاله الحكيمة.

فلأجل ذلك هم يعتنون بأمر الخشية اعتناء كبيراً؛ لما يظفرون بها من الوقوف عند حدوده، والتأثر بخطابه، وتذكر جلاله وعظمته، والبعث نحو المسارعة إلى مرضاته.

تعريف الخشية:

لغة:

الخشية: الخوف، وَهُوَ خَشْيَانٌ، وَالْمَرْأَةُ خَشِيٌّ، يقال: خَشِيَهُ - كَرَضِيَهُ - يَخْشَاهُ خَشْيًا، بِالْفَتْحِ وَيُكْسَرُ، وَخَشِيَّةٌ وَخَشَاءٌ وَمَخْشَاءٌ وَمَخْشِيَّةٌ - عَلَى مَفْعَلَةٍ - وَخَشْيَانًا، مُحَرَّكَةً، فَهَذِهِ سَبْعَةُ مَصَادِرٍ.

نظم ابن مالك منها قوله:

خَشِيْتُ خَشْيًا وَمَخْشَاءً وَمَخْشِيَّةً وَخَشِيَّةً وَخَشَاءً ثُمَّ خَشْيَانًا⁽¹⁾

(1) ينظر: تاج العروس (37/ 548)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (1/ 170)، المطلع على ألفاظ المقنع (ص: 115)، لسان العرب (14/ 228).



اصطلاحاً :

الخشية هي: خوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه؛ ولذلك خصّ العلماء بها في قوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28] (1).

وقيل: تألم القلب بسبب بمعرفة جلال الله وهيبته (2).

الفرق بين الخشية والخوف:

قال الفيروز آبادي: "والخشية: أخصّ من الخوف؛ فإنّ الخشية للعلماء بالله تعالى كما تقدّم. فهي خوف مقرون بمعرفة. قال النبي ﷺ: (إِنِّي أَتَقَاكُمُ اللَّهَ وَأَشَدُّكُمْ لَهُ خَشِيَةً) فالخوف حركة، والخشية انجماع وانقباض وسكون؛ فإنّ اللّذي يرى العدوّ والسّيل ونحو ذلك له حالتان: إحداهما: حركة الهرب منه، وهى حالة الخوف، والثانية سكونه وقراره في مكان لا يصل إليه وهى الخشية... والخشية للعلماء العارفين، والهيبة للمحبّين، والوجل للمقرّبين. وعلى قدر العلم والمعرفة يكون الخشية، كما قال النبي ﷺ: (إِنِّي لَأَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّكُمْ لَهُ خَشِيَةً) وقال: (لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، ولَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرْشِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصَّعَدَاتِ تَجَارُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى). فصاحب الخوف يلتجئ إلى الهرب والإمساك، وصاحب الخشية

(1) المفردات في غريب القرآن (ص: 283).

(2) التعريفات (ص: 98).

إلى الاعتصام بالعلم، ومثلهما كمثّل مَنْ لا علم له بالطّب، ومثّل الطّبيب الحاذق؛ فالأوّل يلتجئ إلى الحِمّية والهرب، والطّيب يلتجئ إلى معرفته بالأدوية والأدواء، وكلّ واحد إذا خفته هَرَبَت منه، إلا الله" (1).

وقال الكفوي: "والخشية أشد من الخوف؛ لأنها مأخوذة من قولهم: شجرة خاشية: أي: يابسة، وهو فوات بالكلية، والخوف: النقص من ناقة خوفاء: أي: بها داء وليس بفوات؛ ولذلك خصت الخشية بالله في قوله: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ والخشية تكون من عظم المخشي وإن كان الخاشي قويًا، والخوف يكون من ضعف الخائف وإن كان المخوف أمرًا يسيرًا" (2).

أهمية خشية الله تعالى:

إن خشية الله تعالى عبادة من أجل العبادات، ولها أهمية كبيرة من بين سائر القربات، ومما يدل على أهميتها أمور:

1- أن الله تعالى أمر بها عباده:

قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾ [المائدة: 3].

2- أن رسول الله ﷺ سألها وعلم الأمة بذلك أن تطلبها:

فعن عمار بن ياسر **رضي الله عنهما** أن رسول الله ﷺ كان يدعو بهذا الدعاء: (اللَّهُمَّ بَعْلِمِكَ الْغَيْبَ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ، أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ

(1) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (2/ 545-546).

(2) الكليات (ص: 428).



خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي، أَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ..(1).

قال ابن القيم: "ولما كانت خشية الله عز وجل رأس كل خير في المشهد والمغيب؛ سأله خشيته في الغيب والشهادة"(2).

3- أنها صفة من صفات خيار عباد الله:

أ- فهي صفة من صفات الرسل عليهم السلام:

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْلُغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: 39].

ومنهم نبينا محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ فقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (وَاللَّهِ، إِنِّي لَا رَجُو أَنْ أَكُونَ أَخْشَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَعْلَمَكُمْ بِمَا أَتَّقِي)(3).

وقال أيضًا: (فَوَاللَّهِ إِنِّي أَخْشَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَحْفَظُكُمْ لِحُدُودِهِ)(4).

(1) رواه أحمد (18325)، والنسائي (1306)، وابن حبان (1971)، والبخاري (1392)، وابن أبي شبة (29348)، والبيهقي في الدعوات الكبير (251)، والطبراني في الدعاء (624)، والحاكم (1923) **وقال:** "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجْهُ"، وصححه الألباني والأرنؤوط.

(2) إغاثة اللفهان من مصايد الشيطان (29 / 1).

(3) رواه مسلم (1110).

(4) رواه أحمد (25893)، وابن حبان (9)، والطبراني في الكبير (8319)، وعبد الرزاق (10375)، **قال الهيثمي:** "أَسَانِيدُ أَحْمَدَ رِجَالُهَا ثِقَاتٌ إِلَّا أَنَّ طَرِيقَ "إِنَّ أَخْشَاكُمْ" أَسْنَدُهَا أَحْمَدُ وَوَصَلَهَا الْبَزَّازُ بِرِجَالٍ ثِقَاتٍ"، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (301 / 4)، وصححه الألباني والأرنؤوط.



ب- وهي من صفات المتقين:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءَ وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: 48-49].

ج- وهي من صفات أولي الألباب:

قال تعالى: إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ * وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: 19-21].

د- وهي من صفات المؤمنين:

قال الحسن البصري: "المؤمن جمع إحساناً وخشية، والمنافق جمع إساءة وأمناً"⁽¹⁾.

وقال أيضاً: "الإيمان: مَنْ خَشِيَ اللَّهَ بِالْغَيْبِ، وَرَغِبَ فِيَمَا رَغِبَ اللَّهُ فِيهِ، وَزَهَدَ فِيَمَا أَسْخَطَ. ثم تلا: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28]"⁽²⁾.

هـ- وهي من صفات الأمناء:

قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "وَاحْذَرْ صَدِيقَكَ، إِلَّا الْأَمِينَ، وَلَا أَمِينَ إِلَّا مَنْ خَشِيَ اللَّهَ"⁽³⁾.

(1) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل (3/ 273).

(2) تفسير ابن أبي حاتم (10/ 3180).

(3) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (7/ 22).



ز- وهي من صفات الصالحين للاستشارة:

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "وَشَاوِرْ فِي أَمْرِكَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ" (1).

ح- وهي من صفات العلماء وحملة العلم النافع:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28].

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "لَيْسَ الْعِلْمُ مِنْ كَثَرَةِ الْحَدِيثِ، وَلَكِنْ الْعِلْمُ مِنَ الْخَشْيَةِ" (2).

وَعَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: "كَفَى بِالْمَرْءِ عِلْمًا أَنْ يَخْشَى اللَّهَ، وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا أَنْ يَعْجِبَ بِعَمَلِهِ" (3).

وقال مالك: "إِنْ حَقَّ عَلَى مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَقَارٌ وَسَكِينَةٌ وَخَشْيَةٌ، وَأَنْ يَكُونَ مُتَبَعًا لِأَثَرٍ مِنْ مَضَى قَبْلِهِ" (4).

وَعَنْ صَالِحِ أَبِي الْخَلِيلِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28] قَالَ: أَعْلَمَهُمْ بِاللَّهِ أَشَدَّهُمْ لَهُ خَشْيَةً" (5).

(1) الإخوان لابن أبي الدنيا (ص: 98).

(2) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (20 / 7).

(3) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (20 / 7).

(4) الآداب الشرعية والمنح المرعية (2 / 45).

(5) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (20 / 7).



وعن يحيى بن أبي كثير قال: "العالم من خشي الله" (1).

وروى ابن بطة عن عمر أنه كتب إلى أبي موسى: أن الفقه ليس بسعة الهذر وكثرة الرواية، إنما الفقه خشية الله" (2).

وقال ابن القيم: "فإذا انتفى العلم انتفت الخشية، وإذا انتفت الخشية دلت على انتفاء العلم" (3).

4- أنها هي مضمون الإحسان الذي هو أعلى درجة من الإيمان:

ففي حديث أبي هريرة: (... قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ: أَنْ تَخْشَى اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنَّكَ إِنْ لَا تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ) (4).

5- أنها قد تفضل بعض نوافل العبادات لعظم أثرها:

"قال كعب الأحبار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: والذي نفسي بيده؛ لأن أبكي من خشية الله حتى تسيل دموعي على وجتي أحب إلي من أن أتصدق بجبل من ذهب. وقال عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لأن أدمع دمعة من خشية الله أحب إلي من أن أتصدق بألف دينار" (5).

6- أنها من أفضل الطاعات:

قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: "أُوتِينَا مَا أُوتِيَ النَّاسُ، وَمَا لَمْ يُؤْتَوْا،

(1) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (20 / 7).

(2) الآداب الشرعية والمنح المرعية (45 / 2).

(3) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص: 172).

(4) رواه مسلم (10).

(5) إحياء علوم الدين (4 / 164).



وَعُلَّمْنَا مَا عَلَّمَ النَّاسُ، وَمَا لَمْ يَعْلَمُوا، فَلَمْ نَجِدْ أَفْضَلَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَالْقَصْدِ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَكَلِمَةِ الْحَقِّ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا⁽¹⁾.

وقال أبو بكر بن أبي مريم: "رَأَيْتُ وَفَاءً بِنَ بَشْرِ الْحَضَرَمِيِّ فِي الْمَنَامِ فَقُلْتُ لَهُ: مَا فَعَلْتَ يَا وَفَاء؟ قَالَ: نَجَوْتُ بَعْدَ كُلِّ جَهْدٍ، قُلْتُ: فَأَيَّ الْأَعْمَالِ وَجَدْتُموها أَفْضَلَ؟ قَالَ: الْبُكَاءُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ"⁽²⁾.

مظاهر خشية الله تعالى:

إن خشية الله تعالى ليست دعوى تدعى، ولا معلومات تعلم أو تحفظ، ولكنها حقيقة راسخة تستقر في القلب وتصدقها الأعمال.

فمن مظاهر خشية الله تعالى:

1- **البعد عن الحرام صغائره وكبائره.** ومتى وقع الخشيان فيها عن ضعف وغلبة هوى عظم حزنه، وكثر بكاءؤه، ومن ثم بادر إلى التوبة والإكثار من الأعمال الصالحة تكفيراً لسيئته.

2- **القيام بالواجبات الشرعية على أحسن الوجوه.** مع حصول الشوق لعملها، ووجود الراحة والتلذذ في امتثالها.

3- **أن يلزم شعور الخشية المرء في سره وخلوته:** فلا يكون أمام الناس متلبساً بالخشية فإذا خلا أو ابتعد عن معارفه خلع لباس الخشية.

(1) إصلاح المال (ص: 99).

(2) المنامات لابن أبي الدنيا (ص: 53).

4- أن يعظم قدر الزمان والمكان المعظمين ويصنع في كل منهما أحسن ما

يكون فيهما من المسارعة إلى الخير: ففي مواسم الخير يسارع إلى اغتنام فضلها، وفي أماكن القداسة كالبلد الحرام يحرص أشد الحرص على ترك العصيان فيها.

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "أما علمتُم أن لله عبادةً أسكتهم خشيته من غير عي ولا بكم، إنَّهم لَهُم الفصحاء النطقاء النبلاء العلماء بأيام الله، غير أنهم إذا ذكروا عظمة الله طاشت عقولهم من ذلك، وانكسرت قلوبهم، وانقطعت ألسنتهم، حتَّى إذا استقاموا من ذلك سارعوا إلى الله بالأعمال الزاكية" (1).

5- البكاء عند سماع الآيات والعظات: فجمود العين من علامات قلة

الخشية.

قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: 58].

ثمرات التحلي بخشية الله تعالى:

لا شك أن الاتصاف بخشية الله تعالى على الحقيقة يورث صاحبه خيراً كثيراً في الدنيا والآخرة.

(1) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (21 / 7).



1- خشية الله تدعو إلى المسارعة إلى الخيرات والاستجابة للعضات:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون: 57-61].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس: 11]. وقال جل وعلا: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [فاطر: 18].

2- تُكسب التأثر بالقرآن:

قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: 23].

3- تعين على الصبر على المكاره والزهد عن الدنيا:

قال المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ: "معاشر الحواريين، خشية الله وحب الفردوس؛ يورثان الصبر على المشقة، ويباعدان من الدنيا"⁽¹⁾.

(1) إحياء علوم الدين (4/ 183).



4- أنها مفتاح لرحمة الله تعالى:

قال أبو حازم: "بلغنا أن البكاء من خشية الله مفتاح لرحمته" (1).

5- أهل الخشية أقرب الناس إلى الله:

وعن العباس العمي قال: بلغني أن داود عليه السلام قال: "سُبْحَانَكَ تَعَالَيْتَ فَوْقَ عَرْشِكَ، وَجَعَلْتَ خَشِيَّتَكَ عَلَى مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَأَقْرَبَ خَلْقَكَ إِلَيْكَ أَشَدَّهُمْ لَكَ خَشْيَةً، وَمَا عَلِمَ مَنْ لَمْ يَخْشَكَ وَمَا حَكَمَهُ مَنْ لَمْ يَطْعَ أَمْرَكَ" (2).

6- خشية الله من الأعمال التي تدخل صاحبها الجنة وتنبئه رضوان الله:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ * وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ [الرعد: 21-23].

وقال جل وعلا: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ * هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ * مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ * لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: 31-35].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ *

(1) الرقة والبكاء، لابن أبي الدنيا (ص: 6).

(2) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (7/ 21).



جَزَأُوهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿[البينة: 7-8].

7- النجاة من النار:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (عَيْنَانِ لَا تَمْسُهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) (1).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (ثَلَاثُ مُنْجِيَّاتٍ: خَشْيَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَالْقَصْدُ فِي الْغَنَى وَالْفَقْرِ، وَالْعَدْلُ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ) (2).

8- نيل الفوز العظيم:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: 52].

9- الظفر بالمغفرة والأجر العظيم:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك: 12].

(1) رواه أحمد (17213)، والترمذي (1639)، والبيهقي في الشعب (775)، وأبو يعلى (4346)، والطبراني في مسند الشاميين (2427)، وصححه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (71/2).

(2) رواه الخرائطي في اعتلال القلوب (102)، والشجري في ترتيب الأمالي (2527)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (1/583).

وسائل تحصيل خشية الله تعالى :

إن هذا الخلق الكريم عمل ذو أهمية كبيرة في الوصول إلى الله سبحانه، والعقل من يسعى إلى معرفة الوسائل التي تعينه على تحقيق هذه الغاية الحميدة. **فمن تلك الوسائل :**

1- العلم النافع: فالعلم بشرع الله تعالى القائم على الإخلاص والعمل يورث الخشية؛ ولهذا كان العلماء أكثر الناس خشية كما تقدم.

2- قراءة القرآن بتدبر وفهم ومواظبة: فإن ذلك يري القارئ عظمة ربه وسائر صفات جلاله وفضله مما يدعوه إلى خشيته.

3- قراءة هذا الكون الفسيح ببصيرة نقية: فالكون كتاب مفتوح يري الإنسان فيه إبداع الخالق، وعظيم حكمته وتقديره وعلمه.

4- الإكثار من قراءة سير الصالحين من أهل الخشية الأموات ومجالسة من كان منهم من الأحياء.

5- الدعاء.

كهذا الدعاء: **عن** ابن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** أن رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** كان قلما يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه: (اقْسِمُ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ...) ⁽¹⁾.

(1) رواه الترمذي (3502)، والنسائي الكبرى (10161)، والبغوي في شرح السنة (1374)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (446)، وحسنه الترمذي والألباني.



قدوة صالحة :

1 - **عن** عمر بن أبي سلمة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** قال: قال رَسُولُ اللَّهِ **ﷺ**: (أَمَّا وَاللَّهِ، إِنِّي لَا تَقَاقُمُ لِلَّهِ، وَأَخْشَاكُمُ لَهُ) ⁽¹⁾.

2 - **كان** أبو بكر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ كَأَنَّهُ عُودٌ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ⁽²⁾.

(1) رواه مسلم (1108).

(2) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء (ص: 40).

الخوف من الله تعالى

إن الإنسان إذا بقي في حضن النعيم والرفاهية، وانصرف إلى مصالح دنياه وشهوات نفسه؛ غفل عن حق ربه، والاستعداد لآخرته، فاقتضت رحمة الله تعالى أن ترد هذا المكلف من هذا الشرود وتعيده عن هذا الإباق بوسيلة التخويف منه تعالى ومن عقابه وآثار غضبه؛ حتى لا ينسى ما خلق لأجله، ولا يغفل عن الدار الباقية والحياة الأبدية التي سيصير إليها.

قال تعالى: ﴿لَهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ [الزمر 15-16].

وقال: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء 59].

وعن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ: خَسَفَتِ الشَّمْسُ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَرَعَا، يَخْشَى أَنْ تَكُونَ السَّاعَةُ، فَآتَى الْمَسْجِدَ، فَصَلَّى بِأَطْوَلِ قِيَامٍ وَرُكُوعٍ وَسُجُودٍ رَأَيْتُهُ قَطُّ يَفْعَلُهُ، وَقَالَ: (هَذِهِ الْآيَاتُ الَّتِي يُرْسِلُ اللَّهُ، لَا تَكُونُ لِمَوْتٍ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنْ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، فَافْزَعُوا إِلَى ذِكْرِهِ وَدُعَائِهِ وَاسْتِغْفَارِهِ) ⁽¹⁾.

قال أبو حفص: "الخوف سوط الله يقوّم به الشاردين عن بابه" ⁽²⁾.

وبذلك يكون الخوف من الله تعالى بوجود أسبابه نعمة من نعم الله اقتضتها

(1) رواه البخاري (1059)، ومسلم (911).

(2) بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزآبادي (ص: 746).



رحمته بعباده؛ حتى لا يهلكهم الرجاء وهم عن ربهم غافلون وعلى معصيته مقيمون.

قال سفيان بن عيينة: "خلق الله النار رحمة يخوف بها عباده لينتهوا"⁽¹⁾.

وعن إسرائيل بن محمد القاضي قال: "لقيني مجنون كان في الخرابات فقال: يا إسرائيل، خف الله خوفاً يشغلك عن الرجاء؛ فإن الرجاء يشغلك عن الخوف، وفر إلى الله ولا تفر منه"⁽²⁾.

معنى الخوف من الله وبيان المحمود منه والمذموم:

إن الخوف من الله تعالى عمل قلبي يحمل العبد على امتثال أوامر الله وترك نواهيه.

وحقيقته أنه: "الانخلاع عن طمأنينة الأمن بمطالعة الخبر، يعني: الخروج من سكون الأمن باستحضار ما أخبر الله به من الوعد والوعيد"⁽³⁾.

وصدق الخوف هو: الورع عن الآثام ظاهراً وباطناً، والخوف المحمود: ما حجز العبد عن محارم الله⁽⁴⁾.

فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط⁽⁵⁾.

(1) التخويف من النار، لابن رجب (ص: 34).

(2) أدب الدنيا والدين، للماوردي (ص: 123).

(3) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزآبادي (ص: 747).

(4) مدارج السالكين، لابن القيم (1/ 514).

(5) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزآبادي (ص: 747).

قال ابن رجب: "والقدر الواجب من الخوف: ما حمل على أداء الفرائض واجتناب المحارم، فإن زاد على ذلك، بحيث صار باعثاً للنفوس على التّشمير في نوافل الطّاعات والانكفاف عن دقائق المكروهات والتّبسّط في فضول المباحات؛ كان ذلك فضلاً محموداً، فإن تزايد على ذلك بأن أورث مرضاً أو موتاً، أو همّاً لازماً، بحيث يقطع عن السّعي في اكتساب الفضائل المطلوبة المحبوبة لله - عزّ وجلّ -؛ لم يكن محموداً؛ ولهذا كان السلف يخافون على عطاء السلمي من شدة خوفه الذي أنساه القرآن، وصار صاحب فراش، وهذا لأن خوف العقاب ليس مقصوداً لذاته، إنما هو سوط يساق به المتواني عن الطاعة إليها" (1).

أهمية الخوف من الله تعالى:

إن الخوف من الله تعالى خلق إيماني ذو أهمية كبيرة في السير إلى الله تعالى،

ومما يدل على ذلك:

1- أنه أصل لكل خير:

قال بعض الصالحين: "وأصل كل خير في الدنيا والآخرة: الخوف من

الله" (2).

2- أنه عبادة من أعظم العبادات وقربة من أجلّ القربات:

لأنه يدعو إلى امتثال الأوامر وترك النواهي، فعن وهب بن منبه قال: "ما

(1) التخويف من النار، لابن رجب (34).

(2) صفة الصفوة (2/ 380).



عُبد الله بمثل الخوف" (1).

3- أنه من لوازم الإيمان وعلاماته، فلا إيمان إلا به:

قال تعالى: ﴿وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 175].

وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذَنْبَهُ كَأَنَّهُ جَالِسٌ فِي أَصْلِ جَبَلٍ يَخْشَى أَنْ يَنْقَلِبَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذَنْبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ، فَقَالَ بِهِ هَكَذَا" (2).

4- أنه نور يرى به صاحبه الخير من الشر:

قال أبو حفص: "الخوف سراج في القلب يبصر به ما فيه من الخير والشر" (3).

فإذا ذهبت أنوار الخوف تاه الإنسان في دياجي الغفلة عن غايته في الوصول إلى ربه، قال ذو النون: "النَّاسُ عَلَى الطَّرِيقِ مَا لَمْ يَزُلْ عَنْهُمْ الْخَوْفُ، فَإِذَا زَالَ عَنْهُمْ الْخَوْفُ ضَلُّوا عَنِ الطَّرِيقِ" (4).

5- أنه مع الرجاء مركب النجاة:

قال الحسن البصري: "الرَّجَاءُ وَالْخَوْفُ مَطْيَّتا الْمُؤْمِنِ" (5).

(1) التخويف من النار، لابن رجب (7).

(2) حلية الأولياء، لأبي نعيم (4/ 129).

(3) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزآبادي (ص: 747).

(4) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزآبادي (ص: 747).

(5) الزهد، لابن حنبل (ص: 265).

وقال الغزالي: "إنَّ الرِّجاء والخوف جناحان بهما يطير المقرَّبون إلى كلِّ مقام محمود، ومطيَّتان بهما يقطع من طرق الآخرة كلَّ عقبة كؤود"⁽¹⁾.

مجالات الخوف من الله تعالى:

إن خوف الله تعالى ينبغي أن يكون في حياة الإنسان كلها، وفي أحواله جميعها؛ في سره وعلنه، وفي بيته وعمله، وفي كل جهة توجه إليها.

فهو محتاج إلى أن يكون خوف الله في قلبه أن يطلع عليه ربه وفيه ما لا يرضيه، وفي عقله أن يحمل فكراً يضاد شرعه ووحيه، وفي لسانه أن ينطق بالسوء الذي يغضب مولاه.

وفي بصره أن يزيغ إلى الحرام، وفي سمعه أن يصغي إلى الباطل، وفي يده أن تكتب المنكر أو تظلم بالبطش بين الخلق بقتل أو أخذ للمال من غير حله، وفي رجله أن تسعى إلى الأوزار، أو تقف في مواطن الشر والمنكر.

وهو أيضاً محتاج إلى أن يكون خوف الله تعالى رفيقه مع والديه ومع زوجته وأولاده ومع جيرانه ومع أقاربه، ومع الناس كلهم؛ فخوف الله هو الذي يمنع من ظلمهم والتقصير في إيفائهم ما عليه من حقوقهم.

وإذا كان والياً أو مسؤولاً فليكن خوف الله تعالى رقيبته الذي لا ينام حتى لا يجور ويصبح الظلم والخيانة والغش ديدنه بين رعيته، وإذا كان موظفاً أو عاملاً في أي وظيفة أو عمل كان فليجعل خوف الله تعالى معه دائماً؛ حتى لا يخون

(1) إحياء علوم الدين، للغزالي (4/ 142).



أمانة الوظيفة أو العمل التي حُمِّلها.

أَمَارَةُ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى :

إن البراهين هي التي تكشف عن صدق القائلين أو كذبهم؛ فقد يدعي بعض الناس أنه يخاف الله، ولكن واقعه لا يدل على ذلك؛ لذلك فإن الخوف الصادق هو الذي يجعل صاحبه من المسابقين إلى الطاعات فرضها ونفلها، وهو الذي يحجزه عن الإسراف على نفسه بالذنوب والمجاهرة بها والإصرار عليها.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نَطْعُمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً* إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان 9-10].

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ خَافَ أَذْلَجَ، وَمَنْ أَذْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ) (1).

يعني: من خشي الله أتى منه كل خير، ومن أمن اجترأ على كل شر، ومن خاف ألزمه الخوف السلوك إلى الآخرة والمبادرة بالعمل الصالح؛ خوف القواطع والعوائق (2).

قال المحاسبي: "وعلامة الخوف من الله: ترك جميع ما كره الله" (3).

(1) رواه الترمذي (2450)، والبيهقي في الشعب (855)، والحاكم (7851)، **وقال:** "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ" ووافقه الذهبي. وصححه الألباني.

(2) فيض القدير، للمناوي (6/ 123).

(3) آداب النفوس للمحاسبي (ص: 150).

ثمرات الخوف من الله تعالى :

من عمر خوفُ الله نفسه وخالط أثره شغاف قلبه أورثه خيراً كثيراً في الدنيا والآخرة، فمن تلك الثمرات:

أولاً: إبعاد الإنسان عن المعاصي:

قال تعالى: ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسٍ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: 28].

فما منع هابيل من قتل أخيه قابيل إلا خوفه من الله تعالى، "قال عبد الله بن عمرو: وايم الله إن كان لأشدَّ الرجلين، ولكن منعه التخرج يعني: الورع"⁽¹⁾.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ.. وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ)⁽²⁾.

"قال القرطبي: إنما يصدر ذلك عن شدة خوف من الله تعالى، ومتين تقوى وحياء"⁽³⁾.

ثانياً: الإقبال على الطاعات وحسن القيام بها:

فالخوف حاثٌّ على العمل الصالح، والعمل الصالح ثمرة من ثماره، قال

(1) تفسير ابن كثير (2/ 55).

(2) رواه البخاري (660) ومسلم (1031).

(3) فتح الباري (2/ 146).



تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [البقرة: 40].

"فإنهم إذا رهبوا الله تعالى حرصوا على الإيفاء بالعهد" (1).

قال ابن الجوزي: "إخواني، من علم عظمة الإله زاد وجله، ومن خاف نقم ربه حسن عمله، فالخوف يستخرج داء البطالة ويشفيه، وهو نعم المؤدّب للمؤمن ويكفيه" (2).

وقال أيضاً: "فالخوف للنفس سائق، والرجاء لها قائد، وإن وُنت على قائدها حثها سائقها، وإن أبت على سائقها حركها قائدها" (3).

ثالثاً: صلاح القلب وإخراج الدنيا منه :

فإن القلب لن يصلح حتى يحل فيه الخوف، وإن الدنيا لن تخرج من القلوب التي تعلقت بها حتى يحل مكانها الخوف.

قال أبو سليمان الداراني: "ما فارق الخوف قلباً إلا خرب" (4).

وقال إبراهيم بن سفيان: "إذا سكن الخوف القلب أحرق مواضع الشهوات منه، وطرده الدنيا عنه" (5).

(1) التحرير والتنوير، لابن عاشور (1/ 439).

(2) مواعظ ابن الجوزي (ص: 11).

(3) مواعظ ابن الجوزي (ص: 11).

(4) إحياء علوم الدين، للغزالي (4/ 162).

(5) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزآبادي (ص: 747).

رابعاً: الإعانة على أداء حقوق المخلوقين:

فمن خاف الله تعالى لن يأخذ حق غيره، ولن يقصر في أداء ما وجب عليه لسواه.

خامساً: دخول الجنة:

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: 40-41].

"أي: خاف القيام بين يدي الله عز وجل، وخاف حكم الله فيه، ونهى نفسه عن هواها، وردّها إلى طاعة مولاهما ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ أي: منقلبه ومصيره ومرجعه إلى الجنة الفيحاء" (1).

عن الحسن قال: "إن الرجل يذنب الذنب فما ينسأه، وما يزال متخوفاً منه حتى يدخل الجنة" (2).

وسائل معينة على الوصول إلى الخوف من الله تعالى:

إن الخوف من الله عبادة عظيمة تحتاج إلى بذل جهد في تحصيلها واكتسابها وتقويتها والمحافظة عليها بعد حصولها، فمن الوسائل المعينة على ذلك:

أولاً: التفكير في أسماء الله وصفاته ومعرفتها:

فإن ذلك يرسخ في قلب المرء إجلال الله تعالى وتعظيمه والكف عن

(1) تفسير ابن كثير (4/ 566).

(2) الزهد، لابن حنبل (ص: 277).



مساخطه والمسارة إلى مرضيه.

فعندما يفكر في أسماء الله تعالى: العظيم الجبار القهار القدير المنتقم القوي المتين العزيز الكبير ونحوها من الأسماء القهرية تترى في نفسه هيبة الله تعالى وخشيته، فمن أنت أيها الإنسان حتى تعصي الله تعالى وتفوت قدرته، أو لا يدرك قهره وجبروته؟ قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [العنكبوت 22].

وعندما يتأمل في أسماء الله: العليم اللطيف الخبير السميع البصير ونحوها يزرع ذلك في قلبه الخوف من الله تعالى. فأين يستطيع أن يعصي الله تعالى ولا يعلم به ولا يراه ولا يسمعه ولا يرقب عمله؟!

قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام 59].

قال الغزالي: "الخوف من الله تعالى تارة يكون لمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته، وأنه لو أهلك العالمين لم يبال ولم يمنعه مانع، وتارة يكون لكثرة الجناية من العبد بمقارفة المعاصي، وتارة يكون بهما جميعاً، وبحسب معرفته بعيوب نفسه ومعرفته بجلال الله تعالى واستغنائه، وأنه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فتكون قوة خوفه، فأخوف الناس لربه أعرفهم بنفسه وبربه" (1).

(1) إحياء علوم الدين (4/ 155).



ثانياً: التفكير في الكون وما فيه من آيات الله المنشورة:

إن هذا الكون الفسيح يحوي آيات باهرات تدل على قدرة الله وإبداع صنعه وعنايته بخلقه وكثرة خيره المسدى إليهم.

فالإنسان العاقل إذا نظر إلى هذا الخلق البديع المحكم العظيم وتأمل فيه واعتبر بما رأى وشاهد دعاه ذلك إلى خوف الله تعالى وخشيته وحب طاعته والبعد عن معصيته.

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران 190-191].

ثالثاً: تذكر الموت ورحيل الإنسان عن الدنيا إلى الآخرة:

فاستحضار الإنسان ساعة رحيله عن الدنيا وملاقاته الموت وانتقاله إلى الدار الآخرة التي تكشف فيها السرائر ويبرز ما في الضمائر ويحاسب الإنسان فيها على ما قدم في حياته الدنيا، ثم المصير إلى جنة عرضها السماوات والأرض أو إلى نار وقودها الناس والحجارة؛ إن استحضار هذا المشهد المستقبلي الحق في ذهن الإنسان يدفعه دفعاً شديداً إلى خوف ربه، وإجلاله أن يكون من عصاته الذين ينزل بهم غضبه ويحل عليهم عقابه.

رابعاً: العلم بالله تعالى وبدينه الحنيف:

فإن الجهل بدين الله يدفع كثيراً من الناس إلى ترك واجبات الإسلام



والانغماس في حمأة الحرام بلا رادع من خوف أو حاجز من خشية يحول بينهم وبين ركوب الباطل ومجاوزة الحلال إلى الحرام.

لذلك كان على المسلم أن يتعلم شرع الله تعالى؛ حتى يعرف الحلال فيأتيه والحرام فيجتنبه.

فمعرفة شرع الله من أعظم الأسباب التي تعين على تحصيل خوف الله تعالى في القلب؛ ولذلك قال تعالى عن العلماء العاملين الصادقين: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر 28].

" **أي:** إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به؛ لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى، كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل، والخشية له أعظم وأكثر" (1).

خامساً: اختيار الرفقة الصالحة وترك الرفقة السيئة:

إن للجلساء والمجالس في أي مكان كانت أثراً كبيراً في تحصيل خوف الله تعالى في القلب أو في تحطيم ما تبقى من بنيانه.

فالرفقة الصالحة في البيت أو المسجد أو العمل أو اللقاءات الاجتماعية تعين من كان معها في تلك الأماكن على أن يكون من أهل الخوف من الله تعالى؛ لأنه سيسمع هناك الكلمة الطيبة والموعظة الحسنة، وسيرى المعروف ظاهراً والمنكر خافئاً.

(1) تفسير ابن كثير (3/ 667).

أما إذا كانت الرفقة سيئة ليس لها هم في صلاح الإنسان واهتدائه فإنه سيجد لديهم التباطؤ عن الطاعات والمساورة إلى المنكرات؛ فيملاً سمعه وبصره من الباطل الذي يُرتكب أو يتحدث الجلساء عنه. وهذا سيجعله يتجرأ على هتك ستر الخوف والسير في دروب المعصية، إلا من رحم الله.

سادساً: معرفة قبح الجناية وأثارها السيئة:

قال ابن حجر: "فإنَّ الخوف ينشأ من معرفة قبح الجناية والتّصديق بالوعيد عليها، وأن يحرم التّوبة، أو لا يكون ممّن شاء الله أن يغفر له، فهو مشفق من ذنبه طالب من ربّه أن يدخله فيمن يغفر له" (1).

قدوة صالحة:

1 - عن كعب قال: قال لي عمر بن الخطّاب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** يوماً وأنا عنده: "يا كعب، خوّفنا.

قال: فقلت: يا أمير المؤمنين، أو ليس فيكم كتاب الله وحكمة رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**؟ قال: بلى. ولكن يا كعب، خوّفنا. قال: قلت: يا أمير المؤمنين، اعمل عمل رجل لو وافيت القيامة بعمل سبعين نبياً لازدرأت (2) عملك ممّا ترى" (3).

2 - وقال الوليد بن أبي السائب: "ما رأيت أحداً قطّ كان الخوف على

(1) فتح الباري لابن حجر (18/306).

(2) لانتقصت.

(3) الزهد، لابن حنبل (ص: 121).



وجهه أبين منه على عمر بن عبد العزيز⁽¹⁾.

3 - وقال يزيد بن حوشب: "ما رأيت أخوف من الحسن وعمر بن عبد العزيز، كأنَّ النَّارَ لم تخلق إلاَّ لهما"⁽²⁾.

4 - وقال ابن الجوزي: "قال الحسن: صحبت أقواماً كانوا لحسناتهم أن تُردَّ عليهم أخوفَ منكم من سيئاتكم أن تعذبوا بها، ووصفه يوسف بن عبد المحسن فقال: كان إذا أقبل كأنه أقبل من دفن حميمه، وإذا جلس كأنه أسير ستضرب عنقه، وإذا ذكرت النار فكأنما لم تخلق إلاَّ له"⁽³⁾.

5 - عن الحسن قال: "لقد مضى بين يديكم أقوام لو أن أحدهم أنفق عدد هذا الحصى لخشي أن لا ينجو من عظم ذلك اليوم!"⁽⁴⁾.

(1) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي (162).

(2) المرجع السابق (163).

(3) مواظ ابن الجوزي (ص: 11).

(4) الزهد، لابن المبارك (ص: 51).



الفقر والحاجة، والضعف والعجز، والجهل والنقص؛ صفات ملازمة للإنسان، وأعداؤه المتربصون به - من نفسه وهواه، وفتن عيشه ودنياه، وشياطين الإنس والجن -؛ لا يكفون عن إيقاعه في الضر، ومطالب الدين والدنيا كثيرة، والعوائق في طريق تحقيق كل ما يرغب الإنسان من ذلك غير قليلة.

ومع ذلك لا يسلم المرء من أنواع البلايا، وصنوف المحن والرزايا، وتعدد المكاره والمزعجات.

والإنسان في هذا الظرف الشائك الذي يعيش فيه يحتاج إلى يد منقذ رؤوف، وعطفة معين قادر قوي غني، يستطيع دائماً أن يعطيه ما طلبه، ويعيذه مما يخافه، وليس ذلك إلا الله تعالى الذي بيده كل شيء تبارك وتعالى، فإنَّ تركه بين أشدّاق هذه المهالك وحده فأنتَ له النجاة؟!!

ولذلك فتح الله تعالى برحمته للإنسان بابَ الدعاء؛ حتى يصل به إلى ما يرغب، ويأمن به مما يرهب.

فأمر سبحانه وتعالى بالدعاء ووعد بالإجابة، وبين أنه قريب من عباده، فما عليهم إلا أن يسألوه ويستعطوه؛ فقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ



الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٥﴾ [غافر: 60]. قال ابن كثير: "هذا من فضله تبارك وتعالى وكرمه أنه ندب عباده إلى دعائه، وتكفل لهم بالإجابة؛ كما كان سفيان الثوري يقول: يا مَنْ أَحَبُّ عِبَادِهِ إِلَيْهِ مَنْ سَأَلَهُ فَأَكْثَرَ سَوْأَالَهُ، وَيَا مَنْ أَبْغَضَ عِبَادَهُ إِلَيْهِ مَنْ لَمْ يَسْأَلْهُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ كَذَلِكَ غَيْرَكَ يَا رَبَّ" (1).

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: 186]. "يعني تعالى ذكره بذلك: وإذا سَأَلَكَ يا محمد، عبادي عَنِّي: أين أنا؟ فَإِنِّي قَرِيبٌ مِنْهُمْ أَسْمَعُ دُعَاءَهُمْ، وَأَجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي مِنْهُمْ" (2).

تعريف الدعاء:

لغة:

الدُّعَاءُ: الرَّغْبَةُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، يُقَالُ: دَعَاَهُ دُعَاءً وَدَعَاَى، وَدَعَا الرَّجُلُ دَعْوًا وَدُعَاءً، نَادَاهُ، وَيُقَالُ: دَعَا اللَّهُ: رَجَا مِنْهُ الْخَيْرَ، وَدَعَا لِفُلَانٍ: طَلَبَ الْخَيْرَ لَهُ، وَدَعَا عَلَى فُلَانٍ: طَلَبَ لَهُ الشَّرَّ.

وَالدُّعَاءُ - بِالضَّمِّ مَمْدُودٌ -: الرَّغْبَةُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِيمَا عِنْدَهُ مِنَ الْخَيْرِ وَالْإِبْتِهَالِ إِلَيْهِ بِالسُّؤَالِ (3).

(1) تفسير ابن كثير (4/ 104).

(2) تفسير الطبري (3/ 480).

(3) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم (2/ 325)، تاج العروس (38/ 46)، المعجم الوسيط



اصطلاحاً:

قال الخطابي: "ومعنى الدعاء: استدعاء العبد ربه عز وجل العناية، واستمداده إياه المعونة.

وحقيقته: إظهار الافتقار إليه، والتبرؤ من الحول والقوة، وهو سمة العبودية، واستشعار الذلة البشرية، وفيه معنى الشاء على الله عز وجل، وإضافة الجود، والكرم إليه⁽¹⁾.

وقيل: هو: "لسان الافتقار بشرح الاضطرار، **وقيل:** طلب المراد بنعت الفؤاد، **وقيل:** طلب كشف الغمة بتطلع موضع القسمة"⁽²⁾.
والتعريف الأول أحسن وأدق.

أهمية الدعاء:

إن للدعاء مكانة عظيمة، وأهمية كبيرة، وفضلاً سامياً، **فمن ذلك:**

1 - أن الدعاء عبادة من أعظم العبادات:

فهو - مع كونه طريقاً لنيل المصالح العاجلة والآجلة - عبادة جليلة يؤجر عليها المسلم؛ لأن فيه تضرعاً وإظهاراً للعبودية لله وحده.

عن النعمان بن بشير **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** عن النبي **ﷺ** قال: (إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ)

(1) شأن الدعاء (4 / 1).

(2) التوقيف على مهمات التعاريف (ص: 166).



ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: 60] (1).

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "أفضل العبادة هو الدعاء، وقرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: 60]" (2).

فقوله في الحديث: (الدعاء هو العبادة) "أي: هو العبادة الحقيقية التي تستأهل أن تسمى عبادة؛ لدلالته على الإقبال على الله والإعراض عما سواه، بحيث لا يرجو ولا يخاف إلا إياه، قائماً بوجوب العبودية، معترفاً بحق الربوبية، عالماً بنعمة الإيجاد، طالباً لمدد الإمداد على وفق المراءد" (3).

وقال الرازي: "فلا مقصود من جميع التكاليف إلا معرفة ذل العبودية وعز الربوبية، فإذا كان الدعاء مستجمعاً لهذين المقامين لا جرم كان الدعاء أعظم أنواع العبادات" (4).

(1) رواه أحمد (18352)، والبخاري في الأدب المفرد (714)، وأبو داود (1479)، والترمذي (3247)، والنسائي في الكبرى (11400)، وابن ماجه (3828)، والطبراني في الصغير (1041) والكبير (191)، والبيهقي في الشعب (1070)، وابن حبان (890)، وأبو داود الطيالسي (838)، والبخاري (3243)، وابن أبي شيبة (29167)، وجيد إسناده: ابن حجر، فتح الباري (1/49)، وصححه الألباني والأرنؤوط.

(2) رواه الحاكم (1/667)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (1/251).

(3) عون المعبود، للعظيم آبادي (4/247).

(4) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب (14/105).



وقال ابن عبد البر: الدعاء من العبادة؛ لأن فيه الإخلاص والضرعة والإيمان والخضوع، والله يحب أن يُسأل؛ ولذلك أمر عباده أن يسألوه من فضله (1).

وقال ابن رجب: "واعلم أن سؤال الله تعالى دون خلقه هو المتعين؛ لأن السؤال فيه إظهار الذل من السائل والمسكنة والحاجة والافتقار، وفيه الاعتراف بقدرة المسؤول على دفع هذا الضرر، ونيل المطلوب، وجلب المنافع، ودرء المضار، ولا يصلح الذل والافتقار إلا لله وحده؛ لأنه حقيقة العبادة" (2).

2- أن للدعاء عند الله تعالى رتبة عالية:

ويدل على ذلك: حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الدُّعَاءِ) (3).

وذلك "لدلالته على قدرة الله وعجز الداعي، ولأنه سبب لنيل الحظوظ التي جعلت لنا في الغيب؛ ولذلك صار للدعاء من السلطان ما يرد القضاء" (4).

(1) التمهيد، لابن عبد البر (12/ 186).

(2) جامع العلوم والحكم، لابن رجب (21/ 25).

(3) رواه أحمد (8748)، والبخاري في الأدب المفرد (712)، والترمذي (3370)، والبيهقي في الشعب (1071)، وابن ماجه (3829)، وابن حبان (870)، والطبراني في الأوسط (2523) والصغير (897)، وأبو داود الطيالسي (2708)، والبزار (9555)، والحاكم (1801) **وقال:** "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ إِسْنَادٌ"، وحسنه الألباني والأرنؤوط.

(4) التيسير بشرح الجامع الصغير - للمناوي (2/ 628).



3 - أن رسول الله ﷺ أمر بالإكثار منه ، ولا يأمر بالإكثار من شيء إلا لفضله

ونفاسته :

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِذَا سَأَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيُكْثِرْ؛ فَإِنَّهُ يَسْأَلُ رَبَّهُ رَبَّهُ) (1).

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ وَأَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَا عَلَى الْأَرْضِ مُسْلِمٍ يَدْعُو اللَّهَ بِدَعْوَةٍ إِلَّا آتَاهُ اللَّهُ إِيَّاهَا، أَوْ صَرَفَ عَنْهُ مِنَ الشُّؤْمِ مِثْلَهَا، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةٍ رَحِمَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: إِذَا نُكْثِرُ، قَالَ: اللَّهُ أَكْثَرُ) (2).

قال المبار كفوري: " (نكثرت) أي: من الدعاء لعظيم فوائده (قال) أي: رسول الله ﷺ (الله أكثر) قال الطيبي: أي: الله أكثر إجابة من دعائكم، وقيل: إن معناه: فضل الله أكثر أي: ما يعطيه من فضله وسعة كرمه أكثر مما يعطيكم في مقابلة دعائكم، وقيل: الله أغلب في الكثرة فلا تعجزونه في الاستكثار؛ فإن خزائنه لا

(1) رواه ابن حبان (889)، والطبراني في الأوسط (2040) وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (2/ 246). وصححه الأرنؤوط كذلك.

(2) رواه أحمد (11133)، والبخاري في الأدب المفرد (710)، والترمذي (3573)، والطبراني في الأوسط (147)، وأبو يعلى (1019)، وابن أبي شيبة (29170)، والحاكم (1816) **وقال:** "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادُ إِلَّا أَنَّ الشَّيْخَيْنِ لَمْ يُخَرِّجَاهُ عَنْ عَلِيِّ بْنِ عَلِيٍّ الرَّفَاعِيِّ" وقال الترمذي: "حسن صحيح"، وقال الهيثمي: "رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَأَبُو يَعْلَى بِنَحْوِهِ، وَالْبَزَّازُ، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَرِجَالُ أَحْمَدَ وَأَبِي يَعْلَى وَاحِدَ إِسْنَادِي الْبَزَّازِ رِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ، غَيْرَ عَلِيِّ بْنِ عَلِيٍّ الرَّفَاعِيِّ، وَهُوَ ثِقَةٌ"، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (10/ 148).

تنفذ، وعطاياه لا تنفى، وقيل: الله أكثر ثواباً وعطاء مما في نفوسكم، فأكثرُوا ما شئتم؛ فإنه تعالى يقابل أدعيتكم بما هو أكثر منها وأجل⁽¹⁾.

4- أنه سلاح يقاوم به البلاء، فيرفعه إن كان موجوداً، ويرده إن كان غير موجود:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (الدُّعَاءُ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزَلْ، فَعَلَيْكُمْ بِالدُّعَاءِ عِبَادَ اللَّهِ)⁽²⁾.

ف"الدعاء ينفع مما نزل) أي: من بلاء نزل بالرفع إن كان معلقاً، وبالصبر إن كان محكماً فيسهل عليه تحمل ما نزل به فيصبره عليه أو يرضيه به حتى لا يكون في نزوله متمنياً خلاف ما كان، بل يتلذذ بالبلاء كما يتلذذ أهل الدنيا بالنعماء، (ومما لم ينزل) أي: بأن يصرفه عنه ويدفعه منه أو يمدده قبل النزول بتأييد من يخف معه أعباء ذلك إذا نزل به"⁽³⁾.

وقد قيل: "الدعاء كالترس والبلاء كالسهم، والقضاء أمر مبهم مقدّر في الأزل"⁽⁴⁾.

(1) تحفة الأحوذى، للمباركفوري (18/10).

(2) رواه أحمد (22044)، والحاكم (1815)، والطبراني في الكبير (201)، والبيهقي في القضاء والقدر (247)، قال ابن حجر: "وَفِي سَنَدِهِ لَيْنٌ وَقَدْ صَحَّحَهُ مَعَ ذَلِكَ الْحَاكِمُ"، فتح الباري لابن حجر (95/11)، وضعفه الأرناؤوط، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (641/1).

(3) تحفة الأحوذى، للمباركفوري (9/374).

(4) المرجع السابق (6/289).



قال ابن القيم: "والدعاء من أنفع الأدوية وهو عدو البلاء؛ يدافعه ويعالجه ويمنع نزوله ويرفعه، أو يخففه إذا نزل، وهو سلاح المؤمن"⁽¹⁾.

5 - ترك الدعاء سبب لغضب الله تعالى:

وما كان الأمر كذلك إلا لعلو شأن الدعاء وأهميته للعبد.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّهُ مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ)⁽²⁾.

"يعني: الله تعالى يغضب على من لم يطلب منه حاجة؛ لأن ترك طلب الحاجة منه كبر واستغناء، ولا يجوز للعبد ترك عرض حاجته على الله تعالى، بل ليعرض حاجته على الله، وليطلب منه قضاءه؛ ليكون هذا اعترافاً من العبد بفقره وعجزه، وبقدرة الله على قضاء الحوائج وبكرمه وغناه"⁽³⁾.

قال أبو العتاهية:

لَا تَسْأَلَنَّ أَخَاكَ يَوْمًا حَاجَةً وَاسْأَلِ الَّذِي أَبْوَابُهُ لَا تُحْجَبُ
اللَّهُ يَغْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤَالَه وَبُنَى آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ
فاجْعَلْ سُؤَالَكَ لِلإِلهِ فَإِنَّمَّا فِي فَضْلِ نِعْمَةِ رَبِّنَا نَتَقَلَّبُ⁽⁴⁾

(1) الجواب الكافي، لابن القيم (ص: 4).

(2) رواه أحمد (9701)، والبخاري في الأدب المفرد (658)، والترمذي (3373)، وحسنه الألباني

في صحيح الجامع الصغير وزيادته (1/ 475).

(3) المفاتيح في شرح المصابيح (3/ 126).

(4) حياة السلف بين القول والعمل (ص: 476).

آداب الدعاء وشروطه :

الدعاء عبادة من العبادات التي ينبغي معرفة آدابها وأحكامها وشروطها؛ حتى يظفر المسلم بأجرها، ويحصل على أثرها من الإجابة وغيرها.

فربما يدعو بعض الناس دعاء كثيراً ولم تحصل له الإجابة، وقد يكون من أسباب عدم حصول المراد: وجود مانع من موانع إجابة الدعاء، والداعي لا يشعر بذلك.

"ف" الأدعية والتعوذات بمنزلة السلاح، والسلاح بضاربه لا يحده فقط، فمتى كان السلاح سلاحاً تاماً لا آفة به، والساعدُ ساعدٌ قوي، والمانع مفقود؛ حصلت به النكاية في العدو، ومتى تخلف واحد من هذه الثلاثة تخلف التأثير؛ فإن كان الدعاء في نفسه غير صالح أو الداعي لم يجمع بين قلبه ولسانه في الدعاء أو كان ثم مانع من الإجابة لم يحصل الأثر" (1).

ومن تتبع القرآن العظيم وسنة رسوله الكريم ﷺ وجد للدعاء آداباً وشروطاً منها الواجب ومنها المستحب، فمن ذلك:

1 - أن يتوجه العبد بدعائه إلى ربه لا إلى غيره :

فيدعوه طمعاً في الثواب وحصول الخير، وخوفاً من العقاب واستمرار الشر أو نزوله، قال تعالى: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: 56].

(1) الجواب الكافي، لابن القيم (ص: 8).



2 - إخفاء الدعاء وخفض الصوت به :

قال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾

[الأعراف: 55].

قال الحسن البصري: "ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت إن كان إلا همساً بينهم وبين ربهم؛ وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ وذلك أن الله ذكر عبداً صالحاً رضي فعله فقال: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾" (1).

3 - اختيار جوامع الدعاء التي تشتمل على خيري الدنيا والآخرة :

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا أَصَلِّي وَلَهُ حَاجَةٌ، فَأَبْطَأْتُ عَلَيْهِ، قَالَ: (يَا عَائِشَةُ، عَلَيْكَ بِجُمَلِ الدُّعَاءِ وَجَوَامِعِهِ، فَلَمَّا انْصَرَفْتُ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا جُمَلُ الدُّعَاءِ وَجَوَامِعُهُ؟، قَالَ: قُولِي: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ مُحَمَّدٌ، وَأَسْتَعِيدُكَ مِمَّا اسْتَعَاذَكَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ مُحَمَّدٌ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لِي

(1) تفسير ابن كثير (2/ 270). وينظر: سلاح المؤمن في الدعاء (ص: 135)، لتقّي الدين،

المعروف بابن الإمام (ت: 745هـ).

خَيْرًا، وَأَسْأَلُكَ مَا قَضَيْتَ لِي مِنْ أَمْرٍ أَنْ تَجْعَلَ عَاقِبَتَهُ رَشَدًا⁽¹⁾.

وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْتَحِبُّ الْجَوَامِعَ مِنَ الدُّعَاءِ، وَيَدْعُ مَا سِوَى ذَلِكَ)⁽²⁾.

4 - الإلحاح على الله تعالى، والاستمرار في الدعاء:

"فما دام العبد يُلحُّ في الدعاء، وَيَطْمَعُ في الإجابة من غير قطع الرجاء، فهو قريبٌ من الإجابة، وَمَنْ أَدْمَنَ قرَعَ الباب يُوشِكُ أَنْ يَفْتَحَ له"⁽³⁾.

5 - تقديم أهم الدعوات على غيرها:

كالدعاء بالإعانة على مرضاة الله، ومغفرة الذنوب، أو ما يستلزم ذلك كالنجاة من النار، ودخول الجنة، قال ابن رجب: "ومن أهم ما يسأل العبد ربّه: مغفرة ذنوبه، أو ما يستلزم ذلك كالنجاة من النار، ودخول الجنة، وقد قال النبي ﷺ: (حولها نُدُنِدُن) يعني: حول سؤال الجنة والنجاة من النار. وقال أبو مسلم الخولاني: ما عَرَضْتُ لي دعوةٌ فذكرتُ النار إلا صرفتها إلى الاستعاذة منها"⁽⁴⁾.

(1) رواه أحمد (25137)، والبخاري في الأدب المفرد (639)، وابن ماجه (3846) وابن أبي شيبة (29345)، وابن حبان (869)، وأبو داود الطيالسي (1674)، والحاكم (1914) **وقال:** "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ" وصححه الألباني والأرنؤوط.

(2) رواه أحمد (25151)، وأبو داود (1482)، وابن أبي شيبة (29165)، والبيهقي في الدعوات الكبير (327)، وأبو داود الطيالسي (1594)، وجيّد إسناده: النووي في رياض الصالحين (ص: 407)، وصححه الألباني والأرنؤوط.

(3) جامع العلوم والحكم، لابن رجب (5/44).

(4) جامع العلوم والحكم، لابن رجب (5/44).



وقال ابن القيم: "من أفضل ما يُسأل الربُّ تبارك وتعالى: الإعانة على مرضاته، وهو الذي علمه النبي لحبِّه معاذ بن جبل **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** فقال: (يا معاذ، والله إني لأحبك، فلا تنس أن تقول دبر كل صلاة: اللهم أعني على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك). فأنفع الدعاء طلب العون على مرضاته، وأفضل المواهب إسعافه بهذا المطلوب. وجميع الأدعية الماثورة مدارها على هذا، وعلى دفع ما يضاده وعلى تكميله وتيسير أسبابه فتأملها. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه: تأملت أنفع الدعاء فإذا هو سؤال العون على مرضاته، ثم رأيت في الفاتحة في: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 5]" (1).

6 - القيام بطاعة الله وترك معاصيه :

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: 186].

ففي الآية "توجيه منه سبحانه إلى ما يجعل الدعاء مرجو القبول والإجابة، والمعنى: لقد وعدتكم يا عبادي، بأن أجيب دعاءكم إذا دعوتهموني، وعليكم أنتم أن تستجيبوا لأمرى، وأن تقفوا عند حدودي، وأن تثبتوا على إيمانكم بي؛ لعلكم بذلك تصلون إلى ما فيه رشدكم وسعادتكم في الحياتين العاجلة والآجلة. وأمرهم سبحانه بالإيمان بعد الأمر بالاستجابة؛ لأنه أول مراتب الدعوة، وأولى الطاعات بالاستجابة" (2).

(1) مدارج السالكين، لابن القيم (78 / 1).

(2) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (298 / 10).

"روي عن بعض التابعين أنه كان يقول: الداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر" (1).

7 - عدم الاعتداء في الدعاء:

قال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: 55].

والمعنى: "إن ربكم لا يحب من اعتدى فتجاوز حدَّه الذي لعباده في دعائه ومسألته ربَّه، ورفع صوته فوق الحد الذي حدَّ لهم في دعائهم إياه، ومسألتهم، وفي غير ذلك من الأمور" (2).

عن أبي نعامة: أن عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول: اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها! فقال: أي بُني، سل الله الجنة، وتعوذ به من النار؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الطُّهُورِ وَالِدُّعَاءِ) (3).

والاعتداء في الدعاء له صور:

قال ابن حجر: "والاعتداء في الدعاء يقع بزيادة الرفع -يعني: رفع الصوت- فوق الحاجة، أو بطلب ما يستحيل حصوله شرعاً، أو بطلب معصية، أو يدعو بما لم

(1) شعب الإيمان، للبيهقي (53 / 2).

(2) تفسير الطبري (12 / 486).

(3) رواه أحمد (16796)، وأبو داود (96)، والبيهقي في الكبرى (947)، والحاكم (579) **قال**

الذهبي: "فيه إرسال"، وصححه الألباني وحسنه الأرناؤوط.



يؤثر، خصوصاً ما وردت كراهته؛ كالسجع المتكلف، وترك المأمور⁽¹⁾.

وقال شيخ الإسلام: "فلا اعتداء في الدعاء تارة بأن يسأل ما لا يجوز له سؤاله من المعونة على المحرمات. وتارة يسأل ما لا يفعله الله؛ مثل: أن يسأل تخليده إلى يوم القيامة، أو يسأله أن يرفع عنه لوازم البشرية: من الحاجة إلى الطعام والشراب. ويسأله بأن يطلعه على غيبه، أو أن يجعله من المعصومين، أو يهب له ولداً من غير زوجة، ونحو ذلك مما سؤاله اعتداء لا يحبه الله، ولا يحب سائله. وفسر الاعتداء برفع الصوت أيضاً في الدعاء"⁽²⁾.

وقال الشوكاني: "ومن الاعتداء في الدعاء: أن يسأل الداعي ما ليس له كالخلود في الدنيا، أو إدراك ما هو محال في نفسه، أو بطلب الوصول إلى منازل الأنبياء في الآخرة، أو يرفع صوته بالدعاء صارخاً به"⁽³⁾.

8 - عدم الاستعجال للإجابة :

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةٍ رَحِمٍ، مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ) قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْإِسْتِعْجَالُ؟ قَالَ: يَقُولُ: (قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ، فَلَمْ أَرِ يَسْتَجِيبْ لِي، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدْعُ الدُّعَاءَ)⁽⁴⁾.

(1) فتح الباري لابن حجر (13 / 55).

(2) مجموع الفتاوى (15 / 22).

(3) فتح القدير، للشوكاني (2 / 310).

(4) رواه مسلم (2735).

والله تعالى يختار لعبده المؤمن ما هو خير؛ فقد يؤخر عنه الإجابة لحكم يرى بها أن تعجيل الإجابة ليس خيراً لعبده، فما عليه إلا تكرار الدعاء وعدم الاستحسار.

قال ابن الجوزي: "ينبغي لمن وقع في شدة ثم دعا ألا يختلج في قلبه أمر من تأخير الإجابة أو عدمها؛ لأن الذي عليه أن يدعو، والمدعو مالك حكيم، فإن لم يجب فعل ما يشاء في ملكه، وإن أخر فعل بمقتضى حكمته. فالمعترض عليه في سرّه خارج عن صفة عبد، مزاحم لمرتبة مستحق، ثم ليعلم أن اختيار الله عز وجل له خير من اختياره لنفسه... فإذا سلم العبد تحكيماً لحكمته وحكمه، وأيقن أن الكل ملكه؛ طاب قلبه، قضيت حاجته أو لم تقض. وفي الحديث: (ما من مسلم دعا الله تعالى إلا أجابه؛ إما أن يعجلها، وإما أن يؤخرها، وإما أن يدخرها له في الآخرة) فإذا رأى يوم القيامة أن ما أُجيب فيه قد ذهب، وما لم يُجب فيه قد بقي ثوابه، قال: ليتك لم تُجب لي دعوة قط. فافهم هذه الأشياء وسلم قلبك من أن يختلج فيه ريب أو استعجال" (1).

وقال أيضاً: "من العجب إلحاحك في طلب أغراضك، وكلما زاد تعويقها زاد إلحاحك، وتنسى أنها قد تُمنع لأحد أمرين؛ إما لمصلحتك؛ فرب معجل أذى، وإما لذنوبك؛ فإن صاحب الذنوب بعيد من الإجابة، فنظف طرق الإجابة من أوساخ المعاصي، وانظر فيما تطلبه: هل هو لإصلاح دينك، أو لمجرد

(1) صيد الخاطر (ص: 115).



هواك؟ فإن كان للهوى المجرد فاعلم أن من اللطف بك والرحمة لك تعويقه، وأنت في إلحاحك بمثابة الطفل يطلب ما يؤذيه فيمنع رفقاً به، وإن كان لصلاح دينك فربما كانت المصلحة تأخيرها، أو كان صلاح الدين بعدمه، وفي الجملة تدبير الحق عز وجل لك خير من تدبيرك. وقد يمنعك ما تهوى ابتلاء ليلو صبرك، فأره الصبر الجميل تر عن قرب ما يُسرُّ. ومتى نظفت طرق الإجابة من أدران الذنوب، وصبرت على ما يقضيه لك، فكل ما يجري أصلح لك؛ عطاءً كان أو منعاً⁽¹⁾.

9 - البعد عن أكل الحرام:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: 51]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: 172]، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلُ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟⁽²⁾.

10 - الدعاء بقلب حاضر، غير لاه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ادعوا الله وأنتم موقنون

(1) صيد الخاطر (ص: 143).

(2) رواه مسلم (1015).

بِالْإِجَابَةِ، وَعَلِّمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ مَنْ قَلْبٌ غَافِلٌ لَّهِ⁽¹⁾.

ولابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ كلام جامع في آداب الدعاء حيث يقول: "وإذا اجتمع مع الدعاء حضور القلب وجمعيته بكليته على المطلوب، وصادف وقتاً من أوقات الإجابة الستة وهي: الثلث الأخير من الليل، وعند الأذان، وبين الأذان والإقامة، وأدبار الصلوات المكتوبات، وعند صعود الإمام يوم الجمعة على المنبر حتى تقضى الصلاة، وآخر ساعة بعد العصر من ذلك اليوم، وصادف خشوعاً في القلب وانكساراً بين يدي الرب، وذلاً له وتضرعاً ورقّة، واستقبل الداعي القبلة، وكان على طهارة، ورفع يديه إلى الله تعالى، وبدأ بحمد الله والثناء عليه، ثم ثنى بالصلاة على محمد عبده، ثم قدّم بين يدي حاجته التوبة والاستغفار، ثم دخل على الله وألحّ عليه في المسألة، وتملّقه ودعاه رغبة ورهبة، وتوسل إليه بأسمائه وصفاته وتوحيده، وقدّم بين يدي دعائه صدقة؛ فإن هذا الدعاء لا يكاد يُردّ أبداً، ولا سيما إن صادف الأدعية التي أخبر النبي أنها مظنة الإجابة، أو أنها متضمنة للاسم الأعظم"⁽²⁾.

(1) رواه الترمذي (3479)، والطبراني في الأوسط (5109)، والخرائطي في اعتلال القلوب (5)، والبزار (10061)، والحاكم (1817) **وقال**: "هَذَا حَدِيثٌ مُسْتَقِيمٌ الْإِسْنَادُ تَفَرَّدَ بِهِ صَالِحُ الْمُرِّي، وَهُوَ أَحَدُ زُهَادِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ" قال الهيثمي: "رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ"، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (10/148).

(2) الجواب الكافي، لابن القيم (ص: 5).



من أدعية القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية الشريفة:

أدعية القرآن والسنة هي خير الأدعية وأجمعها وأحسنها، فعلى الداعي أن يقدمها في دعائه، ويختار بعد ذلك من الدعاء ما شاء مما يصح الدعاء به.

من أدعية القرآن:

- 1 - ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: 127].
- 2 - ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ [البقرة: 128].
- 3 - ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: 201].
- 4 - ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِكْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 286].
- 5 - ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: 8].
- 6 - ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: 16].
- 7 - ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: 38].
- 8 - ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: 147].



9- ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [آل

عمران: 192].

10- ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: 193].

11- ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: 194].

12- ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: 23].

13- ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ [إبراهيم: 40].

14- ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: 41].

15- ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: 87].

16- ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ [الأنبياء: 89].

17- ﴿رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون: 109].

18- ﴿رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: 65].

19- ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾

[الفرقان: 74].



20- ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: 10].

من أدعية النبي ﷺ:

- 1- (اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) (1).
- 2- (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى) (2).
- 3- (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي وَعَافِنِي وَارْزُقْنِي) (3).
- 4- (اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ) (4).
- 5- (اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ) (5).

من الأدعية الصالحة لبعض الصالحين:

- 1- عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كان يقول: (اللهم إني أعوذ بك أن تأخذني على غرّة، أو تذرني في غفلة، أو تجعلني من الغافلين) (6).

(1) رواه البخاري (4522)، ومسلم (2688).

(2) رواه مسلم (2721).

(3) رواه مسلم (2697).

(4) رواه مسلم (2654).

(5) رواه مسلم (2720).

(6) مصنف ابن أبي شيبة (29517).



2 - وقال عمر بن عبد العزيز: اللهم إن لم أكن أهلاً أن أبلغ رحمتك فإن رحمتك أهل أن تبلغني، رحمتك وسعت كل شيء وأنا شيء فلتسعني رحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم إنك خلقت قوماً فأطاعوك فيما أمرتهم، وعملوا في الذي خلقتهم له فرحمتك إياهم كانت قبل طاعتهم لك يا أرحم الراحمين (1).

3 - يا من أظهر الجميل، وستر القبيح، يا من لا يؤاخذ بالجريرة، ولا يهتك السر، يا عظيم العفو، يا حسن التجاوز، يا واسع المغفرة، يا باسط اليدين بالرحمة، يا صاحب كل نجوى، ويا منتهى كل شكوى، يا كريم الصفح، يا عظيم المنّ، يا مبتدئ النعم قبل استحقاقها، يا ربنا ويا سيدنا ويا مولانا ويا غاية رغبتنا أسألك يا الله .. (2).

4 - اللهم إني أبرأ من الثقة إلا بك، ومن الأمل إلا فيك، ومن التسليم إلا لك، ومن التفويض إلا إليك، ومن التوكل إلا عليك، ومن الطلب إلا منك، ومن الرضا إلا عنك، ومن الذل إلا في طاعتك، ومن الصبر إلا على بابك، وأسألك أن تجعل الإخلاص قرين عقيدتي، والشكر على نعمتك شعاري ودثاري، والنظر في ملكوتك دأبي وديدي، والانقياد لك شأني وشغلي، والخوف منك أمني وإيماني، واللياذ بذكرك بهجتي وسروري (3).

5 - اللهم إني أعوذ بك أن أفتقر في غناك، أو أضل في هداك، أو أذل في عزك،

(1) حلية الأولياء، لأبي نعيم (5/ 299).

(2) المستدرک، للحاكم (1/ 729).

(3) البصائر والذخائر (5/ 6).



أو أضام في سلطانك، أو أضطهد والأمر لك⁽¹⁾.

6 - اللَّهُمَّ إِنِ اسْتَغْفَارِي مَعَ إِصْرَارِي لِلْؤْمِ، وَإِنْ تَرَكِي اسْتَغْفَارَ مَعَ عِلْمِي بِسَعَةِ عَفْوِكَ لِعَجْزِي، فَكَمْ تَحَبَّبْتُ إِلَيَّ بِالنِّعَمِ مَعَ غِنَاكَ عَنِّي، وَأَتَبَعْتُ إِلَيْكَ بِالْمَعَاصِي مَعَ فَقْرِي إِلَيْكَ، يَا مَنْ إِذَا وَعَدَ وَفَّى، وَإِذَا تَوَعَّدَ تَجَاوَزَ وَعَفَا، أَدْخِلْ عَظِيمَ جُرْمِي فِي عَظِيمِ عَفْوِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ⁽²⁾.

7 - اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي مِنَ الْخَيْرِ أَكْثَرَ مِمَّا أَرْجُو، وَاصْرِفْ عَنِّي مِنَ الشَّرِّ أَكْثَرَ مِمَّا أَخَافُ⁽³⁾.

8 - اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْخَوْفَ مِنْكَ حِينَ يَأْمَنُكَ مَنْ لَا يَعْرِفُكَ، وَأَسْأَلُكَ الْأَمْنَ مِنْكَ حِينَ يَخَافُكَ مَنْ يَغْتَرِّبُكَ⁽⁴⁾.

9 - اللَّهُمَّ إِنَّ ذُنُوبِي تَخَوَّفَنِي مِنْكَ، وَجُودُكَ يَبْشُرُنِي عَنْكَ، فَأَخْرِجْنِي بِالْخَوْفِ مِنَ الْخَطَايَا، وَأَوْصِلْنِي بِجُودِكَ إِلَى الْعَطَايَا، حَتَّى أَكُونَ غَدًّا فِي الْقِيَامَةِ عَتِيقَ كَرَمِكَ، كَمَا أَنَا فِي الدُّنْيَا رَيْبُ نَعْمِكَ⁽⁵⁾.

10 - اللَّهُمَّ أَعْنِي عَلَى دِينِي بِدُنْيَا، وَأَعْنِي عَلَى آخِرَتِي بِتَقْوَى⁽⁶⁾.

(1) البصائر والذخائر (5 / 138).

(2) الأذكار للإمام النووي (2 / 15).

(3) البصائر والذخائر (5 / 204).

(4) البصائر والذخائر (8 / 34).

(5) البصائر والذخائر (8 / 89).

(6) نشر الدر، للآبي (6 / 51).



إِنْ مَنْ أَحَبَ شَيْئًا أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِهِ، وَبَقِيَ حَاضِرًا لَدَيْهِ مِنْ غَيْرِ غَفْلَةٍ عَنْهُ وَلَا نِسْيَانٍ، فَكَيْفَ إِذَا كَانَ الْمَذْكُورُ قَدْ وَعَدَ ذَاكَ بِجَوَائِزٍ لَا تُحْصَى، وَتُفَضَّلُ عَلَيْهِ بِآلَاءٍ لَا تَعْدُ إِنْ هُوَ ذَكَرَهُ!

فَمَنْ فَطَرَ الْإِنْسَانَ وَخَلَقَهُ، وَمَدَّ يَدَ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِ وَرَزَقَهُ، وَصَوَّرَهُ فَأَحْسَنَ صُورَتَهُ، وَهَدَاهُ وَبَيَّنَّ لَهُ مُحِجَّتَهُ، وَفَضَّلَهُ وَكَرَّمَهُ، وَعَلَّمَهُ وَفَهَّمَهُ، أَرْسَلَ لَهُ رَسُولَهُ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ - مِنْ أَجْلِهِ - كِتَابَهُ، وَجَعَلَ مَا فِي الْأَرْضِ مَسْخَرًا لَخِدْمَتِهِ، وَحَفِظَهُ بِالْمَعْقَبَاتِ مِنْ مَلَائِكَتِهِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، وَأَنْعَمَ عَلَيْهِ بِنِعَمٍ ظَاهِرَةٍ وَبَاطِنَةٍ، لَا يَسْتَطِيعُ الْمَخْلُوقُ عَدَهَا وَلَنْ يَبْلُغَ حَصْرَهَا. أَفَلَا تَكْثُرُ النُّفُوسُ مِنْ ذِكْرِ مَنْ هَذِهِ بَعْضُ أَيْادِيهِ، وَنَمَازِجٍ مِنْ فَضْلِهِ عَلَيْهَا؟! ذَكَرًا يَسْتَغْرِقُ الزَّمَانَ، وَيَعْمُ الْجَنَانُ وَاللِّسَانُ (لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ).

ذَكَرْتُكَ لَا أَنِي نَسِيتُكَ لِمَحَبَّةٍ	وَأَيْسَرُ مَا فِي الذِّكْرِ ذِكْرُ لِسَانِي
وَكُنْتُ بَلَا وَجِدٍ أَمُوتُ مِنَ الْهَوَى	وَهَامَ عَلَيَّ الْقَلْبُ بِالْخَفَقَانِ
فَلَمَّا أَرَانِي الْوَجْدُ أَنَّكَ حَاضِرِي	شَهِدْتُكَ مَوْجُودًا بِكُلِّ مَكَانٍ
فَخَاطَبْتُ مَوْجُودًا بِغَيْرِ تَكْلِمٍ	وَلَا حِظْتُ مَعْلُومًا بِغَيْرِ عَيَانٍ ⁽¹⁾

(1) فضيلة ذكر الله لابن عساكر (ص: 40).



المراد بذكر الله تعالى :

ليس المراد بذكر الله تعالى ذكره باللسان فحسب، بل ذكره سبحانه يشمل: ذكر اللسان، وذكر القلب، وذكر الجوارح.

قال ابن حجر: "وقال الفخر الرازي: المراد بذكر اللسان: الألفاظ الدالة على التسييح والتحميد والتمجيد. والذكر بالقلب: التّفكّر في أدلة الذات والصفات وفي أدلة التكاليف من الأمر والنهي حتى يطلع على أحكامها، وفي أسرار مخلوقات الله. والذكر بالجوارح، هو أن تصير مستغرقة في الطاعات، ومن ثمّ سمى الله الصلاة ذكراً فقال: ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: 9]. ونقل عن بعضهم، قال: الذكر على سبعة أنحاء: فذكر العينين بالبكاء، وذكر الأذنين بالإصغاء، وذكر اللسان بالثناء، وذكر اليدين بالعطاء، وذكر البدن بالوفاء، وذكر القلب بالخوف والرجاء، وذكر الروح بالتسليم والرضاء" (1).

وقال ابن القيم: "وليس المراد بالذكر مجرد الذكر باللسان، بل الذكر القلبي واللساني، وذكر الله يتضمّن ذكر أسمائه وصفاته، وذكر أمره ونهيه وذكره بكلامه، وذلك يستلزم معرفته والإيمان به وبصفات كماله ونعوت جلاله والثناء عليه بأنواع المدح. وذلك لا يتمّ إلا بتوحيده. فذكره الحقيقيّ يستلزم ذلك كلّ، ويستلزم ذكر نعمه وآلائه وإحسانه إلى خلقه" (2).

وقال أيضاً: "وأفضل الذكر وأنفعه: ما واطأ فيه القلب اللسان، وكان من

(1) فتح الباري (11 / 209).

(2) الفوائد، لابن القيم (ص: 128).



الأذكار النبوية، وشهد الذاكر معانيه ومقاصده" (1).

وقال الغزالي: "المؤثر النافع هو الذكر على الدوام مع حضور القلب، فأما الذكر باللسان والقلب لاهٍ فهو قليل الجدوى" (2).

وقال كذلك: "وقال الحسن: الذِّكْرُ ذكران: ذكر الله عز وجل بين نفسك وبين الله عز وجل ما أحسنه وأعظم أجره، وأفضل من ذلك ذكر الله سبحانه عند ما حرم الله عز وجل" (3).

وقال ميمون بن مهران: ذكر الله باللسان حسن، وأفضل منه أن يذكر الله العبدُ عند المعصية فيمسك عنها" (4).

أهمية ذكر الله ومنزلته :

إن ذكر الله تعالى عبادة عظيمة لها منزلتها السامية بين العبادات، وأهميتها الكبيرة بين الطاعات؛ فهي:

1 - خير الأعمال وأزكاها وأرفعها وأحبها إلى الله تعالى :

فعن معاذ بن جبل **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاها عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ؟ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ تَعَاطِي

(1) المرجع السابق (ص: 192).

(2) إحياء علوم الدين (1/ 301).

(3) المرجع السابق (1/ 295).

(4) جامع العلوم والحكم، لابن رجب (ص: 96).



الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَمِنْ أَنْ تَلْقُوا عَدُوَّكُمْ غَدًا فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ). قَالُوا: بَلَى. يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: (ذِكْرُ اللَّهِ) (1).

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا قال: إِنَّ آخِرَ كَلَامٍ فَارَقْتُ عَلَيْهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ قُلْتُ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: (أَنْ تَمُوتَ وَلِسَانُكَ رَطْبٌ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ) (2).

2- أنه من أكبر الطاعات وأعظم القربات :

قال تعالى: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: 45].

3- أنه أحد ركني الدين اللذين يقوم عليهما :

قال ابن القيم: "مبنى الدين على قاعدتين: الذكر، والشكر، قال تعالى:

(1) رواه أحمد (22079)، والترمذي (3377)، وابن ماجه (3790)، والبيهقي في الشعب (516)، والحاكم (1825) **وقال:** "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يَحْرَجْهُ"، وقال الهيثمي: "رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَرَجَّاهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ، إِلَّا أَنَّ زِيَادَ بْنَ أَبِي زِيَادٍ مَوْلَى ابْنِ عِيَّاشٍ لَمْ يُدْرِكْ مُعَاذًا" مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (73 / 10). وصححه الألباني والأرنؤوط.

(2) رواه البخاري في خلق أفعال العباد (ص: 72)، والبيهقي في الشعب (513)، وابن حبان (818)، والطبراني في الكبير (208)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص: 4)، **قال الهيثمي:** "رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ، وَفِي هَذِهِ الطَّرِيقِ خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي مَالِكٍ، وَضَعْفُهُ جَمَاعَةٌ، وَوَثْقَةُ أَبُو زُرْعَةَ الدَّمَشَقِيُّ وَغَيْرُهُ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ".

ورَوَاهُ النَّبَزَارُ مِنْ غَيْرِ طَرِيقِهِ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: أَخْبَرَنِي بِأَفْضَلِ الْأَعْمَالِ وَأَقْرَبِهَا إِلَى اللَّهِ؟ وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ"، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (74 / 10)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (95 / 1).

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: 152]، وقال النبي لمعاذ: (والله إني لأحبك، فلا تنس أن تقول دبر كل صلاة: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك)... وهذان الأمران [الذكر والشكر] هما جِماع الدين؛ فذكره مستلزم لمعرفته، وشكره متضمن لطاعته، وهذان هما الغاية التي خلق لأجلها الجن والإنس، والسموات والأرض ووضع لأجلها الثواب والعقاب... فثبت بما ذكر أن غاية الخلق والأمر أن يُذكر، وأن يشكر؛ يذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر، وهو سبحانه ذاكر لمن ذكره، شاكر لمن شكره، فذكره سبب لذكره، وشكره سبب لزيادته من فضله، فالذكر للقلب واللسان، والشكر للقلب محبة وإنابة، واللسان ثناء وحمد، وللجوارح طاعة وخدمة" (1).

5- أن الله تعالى أمر بالإكثار منه وأخبر بذلك في مواضع عدة من كتابه، ولا يأمر بذلك

إلا لأهمية الذكر ومنزلته :

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: 45]، وقال: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: 10]، وقال: ﴿وَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الشعراء: 227]، وقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21]، وفي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتُمْ مَنَاسِكُكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: 200].

(1) الفوائد، لابن القيم (ص: 128).



و "الأمر بالذكر بالكثرة والشدة؛ لشدة حاجة العبد إليه وعدم استغنائه عنه طرفة عين، فأى لحظة خلا فيها العبد عن ذكر الله عز وجل كانت عليه لا له، وكان خسرانه فيها أعظم مما ربح في غفلته عن الله، وقال بعض العارفين: لو أقبل عبد على الله تعالى كذا وكذا سنة ثم أعرض عنه لحظة لكان ما فاتته أعظم مما حصله" (1).

6- وروده الكثير المتنوع في القرآن الكريم:

قال ابن القيم: "وهو في القرآن على عشرة أوجه:

الأول: الأمر به مطلقاً ومقيداً.

الثاني: النهي عن ضده من الغفلة والنسيان.

الثالث: تعليق الفلاح باستدامته وكثرته.

الرابع: الثناء على أهله والإخبار بما أعد الله لهم من الجنة والمغفرة.

الخامس: الإخبار عن خسران من لها عنه بغيره.

السادس: أنه سبحانه جعل ذكره لهم جزاء لذكرهم له.

السابع: الإخبار أنه أكبر من كل شيء.

الثامن: أنه جعله خاتمة الأعمال الصالحة كما كان مفتاحها.

(1) الوابل الصيب، لابن القيم (ص: 56).

التاسع: الإخبار عن أهله بأنهم هم أهل الانتفاع بآياته وأنهم أولو الألباب دون غيرهم.

العاشر: أنه جعله قرين جميع الأعمال الصالحة وروحها، فمتى عدمته كانت كالجسد بلا روح⁽¹⁾. ثم فصل ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ** في هذه الأمور واستدل لها.

7 - أنه باب جامع يتمسك به عند ازدحام أعمال الخير:

جاء رجل إلى النبي **ﷺ** فقال يا رسول الله، إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيْنَا، فَبَابُ تَتَمَسُّكَ بِهِ جَامِعٌ؟ قَالَ: (لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ)⁽²⁾.

8 - أنه عبادة ميسرة في قولها وفي زمانها وفي مكانها:

فذكر الله تعالى عبادةً من العبادات العظيمة، ميسرة لا صعوبة فيها، ولا موانع تمنع منها، ولا مقدار يضبطها فلا تزيد عليه، قال ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 41]: "إن الله تعالى لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حداً معلوماً، ثم عذر أهلها في حال العذر، غير الذكر؛ فإن الله لم يجعل له حداً ينتهي إليه، ولم يعذر أحداً في تركه إلا مغلوباً على تركه فقال: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى

(1) مدارج السالكين، لابن القيم (2/ 424).

(2) رواه أحمد (17680)، وابن ماجه (3793)، والطبراني في الأوسط (2268)، والبيهقي في الشعب (512)، وابن حبان (814)، والحاكم (1822) **وقال:** "ذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرَّجْهُ"، وصححه الألباني والأرنؤوط.



جُنُوبِهِمْ ﴿آل عمران: 191﴾، بالليل والنهار، في البر والبحر، وفي السفر والحضر، والغنى والفقر، والسقم والصحة، والسر والعلانية، وعلى كل حال "(1)".

9- أن الله تعالى يباهي الله بأهله الملائكة الكرام:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَرَجَ مُعَاوِيَةُ عَلَى حَلَقَةٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: مَا أَجَلَسَكُمْ؟ قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ، قَالَ اللَّهُ مَا أَجَلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟ قَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَجَلَسْنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: أَمَّا إِنِّي لَمْ أَستَحْلِفْكُمْ تَهْمَةً لَكُمْ، وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَقَلَّ عَنْهُ حَدِيثًا مِنِّي، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ عَلَى حَلَقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: (مَا أَجَلَسَكُمْ؟ قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ وَنُحَمِّدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، وَمَنْ بِهِ عَلَيْنَا، قَالَ: اللَّهُ مَا أَجَلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟، قَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَجَلَسْنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: أَمَّا إِنِّي لَمْ أَستَحْلِفْكُمْ تَهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي، أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبَاهِي بِكُمْ الْمَلَائِكَةَ) (2).

"(يباهي بكم الملائكة) معناه: يظهر فضلكم لهم، ويريهم حسن عملكم، ويثني عليكم" (3).

10- أن أهله هم أهل السبق:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ فَمَرَّ

(1) تفسير ابن كثير (598/3).

(2) رواه مسلم (2701).

(3) شرح النووي على مسلم (23/17).

عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ: جُمْدَانٌ، فَقَالَ: (سِيرُوا هَذَا جُمْدَانٌ، سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ، قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا، وَالذَّاكِرَاتُ) (1).

قال ابن القيم: "عمّال الآخرة كلهم في مضمار السباق، والذاكرون هم أسبقهم في ذلك المضمار، ولكن القنطرة والغبار يمنع من رؤية سبقهم، فإذا انجلى الغبار وانكشف رأيهم الناس وقد حازوا قصب السبق، قال الوليد بن مسلم: قال محمد بن عجلان: سمعت عمرًا مولى غفرة يقول: إذا انكشف الغطاء للناس يوم القيامة عن ثواب أعمالهم لم يروا عملاً أفضل ثواباً من الذكر، فيتحسر عند ذلك أقوام فيقولون: ما كان شيء أيسر علينا من الذكر" (2).

ويقول ابن القيم في منزلة الذكر: "وهي منزلة القوم الكبرى التي منها يتزوّدون، وفيها يتّجرون، وإليها دائماً يتردّدون. والذكر منشور الولاية الذي من أعطيه اتّصل، ومن منعه عُزل، وهو قوت قلوب القوم الذي متى فارقتها صارت الأجساد لها قبورا، وعمارة ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بورا، وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قطاع الطّريق، وماؤهم الذي يطفئون به التّهاب الحريق، ودواء أسقامهم الذي متى فارقه انتكست منهم القلوب، والسبب الواصل؛ والعلاقة التي كانت بينهم وبين علام الغيوب.

إذا مرضنا تدأونا بذكركم فترك الذكر أحيانا فننتكس

به يستدفعون الآفات، ويستكشفون الكربات، وتهون عليهم به المصيبات،

(1) رواه مسلم (2676).

(2) الوابل الصيب، لابن القيم (ص: 106).



إذا أظْلَمَ البلاءُ فإِليه ملجؤُهُم، وإذا نزلت بهم النّوازل فإِليه مفرزُهُم، فهو رياضُ جنّتهم الّتي فيها يتقلّبون، ورؤوسُ أموالِ سعادتهم الّتي بها يتجرون يدع القلبُ الحزين ضاحكًا مسرورًا، ويوصل الذّاكر إلى المذكور، بل يدع الذّاكر مذكورًا. وفي كلّ جارحة من الجوارح عبوديّة مؤقتة. والذّكر عبوديّة القلب واللّسان وهي غير مؤقتة، بل هم يؤمرون بذكر معبودهم ومحبوبهم في كلّ حال قيامًا وقعودًا، وعلى جنوبهم، فكما أنّ الجنّة قيعان، وهو غراسها فكذلك القلوب بور خراب، وهو عمارتها وأساسها. وهو جلاء القلوب وصقالها، ودواؤها إذا غشيها اعتلالها، وكلّما ازداد الذّاكر في ذكره استغرقا ازداد المذكور محبّة إلى لقائه واشتياقا، وإذا واطأ في ذكره قلبه للسانه نسي في جنب ذكره كل شيء، وحفظ الله عليه كل شيء، وكان له عوضًا من كل شيء، به يزول الوقر عن الأسماع، والبكم عن الألسن، وتنقشع الظّلمة عن الأبصار، زَيْن الله به ألسنة الذّاكرين، كما زَيْن بالنور أبصار النّاظرين، فاللّسان الغافل كالعين العمياء، والأذن الصّمماء، واليد الشّلاء، وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده، ما لم يغلقه العبد بغفلته⁽¹⁾.

ثمرات ذكر الله تعالى:

من داوم على ذكر الله تعالى وأكثر منه، بعد أن أدى فرائض الله تعالى؛ فإنه ينال بسببه ثمراتٍ يانعةً في الدنيا والآخرة، **فمن ذلك:**

(1) مدارج السالكين، لابن القيم (2/ 423).



1 - نيل معية الله تعالى بالتوفيق والرعاية والهداية والحماية :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأْ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأْ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً⁽¹⁾).

2 - الظفر بذكر الله تعالى للعبد الذاكر :

قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: 152]، ولحديث أبي هريرة السابق وفيه: (وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأْ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأْ خَيْرٍ مِنْهُمْ).

"ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها لكفى بها فضلاً وشرفاً"⁽²⁾.

3 - نيل محبة الله عز وجل :

"فقد" جعل الله لكل شيء سبباً، وجعل سبب المحبة دوام الذكر، فمن أراد أن ينال محبة الله عز وجل فليلهج بذكره؛ فإنه الدرس والمذاكرة كما أنه باب العلم، فالذكر باب المحبة وشارعها الأعظم وصراطها الأقوم"⁽³⁾.

4 - نيل الجوائز الأربع :

عَنِ الْأَعْرَجِ أَبِي مُسْلِمٍ، أَنَّهُ قَالَ: أَشْهَدُ عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ

(1) رواه البخاري (7405)، ومسلم (2675).

(2) الوابل الصيب، لابن القيم (ص: 62).

(3) المرجع السابق (ص: 61).



أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا أَحَقَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ) (1).

5 - ثقل ميزان الذاكر يوم القيامة بالحسنات :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ) (2).

6 - صلاح القلب من فساده ونقاؤه من قسوته وغفلته وظلمته :

قال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "إن لكل شيء جلاء، وإن جلاء القلوب ذكر الله عز وجل" (3).

قال ابن القيم: "وهو يسوق فوائد الذكر -: "يورث حياة القلب، وسمعت شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله تعالى روحه يقول: الذكر للقلب مثل الماء للسّمك، فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء؟... أنه قوت القلب والروح، فإذا فقدته العبد صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين قوته" (4).

(1) رواه مسلم (2700).

(2) رواه البخاري (6682)، ومسلم (2694).

(3) شعب الإيمان، للبيهقي (1/396).

(4) الوابل الصيب، لابن القيم (ص: 63).



7- أنه من أعظم أسباب النصر عند لقاء العدو :

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: 45]. قال ابن القيم: "وقرّنه بالجهاد، وأمر بذكره عند ملاقة الأقران ومكافحة الأعداء... وفي أثر إلهي يقول الله تعالى: إن عبدي كل عبدي الذي يذكرني وهو ملاقي قرّنه⁽¹⁾."

سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يستشهد به وسمعته يقول: المحبون يفتخرون بذكر من يحبونه في هذه الحال؛ كما قال عنتر:

ولقد ذكرْتُكَ والرماحُ كأنها أشطانُ بُئرٍ في بُبانِ الأدهمِ

وقال الآخر:

ذكرْتُكَ وَالْحَطِيّ يُخْطِرُ بَيْنَنَا وَقَدْ نَهَلَتْ مِنَّا الْمُثَقَّفَةُ السُّمُرُ

وقال آخر:

ولقد ذكرْتُكَ والرماحُ شواجرٌ نحوي وبيضُ الهندِ تقطرُ من دمي

وهذا كثير في أشعارهم وهو مما يدل على قوة المحبة؛ فإن ذكر المحب محبوبه في تلك الحال التي لا يهم المرء فيها غير نفسه يدل على أنه عنده بمنزلة نفسه أو أعز منها، وهذا دليل على صدق المحبة⁽²⁾.

(1) القرن للإنسان مثله في الشجاعة والشدة والعلم والقتال وغير ذلك. المعجم الوسيط

(2/ 731).

(2) مدارج السالكين (2/ 427).

9 - أنه حصن حصين من الشيطان اللعين :

عن الحارث الأشعري **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخُمْسِ كَلِمَاتٍ: أَنْ يَعْمَلَ بِهِنَّ، وَأَنْ يَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ،..... وَأَمَرَكُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ كَثِيرًا، وَإِنْ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ طَلَبَهُ الْعَدُوُّ سِرَاعًا فِي أَثَرِهِ، فَأَتَى حِصْنًا حَصِينًا، فَتَحَصَّنَ فِيهِ، وَإِنَّ الْعَبْدَ أَحْصَنَ مَا يَكُونُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِذَا كَانَ فِي ذِكْرِ اللَّهِ) ⁽¹⁾.

قال ابن القيم: "فلو لم يكن في الذكر إلا هذه الخصلة الواحدة لكان حقيقًا بالعبد أن لا يفتر لسانه من ذكر الله تعالى، وأن لا يزال لهجًا بذكره؛ فإنه لا يحرز نفسه من عدوه إلا بالذكر، ولا يدخل عليه العدو إلا من باب الغفلة، فهو يرصده، فإذا غفل وثب عليه وافترسه، وإذا ذكر الله تعالى انخنس عدو الله تعالى وتصاغر وانقمع، حتى يكون كالوَصْعِ ⁽²⁾ وكالذباب؛ ولهذا سمي الوسواس الخناس أي: يوسوس في الصدور، فإذا ذكر الله تعالى خنس أي: كف وانقبض، قال ابن عباس: الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله تعالى خنس" ⁽³⁾.

(1) رواه أحمد (17800)، والترمذي (2863)، وابن حبان (6233)، وابن خزيمة (1895)، والبيهقي في الشعب (534)، وأبو داود الطيالسي (1257)، والطبراني في الكبير (3430)، وصححه الألباني والأرنؤوط.

(2) **الْوَصْعُ** - بفتح تين -: طائر يشبه العصفور في صغره، وقيل: هو الصغير من النمران. المصباح المنير، للفيومي (ص: 341).

(3) الوابل الصيب، لابن القيم (ص: 56).

10 - أنه حياة، والغفلة عنه موت:

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِي يُذَكَّرُ اللَّهُ فِيهِ، وَالْبَيْتِ الَّذِي لَا يُذَكَّرُ اللَّهُ فِيهِ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ) (1).

"فجعل بيت الذاكر بمنزلة بيت الحي، وبيت الغافل بمنزلة بيت الميت وهو القبر، وفي اللفظ الأول جعل الذاكر بمنزلة الحي والغافل بمنزلة الميت، فتضمن اللفظان أن القلب الذاكر كالحي في بيوت الأحياء، والغافل كالميت في بيوت الأموات، ولا ريب أن أبدان الغافلين قبور لقلوبهم، وقلوبهم فيها كالأموات في القبور؛ كما قيل:

فنسيان ذكر الله موت قلوبهم وأجسامهم قبل القبور قبور
وأرواحهم في وحشة من جسومهم وليس لهم حتى النشور نشور" (2)

وسائل معينة على دوام ذكر الله وكثرته:

1 - ترسيخ محبة الله تعالى في القلب:

فإن محبة الله تعالى تدفع صاحبها إلى كثرة ذكر الله، وعلى قدر المحبة يكون الذكر، يقول ابن القيم: "لو صحت محبتك لاستوحشت ممن لا يذكر بالحبيب، واعجباً لمن يدعي المحبة ويحتاج إلى من يذكره بمحبوبه، فلا يذكره إلا بمذكر، أقل ما في المحبة أنها لا تنسيك تذكر المحبوب:

(1) رواه البخاري (6407)، ومسلم (779).

(2) مدارج السالكين، لابن القيم (2/429).



ذَكَرْتُكَ لَا أَنِي نَسَيْتُكَ سَاعَةً وَأَيَسُرُّ مَا فِي الذِّكْرِ ذِكْرُ لِسَانِي" (1)

2- الاقتداء بالذاكرين الله كثيرا:

ويأتي ذلك بمجالستهم، أو سماع أخبارهم أو قراءتها، وأكملهم أسوة للمؤتسين، وأتمهم قدوة للمقتدين: نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم؛ فقد قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ) (2).

قال النووي: "المقصود: أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يذكر الله تعالى متطهراً ومحدثاً وجنباً، وقائماً وقاعداً ومضطجعاً وماشياً، والله أعلم" (3).

3- إجلالة الفكر في فضل الذكر وأهميته وثمراته:

فمن نظر إلى ذلك متأملاً دفعه إلى كثرة الذكر والمداومة عليه؛ طمعاً في نيل درجة أهله، والظفر بخيره في الدنيا والآخرة.

4- التعلق بالدار الآخرة:

فمن كان قوي الرغبة في الآخرة، غير متعلق بالدنيا؛ أكثر من ذكر الله تعالى؛ لعلمه أن كثرة الذكر كنز يدخره لآخرفته، وأما الدنيا ففانية غير باقية، فلا يلهيه الفاني عن الباقي.

(1) الفوائد، لابن القيم (ص: 77).

(2) رواه مسلم (373).

(3) شرح النووي على مسلم (2/ 90).



5 - الدعاء بالإعانة على كثرة الذكر:

فكثرة الذكر عمل عظيم، ولكن النفس والهوى قد يقفان في طريق الوصول إلى ذلك، فاحتاج العبد إلى عون الله تعالى؛ فلذلك يستحب له أن يدعو بالإعانة على الذكر. عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَخَذَ بِيَدِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: (يَا مُعَاذُ) قُلْتُ: لَبَّيْكَ، قَالَ: (إِنِّي أُحِبُّكَ) قُلْتُ: وَأَنَا وَاللَّهِ أُحِبُّكَ قَالَ: (أَلَا أَعْلِمُكَ كَلِمَاتٍ تَقُولُهَا فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاتِكَ؟) قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: (قُلِ اللَّهُمَّ أَعْنِي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ) ⁽¹⁾.

ذكر الله تعالى بالمشروع:

ذكر الله تعالى عبادة من العبادات، ومصدر العبادات شرع الله تعالى - كتاباً وسنة -، فالأجر لا يترتب إلا على ذكر مشروع لا مبتدع، والوارد في ذلك فيه الكفاية التي تغني عن كل ذكر مبتدع.

قال شيخ الإسلام: "لا ريب أن الأذكار والدعوات من أفضل العبادات، والعبادات مبناها على التوقيف والاتباع، لا على الهوى والابتداع، فالأدعية والأذكار النبوية هي أفضل ما يتحراه المتحري من الذكر والدعاء، وسالكها

(1) رواه أحمد (22119)، والبخاري في الأدب المفرد (690)، وأبو داود (1522)، والنسائي (1304)، والبيهقي في الصغرى (18)، والطبراني في الكبير (110)، وابن حبان (2020)، وابن خزيمة (751)، والبزار (2661)، والحاكم (1010) **وقال:** "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ"، وقال النووي: "رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالنَّسَائِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ"، خلاصة الأحكام (1/468).



على سبيل أمان وسلامة، والفوائد والنتائج التي تحصل لا يعبر عنه لسان ولا يحيط به إنسان، وما سواها من الأذكار قد يكون محرماً، وقد يكون مكروهاً، وقد يكون فيه شرك، مما لا يهتدي إليه أكثر الناس، وهي جملة يطول تفصيلها. وليس لأحد أن يسن للناس نوعاً من الأذكار والأدعية غير المسنون ويجعلها عبادة راتبة يواظب الناس عليها كما يواظبون على الصلوات الخمس؛ بل هذا ابتداع دين لم يأذن الله به، بخلاف ما يدعو به المرء أحياناً من غير أن يجعله للناس سنة، فهذا إذا لم يعلم أنه يتضمن معنى محرماً لم يجز الجزم بتحريمه، لكن قد يكون فيه ذلك والإنسان لا يشعر به. وهذا كما أن الإنسان عند الضرورة يدعو بأدعية تفتح عليه ذلك الوقت فهذا وأمثاله قريب. وأما اتخاذ ورد غير شرعي واستئان ذكر غير شرعي فهذا مما ينهى عنه، ومع هذا ففي الأدعية الشرعية والأذكار الشرعية غاية المطالب الصحيحة، ونهاية المقاصد العلية، ولا يعدل عنها إلى غيرها من الأذكار المحدثّة المبتدعة إلا جاهل أو مفرط أو متعد⁽¹⁾.

قدوة صالحة:

1 - قال الجيلاني: "وقد نقل عن بعض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أنه كان يسبح في كل يوم اثني عشر ألف تسبيحة، وعن بعض التابعين أنه كان يسبح كل يوم ثلاثين ألفاً"⁽²⁾.

2 - وقال ابن الجوزي: "قال الخلدی: وبلغني عن الجنيد أنه كان في سوقه

(1) مجموع الفتاوى (22 / 510).

(2) الغنية لطالبي طريق الحق (2 / 102).



وكان ورده في كل يوم ثلاثمائة ركعة، وثلاثين ألف تسبيحة⁽¹⁾.

3- وقال ابن القيم: "وحضرت شيخ الإسلام ابن تيمية مرة صلى الفجر، ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار، ثم التفت إلي وقال: هذه غدوتي، ولو لم أتغد الغداء سقطت قوتي. أو كلاماً قريباً من هذا. وقال لي مرة: لا أترك الذكر إلا بنية إجمام نفسي وإراحته؛ لأستعد بتلك الراحة لذكر آخر. أو كلاماً هذا معناه"⁽²⁾.

4- وقال ابن رجب: "وكان لأبي هريرة خيطٌ فيه ألفا عقدة، فلا ينام حتى يُسَبِّحَ به، وكان خالد بن معدان يُسَبِّحُ كُلَّ يوم أربعين ألف تسبيحة، سوى ما يقرأ من القرآن، فلما مات وضع على سريره ليغسل، فجعل يُشير بأصبعه يُحركها بالتسبيح، وقيل لعمير بن هاني: ما نرى لسانك يفتُر، فكم تُسَبِّحُ كُلَّ يوم؟ قال: مئة ألف تسبيحة، إلا أن تُخطئ الأصابع، يعني أنه يَعُدُّ ذلك بأصابعه، وقال عبد العزيز بن أبي رَوَّاد: كانت عندنا امرأة بمكة تُسَبِّحُ كُلَّ يوم اثني عشرة ألف تسبيحة"⁽³⁾.

وقال أيضاً: "وكان بعضهم يسَبِّحُ كُلَّ يوم اثني عشر ألف تسبيحة بقدر دَيْتِهِ، كأنه قد قتل نفسه، فهو يَفْتِكُهَا بديتها"⁽⁴⁾.

(1) صفة الصفوة (1/ 518).

(2) الوابل الصيب، لابن القيم (ص: 63).

(3) جامع العلوم والحكم (3/ 1289).

(4) جامع العلوم والحكم (2/ 654).



الرجاء من الله تعالى

الرجاء نافذة أمل، ومِشعل ضياء في الطريق إلى الله تعالى، وطوق نجاة في بحر الحياة المتلاطم بالخطايا والبلايا، ولولاه لتقطعت النفس حشرات، كما قال ابن القيم: "ولولا روح الرجاء لعطلت عبودية القلب والجوارح، وهدمت صوامع، وبيع، وصلوات، ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا، بل لولا روح الرجاء لما تحركت الجوارح بالطاعة، ولولا ريحه الطيبة لما جرت سفن الأعمال في بحر الإرادات. **ولي من أبيات:**

لَوْ لَا التَّعَلُّقُ بِالرَّجَاءِ تَقَطَّعَتْ نَفْسُ الْمُحِبِّ تَحْسُرًا وَتَمَزُّقًا
وَكَذَلِكَ لَوْ لَا بَرْدُهُ بِحَرَارَةِ الْ- أَكْبَادِ ذَابَتْ بِالْحِجَابِ تَحَرُّقًا
أَيَكُونُ قَطُّ حَلِيفٌ حُبٌّ لَا يُرَى بِرَجَائِهِ لِحَبِيبِهِ مُتَعَلِّقًا؟!
أَمْ كُلَّمَا قَوِيَتْ مَحَبَّتُهُ لَهُ قَوِيَ الرَّجَاءُ فَزَادَ فِيهِ تَشَوُّقًا⁽¹⁾

والرجاء "ضروري للمريد السالك والعارف، لو فارقه لحظة لتلف أو كاد؛ فإنه دائر بين ذنب يرجو غفرانه، وعيب يرجو إصلاحه، وعمل صالح يرجو قبوله، واستقامة يرجو حصولها ودوامها، وقرب من الله ومنزلة عنده يرجو وصوله إليها، ولا ينفك أحد من السالكين عن هذه الأمور أو بعضها، فكيف

(1) مدارج السالكين (2 / 43).



يكون الرجاء من أضعف منازل له وهذا حاله؟⁽¹⁾.

وربنا تعالى من كرمه ورحمته وغناه يحب من عباده أن يرجوه؛ ليؤمنهم مما يخافونه.

تعريف الرجاء:

لغة: الرجاء: نقيض اليأس. **يقال:** رجاء يرجوه رجواً ورجاء ورجاوة ومرجاة ورجاة، وهمزته منقلبة عن واو بدليل ظهورها في رجاة. **ويقولون:** رجاء أن يكون ذاك ورجاء، وما آتيك إلا رجاة الخير: أي: رجاءه⁽²⁾.

اصطلاحاً: هو: الاستبشار بجود وفضل الرب تبارك وتعالى، والارتياح لمطالعة كرمه سبحانه⁽³⁾.

وقيل: هو النظر إلى سعة رحمة الله⁽⁴⁾.

وقيل: ترقب الانتفاع بما تقدم له سبب ما.

وقيل: تعلق القلب بحصول محبوب مستقبلاً.

وقيل: ظن يقتضي حصول ما فيه مسرة⁽⁵⁾.

(1) مدارج السالكين (2 / 43).

(2) ينظر: لسان العرب (14 / 309)، تهذيب اللغة (11 / 124)، المحكم والمحيط الأعظم (7 / 545).

(3) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (2 / 36).

(4) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (2 / 37).

(5) التوقيف على مهمات التعاريف (ص: 174).



أسباب الرجاء من الله :

ينشأ رجاء الإنسان بربه وبالفضل لديه عن أسباب، منها:

1- معرفة لطف الله وكرمه :

قال الغزالي: "وأما الرجاء فسببه: معرفة لطف الله عز وجل وكرمه وعميم إنعامه، ولطائف صنعه، ومعرفة صدقه في وعده الجنة بالصلاة، فإذا حصل اليقين بوعدده والمعرفة بلطفه انبعث من مجموعهما الرجاء لا محالة" (1).

و"من أسباب الرجاء ما هو من طريق الاعتبار، ومنها ما هو من طريق الأخبار: أما الاعتبار فهو أن يتأمل أصناف النعم، فإذا علم لطائف الله تعالى بعباده في الدنيا، وعجائب حكمته التي راعاها في فطرة الإنسان، وأن لطفه الإلهي لم يقصر عن عباده في دقائق مصالحهم في الدنيا، ولم يرض أن تفوتهم الزيادات في الرتبة، فكيف يرضى سياقتهم إلى الهلاك المؤبد؟! فإن من لطف في الدنيا يلطف في الآخرة؛ لأن مدبر الدارين واحد.

وأما استقراء الآيات والأخبار، فمن ذلك: قوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: 53]، وقال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى: 4].

وأخبر تعالى أنه أعد النار لأعدائه، وإنما خوف بها أوليائه، فقال: ﴿لَهُمْ مِنْ

(1) إحياء علوم الدين (1/161).



فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ ﴿الزمر: 16﴾.
وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: 131] "(1)".

2 - قوة المعرفة بالله وأسمائه وصفاته :

قال ابن القيم عن الرجاء: "وهو عبودية، وتعلق بالله من حيث اسمه المحسن البر، فذلك التعلق والتعبد بهذا الاسم والمعرفة بالله هو الذي أوجب للعبد الرجاء، من حيث يدري ومن حيث لا يدري، فقوة الرجاء على حسب قوة المعرفة بالله وأسمائه وصفاته، وغلبة رحمته غضبه" "(2)".

3 - محبة الله تعالى :

فعلى "حسب المحبة وقوتها يكون الرجاء، فكل محب راج خائف بالضرورة فهو أرجى ما يكون لحبيبه، أحب ما يكون إليه. وكذلك خوفه؛ فإنه يخاف سقوطه من عينيه، وطرد محبوبه له وإبعاده. واحتجابه عنه، فخوفه أشد خوف، ورجاؤه ذاتي للمحبة؛ فإنه يرحوه قبل لقائه والوصول إليه. فإذا لقيه ووصل إليه اشتد الرجاء له، لما يحصل له به من حياة روحه، ونعيم قلبه من ألطاف محبوبه، وبره وإقباله عليه، ونظره إليه بعين الرضا، وتأهيله في محبته، وغير ذلك مما لا حياة للمحب، ولا نعيم ولا فوز إلا بوصوله إليه من محبوبه. فرجاؤه أعظم رجاء، وأجله وأتمه. فتأمل هذا الموضع حق التأمل يطلعك على أسرار عظيمة من أسرار العبودية والمحبة. فكل محبة فهي مصحوبة بالخوف والرجاء، وعلى قدر تمكنها من قلب

(1) مختصر منهاج القاصدين (ص: 300).

(2) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (2 / 43).



المحب يشد خوفه ورجاؤه، لكن خوف المحب لا يصحبه وحشة، بخلاف خوف المسيء، ورجاء المحب لا يصحبه علة، بخلاف رجاء الأجير. وأين رجاء المحب من رجاء الأجير؟! وبينهما كما بين حالهما⁽¹⁾.

4- معرفة عظم غفران الله تعالى للذنوب مهما كثرت، ودعوته عباده إليه وترك

القنوط من رحمته :

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنُطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: 53].

قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "ما في القرآن آية أوسع من هذه الآية:

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنُطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾⁽²⁾.

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنِ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي)⁽³⁾.

(1) المرجع السابق.

(2) تفسير القرطبي (15 / 269).

(3) رواه أحمد (21505)، والترمذي (3540)، والطبراني في الصغير (820) والأوسط (5483)

والكبير (12346)، والدارمي (2830)، والبيهقي في الشعب (1011)، والبزار (6760)، قال

الهيثمي: "رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الثَّلَاثَةِ، وَفِيهِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ إِسْحَاقَ الصِّينِيِّ، وَفَيْسُ بْنُ الرَّبِيعِ،

وَكِلَاهُمَا مُخْتَلَفٌ فِيهِ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ رِجَالُ الصَّحِيحِ" مجمع الزوائد ومنبع الفوائد

(10 / 216)، وصححه الألباني.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ) (1).

5- كثرة الأعمال الصالحة التي تكفر الخطايا :

من صلاة وصدقة وصيام وحج وعمرة وإحسان وصبر عند البلاء، وغير ذلك، فلإنسان بها تعلق ورجاء لمحو الخطايا.

وهذا معلوم في الشريعة، وبابه واسع، وأدلته كثيرة.

6- التأمل في كون رحمة الله غلبت وسبقت غضبه :

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي، فَهُوَ مَكْتُوبٌ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ) (2). **وفي رواية:** (غَلَبَتْ غَضَبِي) (3).

7- النظر في كرم الله تعالى في مضاعفته الحسنات، وجزائه السيئة سيئة واحدة

فقط :

عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاؤُهُ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا،

(1) رواه مسلم (2749).

(2) رواه البخاري (7554)، ومسلم (2751).

(3) صحيح البخاري (3194).



وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً، وَمَنْ لَقِينِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً⁽¹⁾.

8- الخير الكثير الذي ينتظر من مات على التوحيد وترك الشرك وإن كان لديه ذنوب:

عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **ﷺ**: (مَنْ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ، وَابْنُ أُمِّتِهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ)⁽²⁾.

وعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ **ﷺ** يَقُولُ: (مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ النَّارَ)⁽³⁾.

9- كثرة رحمة الله يوم القيامة:

عن أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ **ﷺ** يَقُولُ: (إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ، فَأَمْسَكَ عَنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحْمَةً وَاحِدَةً، فَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ لَمْ يَيْئَسْ مِنَ الْجَنَّةِ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعَذَابِ لَمْ يَأْمَنْ مِنَ النَّارِ)⁽⁴⁾.

(1) رواه مسلم (2687).

(2) رواه البخاري (3435)، ومسلم (28).

(3) رواه مسلم (93)، ومثله في البخاري عن أبي ذر وابن مسعود.

(4) رواه البخاري (6469)، ومسلم (2752).

ولفظ مسلم: (إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ، فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ، وَبِهَا يَتَرَاحِمُونَ، وَبِهَا تَعْطِفُ الْوَحُشُ عَلَى وَلَدِهَا، وَأَخَّرَ اللَّهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

وعن صفوان بن محرز: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ ابْنَ عُمَرَ: كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي النَّجْوَى؟ قَالَ: (يَذْنُو أَحَدُكُمْ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ كَفَّهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولُ: عَمِلْتُ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، وَيَقُولُ: عَمِلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقْرُرُهُ، ثُمَّ يَقُولُ: إِنِّي سَتَرْتُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ⁽¹⁾).

الرجاء من الله تعالى غير الغرور بحلمه وعفوه:

الرجاء الصحيح هو الرجاء الذي يقوم على أسباب صحيحة توصل إلى البغية، وأما رجاء بغير ذلك فهو اغترار لا ينفع صاحبه، وبهذا قال أهل العلم والسلوك:

قال المحاسبي: "والراجون ثلاثة: رجل عمل حسنة وهو صادق في عملها، مخلص فيها يريد الله بها ويطلب ثوابه، فهو يرجو قبولها وثوابها، ومعه الإشفاق فيها، ورجل عمل سيئة ثم تاب منها إلى الله، فهو يرجو قبول توبته وثوابها ويرجو العفو عنها والمغفرة لها، ومعه الإشفاق ألا يعاقبه عليها، وأما الثالث فهو الرجل يتمادى في الذنوب وفيما لا يحبه لنفسه، ولا يحب أن يلقي الله به، ويرجو المغفرة من غير توبة، وهو مع ذلك غير تائب منها ولا مقلع عنها، وهو

(1) رواه البخاري (6070)، ومسلم (2768).



مع ذلك يرجو، فهذا يقال له: مفتر متعلق بالرجاء الكاذب والأمان الكاذبة والطمع الكاذب، والقيام على هذا يقطع مواد عظمة الله من قلب العبد، فيدوم إعراضه عنه ويأنس بجانب مكر الله، ويأمن تعجيل العقوبة، وهذا هو المفتري المخدوع المستدرج، وأما أمثالنا من الناس فينبغي أن يكون الخوف عندهم أكثر من الرجاء؛ لأن الرجاء الصادق إنما يكون على قدر العمل بالطاعات، والخوف على قدر الذنوب، فلو كان الرجاء يستقيم بلا عمل لكان المحسن والمسيء في الرجاء سواء⁽¹⁾.

وقال السمرقندي: "وروى مالك بن دينار رَحِمَهُ اللهُ، أنه قال: إذا عرف الرجل من نفسه علامة الخوف، وعلامة الرجاء فقد تمسك بالأمر الوثيق؛ أما علامة الخوف: فاجتناب ما نهى الله عنه، وأما علامة الرجاء، فالعمل بما أمر الله به. وقيل: للرجاء والخوف علامتان: فعلمة الرجاء عملك لله بما يرضى، وعلامة الخوف اجتنابك ما نهى الله عنه"⁽²⁾.

وقال الغزالي: "فأما من ينهمك فيما يكرهه الله تعالى ولا يذم نفسه عليه، ولا يعزم على التوبة والرجوع؛ فرجاءه المغفرة حمق؛ كرجاء من بث البذر في أرض سبخة وعزم على أن لا يتعهده بسقي ولا تنقية.

قال يحيى بن معاذ: من أعظم الاغترار عندي: التماادي في الذنوب مع رجاء العفو من غير ندامة، وتوقع القرب من الله تعالى بغير طاعة، وانتظار زرع الجنة

(1) آداب النفوس للمحاسبي (ص: 68).

(2) تنبيه الغافلين (ص: 388).



ببذر النار، وطلب دار المطيعين بالمعاصي، وانتظار الجزاء بغير عمل، والتمني على الله عز وجل مع الإفراط.

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجري على اليبس⁽¹⁾

وقال ابن القيم: "فمن كان رجاءه هاديًا له إلى الطاعة، زاجرًا له عن المعصية، فهو رجاء صحيح، ومن كانت بطالته رجاء، ورجاءه بطالة وتفريطًا، فهو المغرور. وسر المسألة: أن الرجاء وحسن الظن إنما يكون مع الإتيان بالأسباب التي اقتضتها حكمة الله في شرعه وقدره وثوابه وكرامته، فيأتي العبد بها ثم يحسن ظنه بربه، ويرجوه أن لا يكله إليها، وأن يجعلها موصلة إلى ما ينفعه، ويصرف ما يعارضها ويبطل أثرها. وهو سبحانه كما جعل الرجاء لأهل الأعمال الصالحة، فكذلك جعل الخوف لأهل الأعمال الصالحة، فعلم أن الرجاء والخوف النافع ما اقترن به العمل.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون: 57 - 61].

وقد روى الترمذي في جامعه عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سألت رسول الله

عن هذه الآية، فقلت: أهم الذين يشربون الخمر، ويزنون، ويسرقون؟

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ



فقال: (لا، يا ابنة الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون، ويخافون أن لا يتقبل منهم، أولئك يسارعون في الخيرات). وقد روي من حديث أبي هريرة أيضًا. والله سبحانه وصف أهل السعادة بالإحسان مع الخوف، ووصف الأشقياء بالإساءة مع الأمن⁽¹⁾.

وقال أيضًا: "والفرق بينه وبين التمني: أن التمني يكون مع الكسل، ولا يسلك بصاحبه طريق الجد والاجتهاد، والرجاء يكون مع بذل الجهد وحسن التوكل. فالأول: كحال من يتمنى أن يكون له أرض يبذر بها ويأخذ زرعها. والثاني: كحال من يشق أرضه ويفلحها ويبذر بها، ويرجو طلوع الزرع؛ ولهذا أجمع العارفون على أن الرجاء لا يصح إلا مع العمل؛ قال شاه الكرمانى: علامة صحة الرجاء: حسن الطاعة.

والرجاء ثلاثة أنواع: نوعان محمودان، ونوع غرور مذموم.

فالأولان: رجاء رجل عمل بطاعة الله على نور من الله، فهو راج لثوابه، ورجل أذنب ذنباً ثم تاب منها، فهو راج لمغفرة الله تعالى وعفوه وإحسانه وجوده وحلمه وكرمه.

والثالث: رجل متماد في التفريط والخطايا، يرجو رحمة الله بلا عمل، فهذا هو الغرور والتمني والرجاء الكاذب⁽²⁾.

(1) الجواب الكافي (ص: 38).

(2) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (2/ 37).



وقال ابن حجر: "والمقصود من الرجاء: أن من وقع منه تقصير فليحسن ظنه بالله، ويرجو أن يمحو عنه ذنبه، وكذا من وقع منه طاعة يرجو قبولها، وأما من انهمك على المعصية راجياً عدم المؤاخذه بغير ندم ولا إقلاع فهذا في غرور. وما أحسن قول أبي عثمان الجيزي: من علامة السعادة: أن تطيع وتخاف أن لا تقبل، ومن علامة الشقاء: أن تعصي وترجو أن تنجو"⁽¹⁾.

الجمع بين الرجاء والخوف:

على السائر إلى الله تعالى أن يجمع بين الرجاء والخوف؛ لأن باجتماعها يعتدل السير ويصل السائر إلى غاية النجاة بسلام.

قال الحسن البصري: "الرجاء والخوف مطيئتا المؤمن"⁽²⁾.

وقال الغزالي: "إن الرجاء والخوف جناحان بهما يطير المقربون إلى كل مقام محمود، ومطيئتان بهما يقطع من طرق الآخرة كل عقبة كؤود"⁽³⁾.

وقال أبو علي الروذباري: الخوف والرجاء كجناحي الطائر إذا استويا استوى الطير وتم طيرانه، وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص، وإذا ذهب صار الطائر في حد الموت"⁽⁴⁾.

(1) فتح الباري لابن حجر (301 / 11).

(2) الزهد، لابن حنبل (ص: 265).

(3) إحياء علوم الدين، للغزالي (142 / 4).

(4) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (37 / 2).



غير أنه يحسن في بعض الأحوال تغليب الخوف، وفي بعضها الآخر تغليب الرجاء؛ فمتى كان الإنسان في لجج المعاصي والغفلة فتغليب الخوف في حقه أولى، ومتى كان على الطريق وحضره الموت فتغليب الرجاء أفضل، قال الفضيل بن عياض: "الخوف أفضل من الرجاء ما كان الرجل صحيحًا، فإذا نزل الموت فالرجاء أفضل" (1).

وقال ابن الجوزي: "فالخوف للنفس سائق، والرجاء لها قائد، إن وُت على قائدها حثها سائقها، وإن أبت على سائقها حركها قائدها" (2).

وقال النووي: "اعلم أن المختار للعبد في حال صحته أن يكون خائفًا راجيًا، ويكون خوفه ورجاؤه سواء، وفي حال المرض يمحض الرجاء، وقواعد الشرع من نصوص الكتاب والسنة وغير ذلك متظاهرة على ذلك" (3).

وقال ابن القيم: "القلب في سيره إلى الله عز وجل بمنزلة الطائر، فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه، فمتى سلم الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران، ومتى قطع الرأس مات الطائر، ومتى فقد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر، ولكن السلف استحبوا أن يقوى في الصحة جناح الخوف على جناح الرجاء، وعند الخروج من الدنيا يقوى جناح الرجاء على جناح الخوف. هذه طريقة أبي سليمان وغيره، قال: ينبغي للقلب أن يكون الغالب عليه

(1) التخويف من النار، لابن رجب (7).

(2) مواعظ ابن الجوزي (ص: 11).

(3) رياض الصالحين (ص: 157).

الخوف، فإن غلب عليه الرجاء فسد.

وقال غيره: أكمل الأحوال: اعتدال الرجاء والخوف، وغلبة الحب، فالمحبة هي المركب، والرجاء حاد، والخوف سائق، والله الموصول بمنه وكرمه "(1).

واختار بعض العلماء قولاً آخر؛ قال ابن حجر: "وأما عند الإشراف على الموت فاستحب قوم الاقتصار على الرجاء؛ لما يتضمن من الافتقار إلى الله تعالى، ولأن المحذور من ترك الخوف قد تعذر فيتعين حسن الظن بالله برجاء عفوه ومغفرته. ويؤيده حديث: (لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله) وقال آخرون: لا يهمل جانب الخوف أصلاً بحيث يجزم بأنه آمن، ويؤيده: ما أخرج الترمذي عن أنس أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو في الموت فقال له: (كيف تجدك؟) فقال: أرجو الله وأخاف ذنوبي. فقال رسول الله ﷺ: (لا يجتمعان في قلب عبد في هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو، وآمنه مما يخاف). ولعل البخاري أشار إليه في الترجمة، ولما لم يوافق شرطه أورد ما يؤخذ منه، وإن لم يكن مساوياً له في التصريح بالمقصود "(2).

قال المزني: "دخلت على الشافعي في مرضه الذي مات فيه، فقلت: يا أبا عبد الله، كيف أصبحت؟ فرفع رأسه وقال: أصبحت من الدنيا راحلاً، ولإخواني مفارقاً، ولسوء عملي مُلاقياً، وعلى الله وارداً، ما أدري روعي تصير إلى الجنة

(1) مدارج السالكين (1/ 513).

(2) فتح الباري لابن حجر (11/ 301).



فأهنتها، أو إلى نارٍ فأعزيتها، ثم بكى **وَأَنْشَأَ يَقُولُ:**

ولما قسا قلبي وضافت مذهبِي جعلتُ رجائي دون عَفْوِكَ سُلْمًا
تعاظمني ذنبي فلمّا قرئتُهُ بعفوك ربّي كان عفوك أعظمًا
فما زلت ذا عَفْوٍ عَنِ الذَّنْبِ لم تَزَلْ تجود وتعفو منّةً وتكرما⁽¹⁾

ثمرات الرجاء:

من ذلك:

ما ذكره الغزالي واختصره ابن الجوزي وابن قدامة، فقال ابن قدامة: "واعلم: أن الرجاء محمود؛ لأنه باعث على العمل، واليأس مذموم؛ لأنه صارف عن العمل؛ إذ من عرف أن الأرض سبخة، وأن الماء مغور، وأن البذر لا ينبت؛ ترك تفقد الأرض، ولم يتعب في تعاهدها... وحال الرجاء يورث طريق المجاهدة بالأعمال، والمواظبة على الطاعات كيفما تقلبت الأحوال، ومن آثاره: التلذذ بدوام الإقبال على الله عز وجل، والتنعم بمناجاته، والتلطف في التملق له؛ فإن هذه الأحوال لا بد أن تظهر على كل من يرجو ملكاً من الملوك، أو شخصاً من الأشخاص، فكيف لا يظهر ذلك في حق الله سبحانه وتعالى؟ فمتى لم يظهر استدلل به على حرمان مقام الرجاء، فمن رجا أن يكون مراداً بالخير من غير هذه العلامات فهو مغرور"⁽²⁾.

(1) تاريخ الإسلام (5/ 171).

(2) مختصر منهاج القاصدين (ص: 299).

وما ذكره ابن القيم فقال -ذاكراً ثمرات الرجاء-: "منها: إظهار العبودية والفاقة، والحاجة إلى ما يرجوه من ربه، ويستشرفه من إحسانه، وأنه لا يستغني عن فضله وإحسانه طرفة عين، ومنها: أنه سبحانه يحب من عباده أن يؤملوه ويرجوه، ويسأله من فضله؛ لأنه الملك الحق الجواد، أجود من سئل، وأوسع من أعطى. وأحب ما إلى الجواد أن يرجى ويؤمل ويسأل، وفي الحديث: (من لم يسأل الله يغضب عليه) والسائل راجٍ وطالب، فمن لم يرج الله يغضب عليه. فهذه فائدة أخرى من فوائد الرجاء، وهي التخلص به من غضب الله، ومنها: أن الرجاء حادٍ يحدو به في سيره إلى الله، ويطيّب له المسير، ويحثه عليه، ويبعثه على ملازمته، فلولا الرجاء لما سار أحد؛ فإن الخوف وحده لا يحرك العبد، وإنما يحركه الحب، ويزعجه الخوف، ويحدوه الرجاء، ومنها: أن الرجاء يطرحه على عتبة المحبة، ويلقيه في دهليزها؛ فإنه كلما اشتد رجاءه وحصل له ما يرجوه ازداد حباً لله تعالى، وشكراً له، ورضاً به وعنه.

ومنها: أنه يبعثه على أعلى المقامات، وهو مقام الشكر، الذي هو خلاصة العبودية؛ فإنه إذا حصل له رجوه كان أدعى لشكره، ومنها: أنه يوجب له المزيد من معرفة الله وأسمائه ومعانيها، والتعلق بها؛ فإن الراجي متعلق بأسمائه الحسنی، متعبد بها، داع بها. قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: 180] فلا ينبغي أن يعطل دعاؤه بأسمائه الحسنی التي هي أعظم ما يدعو بها الداعي...

ومنها: أن المحبة لا تنفك عن الرجاء فكل واحد منهما يمد الآخر ويقويه.



ومنها: أن الخوف مستلزم للرجاء، والرجاء مستلزم للخوف، فكل راج خائف، وكل خائف راج؛ ولأجل هذا حسن وقوع الرجاء في موضع يحسن فيه وقوع الخوف، قال الله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: 13] قال كثير من المفسرين: المعنى: ما لكم لا تخافون لله عظمة؟ قالوا: والرجاء بمعنى الخوف.

والتحقيق: أنه ملازم له، فكل راج خائف من فوات مرجوه، والخوف بلا رجاء يأس وقنوط، وقال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ [الجاثية: 14] قالوا في تفسيرها: لا يخافون وقائع الله بهم، كوقائعه بمن قبلهم من الأمم.

ومنها: أن العبد إذا تعلق قلبه برجاء ربه، فأعطاه ما رجاه، كان ذلك ألطف موقعاً، وأحلى عند العبد. وأبلغ من حصول ما لم يرجه، وهذا أحد الأسباب والحكم في جعل المؤمنين بين الرجاء والخوف في هذه الدار، فعلى قدر رجائهم وخوفهم يكون فرحهم في القيامة بحصول مرجوهم واندفاع مخوفهم.

ومنها: أن الله سبحانه وتعالى يريد من عبده تكميل مراتب عبوديته من الذل والانكسار، والتوكل والاستعانة، والخوف والرجاء، والصبر والشكر، والرضا والإنابة وغيرها؛ ولهذا قدر عليه الذنب وابتلاه به لتكمل مراتب عبوديته بالتوبة التي هي من أحب عبوديات عبده إليه، فكذلك تكميلها بالرجاء والخوف.

ومنها: أن في الرجاء - من الانتظار والترقب والتوقع لفضل الله - ما يوجب تعلق القلب بذكره ودوام الالتفات إليه بملاحظة أسمائه وصفاته، وتنقل القلب

في رياضها الأنيقة، وأخذه بنصيبه من كل اسم وصفة فإذا فني عن ذلك وعاب عنه فاته حظه ونصيبه من معاني هذه الأسماء والصفات ⁽¹⁾.

قدوة صالحة:

1- **روي** عن الفضيل أنه نظر إلى تسبيح الناس وبكائهم عشية عرفة فقال: أرايتم لو أن هؤلاء ساروا إلى رجل فسألوا دانقاً - يعني سدس درهم - أكان يردهم؟ قالوا: لا. قال: والله للمغفرة عند الله أهون من إجابة رجل لهم بدانق.

وَأَنَا لَأَتِي الذَّنْبَ أَعْرِفُ قَدْرَهُ وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ وَيَغْفِرُ
لِمَنْ عَظَّمَ النَّاسُ الذُّنُوبَ فَإِنَّهَا وَإِنْ عَظُمَتْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ تَصْغُرُ ⁽²⁾

قال يحيى بن عمرو بن مالك النكري: "سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: كَانَ أَبُو الْجَوَزَاءِ يَقُولُ: "لَوْ أَنَّ أَنَا، مِنْ فَتَاهَا كُفُّمْ وَأَغْنِيَاكُمْ انْطَلَقُوا إِلَى رَجُلٍ فَقِيهِ غَنِيٍّ فَسَأَلُوهُ كُوزًا مِنْ مَاءٍ أَكَانَ يُعْطِيهِمْ؟ قَالُوا: يَا أَبَا الْجَوَزَاءِ، وَمَنْ يَمْنَعُ كُوزًا مِنْ مَاءٍ؟! قَالَ أَبُو الْجَوَزَاءِ: وَاللَّهِ أَجُودُ بِجَنَّتِهِ مِنْ ذَلِكَ الرَّجُلِ بِذَلِكَ الْكُوزِ مِنْ مَاءٍ" ⁽³⁾.

2- قال مُعَاذُ بْنُ مُعَاذٍ: "مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَعْظَمَ رَجَاءً لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ مِنْ ابْنِ عَوْنٍ؛ لَقَدْ ذَكَرَ لَهُ الْحَجَّاجُ وَأَنَا شَاهِدٌ، فَقِيلَ: إِنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ تَسْتَغْفِرُ لِلْحَجَّاجِ، فَقَالَ: مَا لِي لَا أَسْتَغْفِرُ لِلْحَجَّاجِ مِنْ بَيْنِ النَّاسِ وَمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَمَا كُنْتُ أَبَالِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهُ السَّاعَةَ، قَالَ مُعَاذٌ: وَكَانَ إِذَا ذَكَرَ عِنْدَهُ الرَّجُلُ بَعْيبٌ،

(1) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (2/ 50) وما بعدها.

(2) لطائف المعارف لابن رجب (ص: 287).

(3) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (3/ 79).



قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَحِيمٌ⁽¹⁾.

3- عن مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيِّ، قَالَ: "سَمِعْتُ بَعْضَ أَصْحَابِنَا يَقُولُ: عَادَ حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ فَقَالَ سُفْيَانُ: يَا أَبَا سَلَمَةَ أَتُرَى يَغْفِرُ اللَّهُ لِمِثْلِي؟ فَقَالَ حَمَّادُ: وَاللَّهِ لَوْ خَيْرْتُ بَيْنَ مُحَاسِبَةِ اللَّهِ إِيَّايَ وَبَيْنَ مُحَاسِبَةِ أَبِيي لَأَخْتَرْتُ مُحَاسِبَةَ اللَّهِ عَلَى مُحَاسِبَةِ أَبِيي؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَرْحَمُ بِي مِنْ أَبِيي"⁽²⁾.

4- عَنْ إِدْرِيسَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَرْوَزِيِّ قَالَ: "مَرِضَ أَعْرَابِيٌّ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّكَ تَمُوتُ. قَالَ: إِلَى أَيْنَ يَذْهَبُ بِي؟ قَالَ: إِلَى اللَّهِ. قَالَ: فَمَا كَرَاهَتِي أَنْ أَذْهَبَ إِلَى مَنْ لَا أَرَى الْخَيْرَ إِلَّا مِنْهُ؟"⁽³⁾.

5- قَالَ أَحْمَدُ بْنُ الْعَبَّاسِ النَّمَرِيُّ:

وَإِنِّي لَأَرْجُو اللَّهَ حَتَّى كَأَنِّي أَرَى بِجَمِيلِ الظَّنِّ مَا اللَّهُ صَانِعٌ⁽⁴⁾

6- وَيُرْوَى عَنْ الْحَسَنِ بْنِ اللَّيْثِ قَالَ: "رَأَيْتُ مُحَمَّدَ بْنَ مُحَمَّدٍ الرَّازِيَّ فِي الْمَنَامِ فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ؟ قَالَ: غَفَرَ لِي. قُلْتُ: بِمَ؟ قَالَ: بِرَجَائِي لَهُ مُنْذُ ثَمَانِينَ سَنَةً"⁽⁵⁾.

(1) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (3/ 41).

(2) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (6/ 251).

(3) المحتضرين لابن أبي الدنيا (ص: 38).

(4) حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا (ص: 100).

(5) العاقبة في ذكر الموت (ص: 146).



إن نعم الله على عباده أكثر من أن تحصى وأكبر من أن تعد، وأوسع من أن يحيط بها أحد، غير الله تعالى، قال الله سبحانه: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: 34].

هذه النعم الكثيرة منها نعمٌ ظاهرة مشاهدة بالعيون، أو مسموعة بالأذان، أو مشهودة بغيرهما من الجوارح، ونعم علوية، ونعم سفلية، ونعم دينية، ونعم دنيوية، ومنها نعم باطنة يدرك بعضها بالتأمل والتفكر، ومنها نعم لا تدرك. قال الله: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: 18].

فكم لله من نعمة على العبد تقيه المكروه، أو تجلب له المحبوب، وربما يصبح ويمسي ولا يدرك ذلك! فمن الشر أن يكون الإنسان في نعمة لله، ولكنه لا يشكره عليها.

قال الشاعر:

وَكَمْ مِنْ مُدْخِلٍ لَوْ مُتَّ فِيهِ	لَكُنْتُ بِهِ نَكَالًا فِي الْعَشِيرَةِ
وُقِيَْتُ السُّوءَ وَالْمَكْرُوهَ فِيهِ	وَرُحْتُ بِنِعْمَةٍ فِيهِ سَتِيرَةٍ
وَكَمْ مِنْ نِعْمَةٍ لِلَّهِ تُمَسِّي	وَتُصْبِحُ لَيْسَ تَعْرِفُهَا كَيْرَةً ⁽¹⁾

(1) الشكر لابن أبي الدنيا (ص: 43).



غير أن النفس البشرية تحدّق في المصائب فتذكرها، وتناسي النعم التي تشملها، إلا ما رحم ربي.

وهذا يدخل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات: 6]، قال الحسن البصري في معناه: "يُعَدُّ الْمَصَائِبَ، وَيَنْسَى النِّعَمَ" (1).

وكما قال الشاعر:

يَا أَيُّهَا الظَّالِمُ فِي فِعْلِهِ وَالظُّلْمُ مَرْدُودٌ عَلَى مَنْ ظَلَمَ
إِلَى مَتَى أَنْتَ وَحَتَّى مَتَى تَشْكُو الْمُصِيبَاتِ وَتَنْسَى النِّعَمَ؟ (2)

"جاء رجل إلى يونس بن عبيد يشكو ضيق حاله، فقال له يونس: أيسرك بصرك هذا الذي تبصر به مائة ألف درهم؟ قال: الرجل لا، قال: فيديك مائة ألف؟ قال الرجل: لا، قال: فبرجليك؟ قال الرجل: لا، قال: فذكره بنعم الله عليه. وقال يونس: أرى عندك مئين ألوف وأنت تشكو الحاجة!" (3).

أما المؤمن فإنه يعيش في هذه الحياة بين نعمة يشكرها، وبليّة يصبر عليها، وهو مأجور في حالتيه كليهما، كما قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (عَجَبًا لِمُرِّ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ) (4).

(1) الشكر لابن أبي الدنيا (ص: 25).

(2) الشكر لابن أبي الدنيا (ص: 25).

(3) الشكر لابن أبي الدنيا (ص: 36).

(4) رواه مسلم (2999).

ولما كان الشكر خلقاً عظيماً، ونعتاً كريماً؛ فقد كان من صفات الله تعالى، واشتق له منها اسمي: الشاكر والشكور، قال تعالى: ﴿لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: 30]، وقال: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: 147].

ومعنى الشكور في أسماء الله: أنه الذي يجازي بيسير الطاعات كثير الدرجات، ويعطي بالعمل في أيام معدودة نعيماً في الآخرة غير محدود؛ كقوله سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: 34]. **ومعنى الشكر المضاف إليه:** الرضى بيسير الطاعة من العبد والقبول له. وإعظام الثواب عليه، والله أعلم.

وقد يحتمل أن يكون معنى الثناء على الله جل وعز بالشكور: ترغيب الخلق في الطاعة قلت أو كثرت؛ لئلا يستقلوا القليل من العمل فلا يتركوا اليسير من جملته إذا أعوزهم الكثير منه⁽¹⁾.

"فلما كان الله عز وجل يجازي عباده على أفعالهم ويثيبهم على أقل القليل منها، ولا يضيع لديه تبارك وتعالى لهم عمل عامل كان شاكراً لذلك لهم أي: مقابلاً له بالجزاء والثواب؛ لأن من لم يشكر من الآدميين فعل المنعم عليه فقد كفر. والله عز وجل تتضاعف لديه الحسنات، ولا يضيع عنده أجر العاملين"⁽²⁾.

(1) ينظر: المقصد الأسنى (ص: 105)، شأن الدعاء (1/ 65).

(2) اشتقاق أسماء الله (ص: 87).



تعريف شكر الله تعالى :

لغة :

الشُّكْرُ: تصوّر النعمة وإظهارها، **قيل:** وهو مقلوب عن الكشر، أي: الكشف، ويضادّه الكفر **وهو:** نسيان النعمة وسترها، **ودابة شكور:** مظهرة بسمنها إسداء صاحبها إليها، **وقيل:** أصله من عين شكرى، **أي:** ممتلئة، فالشُّكْرُ على هذا هو الامتلاء من ذكر المنعم عليه⁽¹⁾.

اصطلاحاً :

قال ابن القيم: "هو: ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده: ثناء واعترافاً، وعلى قلبه: شهوداً ومحبة، وعلى جوارحه: انقياداً وطاعة"⁽²⁾.

وقال الزجاجي: "ومعنى شكر العباد لله عز وجل هو: كما ذكرنا من الآدميين: اعترافهم بطّوله عز وجل، وإنعامه ومقابلة ذلك بالإقرار والخضوع والطاعة له"⁽³⁾.

الفرق بين الشكر والحمد :

قال الفيروزآبادي: "الشكر أعمّ من جهة أنواعه وأسبابه، وأخصّ من جهة متعلّقاته فيه، والحمد أعمّ من جهة المتعلّقات، وأخصّ من جهة الأسباب.

(1) المفردات في غريب القرآن (ص: 461).

(2) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (2/ 234).

(3) اشتقاق أسماء الله (ص: 87).

ومعنى هذا: أنَّ الشكر يكون بالقلب خضوعاً واستكانة، وباللسان ثناءً واعترافاً، وبالجوارح طاعة وانقياداً؛ ومتعلِّقُهُ النِّعم دون الأوصاف الذاتية، فلا يقال: شكرنا الله على حياته وسمعه وبصره وعلمه، وهو المحمود بها، كما هو محمود على إحسانه وعدله. والشكر يكون على الإحسان والنِّعم. فكلُّ ما يتعلَّق به الشكر يتعلَّق به الحمد من غير عكس. وكل ما يقع به الحمد يقع به الشكر من غير عكس؛ فإنَّ الشكر يقع بالجوارح، والحمد باللسان⁽¹⁾.

وقال الكفوي: "والشكر اللغوي كالحمد اللغوي في أنهما وصف باللسان بإزاء النعمة، إلا أنَّ الحمد يكون باللسان بإزاء الشجاعة، بخلاف الشكر، والنعمة مقيدة في الشكر بوصولها إلى الشاكر، بخلافها في الحمد، ويختص الشكر بالله تعالى، بخلاف الحمد، قال بعضهم: ما يرجع إلى الجناب المقدس الإلهي من ثناء الثقلين إما أن يكون بالنظر إلى ما هو عليه، أو بالنظر إلى ما هو منه، والثاني يسمى شكراً"⁽²⁾.

وقال السمين الحلبي: "بين الحمد والشكر عمومٌ وخصوصٌ من وجهٍ. وقيل: الحمدُ هو الشكرُ بدليل قولهم: "الحمدُ لله شكراً"، وقيل: بينهما عمومٌ وخصوصٌ مطلقٌ، والحمدُ أعمُّ من الشكرِ، وقيل: الحمدُ: الثناءُ عليه تعالى بأوصافه، والشكرُ: الثناءُ عليه بأفعاله، فالحامدُ قسمان: شاكرٌ ومُثنٍ بالصفات الجميلة"⁽³⁾.

(1) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (3/ 340).

(2) الكليات (ص: 535).

(3) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (1/ 36).



وقال الثعلبي: "فالحمد: الثناء عليه بما هو به، والشكر: الثناء عليه بما هو منه. وقد يوضع الحمد موضع الشكر، فيقال: حمدته على معرفته عندي، كما يقال: شكرته، ولا يوضع الشكر موضع الحمد، فلا يقال: شكرته على علمه وحلمه. والحمد أعم من الشكر؛ لذلك ذكره الله فأمر به" (1).

وقال البقاعي: "الحمد قد يترتب على الفضائل المجردة، والشكر قد يختص بالفواضل، فينفرد الحمد من هذه الجهة، وينفرد الشكر بالفعل الظاهر والاعتقاد الباطن على الفواضل من غير قول، ويجتمعان في الوصف الجناني واللساني على الفواضل" (2).

العلاقة بين الشكر والصبر:

الصبر محتاج إلى الشكر، والشكر محتاج إلى الصبر، وبينهما تلازم. فقد "يكون صبر الغنى أكمل من صبر الفقير، كما قد يكون شكر الفقير أكمل، فأفضلهما أعظمهما شكراً وصبراً، فإن فضل أحدهما في ذلك فضل صاحبه.

فالشكر مستلزم للصبر لا يتم إلا به، والصبر مستلزم للشكر لا يتم إلا به، فمتى ذهب الشكر ذهب الصبر، ومتى ذهب الصبر ذهب الشكر، وإن كان في بلية ففرضها الصبر والشكر أيضاً: أما الصبر فظاهر، وأما الشكر فللقيام بحق

(1) تفسير الثعلبي (1/ 108).

(2) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (15/ 432).



الله عليه في تلك البلية؛ فإن الله على العبد عبودية في البلاء كما له عليه عبودية في النعماء، وعليه أن يقوم بعبوديته في هذا وهذا، فعلم أنه لا انفكاك له عن الصبر، ما دام سائراً إلى الله⁽¹⁾.

وأما مسألة: أيهما أفضل: الغني الشاكر، أم الفقير الصابر؟ فقد تحدث عنها العلماء كثيراً، وألفوا في هذه المسألة، وكل ينتصر لرأيه بما يحشد من الأدلة، وقد بوب ابن القيم لها في "عدة الصابرين" باباً خاصاً وأطال النفس فيها، ونقل عن شيخ الإسلام الكلام عنها⁽²⁾.

وقد ذكر عن شيخ الإسلام في "بدائع الفوائد" القول مختصراً فقال: "وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن مسائل عديدة من مسائل التفضيل فأجاب فيها بالتفصيل الشافي فمنها: أنه سئل عن تفضيل الغني الشاكر على الفقير الصابر أو العكس؟ فأجاب بما يشفي الصدور فقال: "أفضلهما أتقاهما الله تعالى، فإن استويا في التقوى استويا في الدرجة"⁽³⁾.

أهمية شكر الله تعالى:

من أحسن من تحدث عن ذلك ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ**، فقد قال: "ومقام الشكر جامع لجميع مقامات الإيمان؛ ولذلك كان أرفعها وأعلاها، وهو فوق الرضا وهو يتضمن الصبر من غير عكس، ويتضمن التوكل والإنابة والحب والإخبات

(1) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: 265).

(2) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: 175-271).

(3) بدائع الفوائد (3/ 162).



والخشوع والرجاء فجميع المقامات مندرجة فيه، لا يستحق صاحبه اسمه على الإطلاق إلا باستجماع المقامات له؛ ولهذا كان الإيمان نصفين: نصف صبر، ونصف شكر، والصبر داخل في الشكر، فرجع الإيمان كله شكرًا، والشاكرون هم أقل العباد، كما قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: 13] (1).

وقال أيضًا: "منزلة الشكر، وهي من أعلى المنازل، وهي فوق منزلة الرضا وزيادة، فالرضا مندرج في الشكر؛ إذ يستحيل وجود الشكر بدونه. وهو نصف الإيمان - كما تقدم - والإيمان نصفان: نصف شكر. ونصف صبر.

وقد أمر الله به، ونهى عن ضده، وأثنى على أهله، ووصف به خواص خلقه، وجعله غاية خلقه وأمره، ووعد أهله بأحسن جزائه، وجعله سببًا للمزيد من فضله، وحارسًا وحافظًا لنعمته، وأخبر أن أهله هم المنتفعون بآياته، واشتق لهم اسمًا من أسمائه؛ فإنه سبحانه هو الشكور، وهو يوصل الشاكر إلى مشكوره، بل يعيد الشاكر مشكورًا، وهو غاية الرب من عبده، وأهله هم القليل من عباده. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ إِنَّ كُنتُمْ لِعِيَاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [النحل: 114]، وَقَالَ ﴿وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ﴾ [البقرة: 152]، وَقَالَ عَنْ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ﴾ [النحل: 120-121]، وَقَالَ عَنْ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: 3] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ

(1) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (1/ 157).

السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفِيدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿[النحل: 78]، وَقَالَ تَعَالَى:

﴿وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: 17]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَسَيَجْزِي

اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: 144]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ

لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: 7] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ

لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: 5]، وَسَمَّى نَفْسَهُ شَاكِرًا وَشَكُورًا، وَسَمَّى

الشَّاكِرِينَ بِهَذَيْنِ الْأَسْمَيْنِ، فَأَعْطَاهُمْ مِنْ وَصْفِهِ، وَسَمَّاهُمْ بِاسْمِهِ، وَحَسْبُكَ بِهَذَا

مَحَبَّةً لِلشَّاكِرِينَ وَفَضْلًا. وَإِعَادَتُهُ لِلشَّاكِرِ مَشْكُورًا كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ

جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإنسان: 22]، وَرِضَا الرَّبِّ عَنْ عَبْدِهِ بِهِ كَقَوْلِهِ:

﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: 7]، وَقَلَّةُ أَهْلِهِ فِي الْعَالَمِينَ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ هُمْ

خَوَاصُّهُ كَقَوْلِهِ: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: 13] وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ

النَّبِيِّ ﷺ (أَنَّهُ قَامَ حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ. فَقِيلَ لَهُ: تَفْعَلْ هَذَا وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا

تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ فَقَالَ: أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟) (1).

وقد فصل ابن القيم هذا أكثر مما ذكر هنا في كتابه "عدة الصابرين" (2).

مظاهر شكر الله تعالى:

إن شكر الله تعالى على نعمه له مظاهر عديدة، وبذلك يكون الشكر، فليس محصوراً في مظهر واحد فقط، فمن تلك المظاهر:

(1) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (2/ 232).

(2) ينظر: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: 116-119).



1- أللهج بذكر النعمة:

قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: 11].

قال ابن القيم: "وفي هذا التحديث المأمور به قولان:

أحدهما: أنه ذكر النعمة، والإخبار بها. وقوله: أنعم الله علي بكذا وكذا. قال مقاتل: يعني: اشكر ما ذكر من النعم عليك في هذه السورة: من جبر اليتيم، والهدى بعد الضلال، والإغناء بعد العيلة.

والتحدث بنعمة الله شكر؛ كما في حديث جابر مرفوعاً: (من صنع إليه معروف فليجز به، فإن لم يجد ما يجزي به فليش؛ فإنه إذا أثنى عليه فقد شكره، وإن كتمه فقد كفره، ومن تحلى بما لم يعط كان كلابس ثوبي زور).

فذكر أقسام الخلق الثلاثة: شاكر النعمة المشني بها، والجاحد لها والكاتم لها، والمظهر أنه من أهلها، وليس من أهلها، فهو متحل بما لم يعطه.... والقول الثاني: أن التحدث بالنعمة المأمور به في هذه الآية: هو الدعوة إلى الله، وتبليغ رسالته، وتعليم الأمة. قال مجاهد: هي النبوة. قال الزجاج: أي: بلغ ما أرسلت به، وحدث بالنبوة التي آتاك الله. وقال الكلبي: هو القرآن. أمره أن يقرأه.

والصواب: أنه يعم النوعين؛ إذ كل منهما نعمة مأمور بشكرها والتحدث بها، وإظهارها من شكرها⁽¹⁾.

وقال أيضاً: "وقال الحسن: "أكثرُوا من ذكر هذه النعم؛ فإن ذكرها شكر"

(1) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (2/ 238).

وقد أمر الله تعالى نبيه أن يحدث بنعمة ربه فقال: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: 11] والله تعالى يحب من عبده أن يرى عليه أثر نعمته؛ فإن ذلك شكرها بلسان الحال "(1).

وعن عبد الله بن سلام: "أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: يَا رَبِّ، مَا الشُّكْرُ الَّذِي يَنْبَغِي لَكَ؟ قَالَ: يَا مُوسَى، لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِي" (2).

قال الشاعر:

عَلَامَةُ شُكْرِ الْمَرْءِ إِعْلَانُ شُكْرِهِ وَمَنْ شَكَرَ الْمَعْرُوفَ مِنْهُ فَمَا كَفَرُ (3)

عن عبد الله بن غنّام البياضي، أن رسول الله ﷺ قال: (من قال حين يُصبح: اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْكَ وَحَدَّكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، فَلَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ؛ فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ يَوْمِهِ، وَمَنْ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ حِينَ يُمْسِي فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ لَيْلَتِهِ) (4).

2- ظهور أثر النعمة على الإنسان:

فعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ

(1) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: 120).

(2) الشكر لابن أبي الدنيا (ص: 18).

(3) فضيلة الشكر لله على نعمته (ص: 63).

(4) رواه أبو داود (5073)، وابن حبان (861)، والنسائي في الكبرى (9750)، والبيهقي في الشعب

(4059)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (41)، والطبراني في الدعاء (306)، وصححه ابن حبان

وجيّد النووي في الأذكار (ص: 79)، وضعفه الألباني وحسنه الأرناؤوط.



يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ⁽¹⁾.

وقال أبو رجاء العطاردي: خَرَجَ عَلَيْنَا عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ وَعَلَيْهِ مِطْرَفٌ مِنْ خَزٍّ لَمْ تَرَهُ عَلَيْهِ قَبْلَ ذَلِكَ وَلَا بَعْدَهُ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (مَنْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ نِعْمَةً، فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى خَلْقِهِ)⁽²⁾.

وعن أبي الأحوص عوف بن مالك بن نضلة عن أبيه قال: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا قَشِيفُ الْهَيْئَةِ، فَقَالَ: (هَلْ لَكَ مِنْ مَالٍ؟) فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: (مِنْ أَيِّ مَالٍ؟) قُلْتُ: مِنْ كُلِّ قَدْ آتَانِي اللَّهُ مِنَ الْإِبِلِ وَالرَّقِيقِ وَالْغَنَمِ، قَالَ: (إِذَا آتَاكَ اللَّهُ مَالًا فَلْيُرْ عَلَيْكَ)⁽³⁾.

وقيل: من كتم النعمة فقد كفرها، ومن أظهرها ونشرها فقد شكرها.

وفي هذا قيل:

(1) رواه أحمد (6708)، والترمذي (2819)، والبيهقي في شعب الإيمان (4251)، وأبو يعلى

(1055)، وأبو داود الطيالسي (2375)، والحاكم (7188)، **وقال:** "هذا حديث صحيح

الإسناد ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي. **وقال الترمذي:** "حسن صحيح" وتابعه الألباني.

(2) رواه أحمد (19934)، والبيهقي في شعب الإيمان (5789)، والطبراني في الكبير (281)،

والطحاوي في شرح مشكل الآثار (3037)، **قال الهيثمي:** "رواه أحمد، والطبراني ورجال

أحمد ثقات"، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (132/5).

(3) رواه أحمد (15889)، والترمذي (2006)، والنسائي (5224)، وابن حبان (5416)، والطبراني

في الأوسط (1702) والكبير (621)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (3039)، والبيهقي في

الشعب (7719)، وأبو داود الطيالسي (310)، والحاكم (7364) **وقال:** "هذا حديث صحيح

الإسناد ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي. وصححه الألباني والأرنؤوط.

وَمِنَ الرِّزْيَةِ أَنْ شُكْرِي صَامِتٌ عَمَّا فَعَلْتُ وَأَنْ بَرَّكَ نَاطِقٌ
وَأَرَى الصَّنِيعَةَ مِنْكَ ثُمَّ أُسْرِهَا إِنِّي إِذَا لِنَدَى الْكَرِيمِ لَسَارِقٌ⁽¹⁾

2- ترك المعاصي عموماً وبالنعمة خصوصاً :

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ لُوطٍ: كَانَ يُقَالُ: "الشُّكْرُ: تَرْكُ الْمَعْصِيَةِ"⁽²⁾.

وعن ابن السَّمَّاكِ، قَالَ: "كَتَبَ إِلَيَّ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ حِينَ وَلِيَ الْقَضَاءَ بِالرَّقَّةِ: "أَمَّا بَعْدُ، فَلْتَكُنِ التَّقْوَى مِنْ بَالِكَ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَخَفِ اللَّهَ فِي كُلِّ نِعْمَةٍ عَلَيْكَ لِقَلَّةِ الشُّكْرِ عَلَيْهَا مَعَ الْمَعْصِيَةِ بِهَا؛ فَإِنَّ النِّعْمَةَ حُجَّةٌ، وَفِيهَا تَبِعَةٌ، فَأَمَّا الْحُجَّةُ فِيهَا بِالْمَعْصِيَةِ بِهَا، وَأَمَّا التَّبِعَةُ فِيهَا فَقَلَّةُ الشُّكْرِ عَلَيْهَا، فَعَفَى اللَّهُ عَنْكَ كُلَّمَا ضَيَّعْتَ مِنْ شُكْرٍ، أَوْ رَكِبْتَ مِنْ ذَنْبٍ، أَوْ قَصَرْتَ مِنْ حَقٍّ"⁽³⁾.

وقال الغزالي: "وأما شكره لله عز وجل فلا يكون إلا بنوع من المجاز والتوسع؛ فإنه إن أثنى فثناؤه قاصر؛ لأنه لا يحصي ثناء عليه وإن أطاع فطاعته نعمة أخرى من الله عليه، بل عين شكره نعمة أخرى وراء النعمة المشكورة، وإنما أحسن وجوه الشكر لنعم الله عز وجل: أن لا يستعملها في معاصيه، بل في طاعته، وذلك أيضاً بتوفيق الله وتيسيره في كون العبد شاكرًا لله"⁽⁴⁾.

(1) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (2/ 236).

(2) الشكر لابن أبي الدنيا (ص: 19).

(3) الشكر لابن أبي الدنيا (ص: 32).

(4) المقصد الأسنى (ص: 106).



3- صلاح الجوارح:

قَالَ رَجُلٌ لِأَبِي حَازِمٍ: "مَا شُكْرُ الْعَيْنَيْنِ يَا أَبَا حَازِمٍ؟ قَالَ: إِنْ رَأَيْتَ بِهِمَا خَيْرًا أَعْلَنْتَهُ، وَإِنْ رَأَيْتَ بِهِمَا شَرًّا سَتَرْتَهُ، قَالَ: فَمَا شُكْرُ الْيَدَيْنِ؟ قَالَ: لَا تَأْخُذُ بِهِمَا مَا لَيْسَ لَهُمَا، وَلَا تَمْنَعُ حَقًّا لِلَّهِ هُوَ فِيهِمَا، قَالَ: فَمَا هُوَ شُكْرُ الْبَطْنِ؟ قَالَ: أَنْ يَكُونَ أَسْفَلُهُ طَعَامًا، وَأَعْلَاهُ عِلْمًا، قَالَ: فَمَا شُكْرُ الْفَرْجِ؟ قَالَ: كَمَا قَالَ: ﴿إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ، أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ، فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [المؤمنون: 6] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: 7] قَالَ: فَمَا شُكْرُ الرَّجْلَيْنِ؟ قَالَ: إِذَا رَأَيْتَ حَيًّا غَبَطْتَهُ اسْتَعْمَلْتَ بِهِمَا عَمَلَهُ، وَإِنْ رَأَيْتَ مَيِّتًا مَقْتَهُ كَفَفْتَهُمَا عَنْ عَمَلِهِ، وَأَنْتَ شَاكِرٌ لِلَّهِ، فَأَمَّا مَنْ شَكَرَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَشْكُرْ بِجَمِيعِ أَعْضَائِهِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ لَهُ كِسَاءٌ، فَأَخَذَ بِطَرَفِهِ وَلَمْ يَلْبَسْهُ، فَلَمْ يَنْفَعُهُ ذَلِكَ مِنَ الْحَرِّ، وَالْبَرَدِ، وَالثَّلَجِ، وَالْمَطَرِ" (1).

4- المسارعة إلى الطاعات:

قَالَ أَبُو حَازِمٍ: "كُلُّ نِعْمَةٍ لَا تُقَرَّبُ مِنَ اللَّهِ فَهِيَ بَلِيَّةٌ" (2).

5- سجود الشكر:

فَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ (إِذَا جَاءَهُ أَمْرٌ سُرُورٍ أَوْ بُشْرٍ بِهِ خَرَّ سَاجِدًا شَاكِرًا لِلَّهِ) (3).

(1) الشكر لابن أبي الدنيا (ص: 44).

(2) الشكر لابن أبي الدنيا (ص: 11).

(3) رواه أبو داود (2774)، والترمذي (1578)، وابن ماجه (1394)، والدارقطني في سننه

(1529)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (231)، والبيهقي في الكبرى (3934)، وحسنه =

6- نسبة النعمة إلى الله تعالى :

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: مُطِرَ النَّاسُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: النَّبِيُّ ﷺ: (أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ شَاكِرٌ وَمِنْهُمْ كَافِرٌ، قَالُوا: هَذِهِ رَحْمَةُ اللَّهِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَدْ صَدَقَ نَوْءٌ كَذَا وَكَذَا " قَالَ: فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ [الواقعة: 75]، حَتَّى بَلَغَ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: 82]" (1).

وقد ذكر عدد من العلماء الشكر بمفهومه العام، وبينوا أن الشكر يكون في الباطن والظاهر، **والقول والعمل:**

قال ابن كثير -عند قوله تعالى -: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ [سبأ: 13] "... قال أبو عبد الرحمن السلمي: "الصلاة شكر، والصيام شكر، وكل خير عمله لله عز وجل شكر، وأفضل الشكر الحمد" ... عن محمد بن كعب القرظي قال: "الشكر: تقوى الله تعالى، والعمل الصالح". وهذا لمن هو متلبس بالفعل، وقد كان آل داود عليهم السلام كذلك قائمين بشكر الله تعالى قولاً وعملاً" (2).

وقال الراغب: "وَالشُّكْرُ ثَلَاثَةٌ أَضْرِبُ: شُكْرُ الْقَلْبِ، وَهُوَ تَصَوُّرُ النِّعْمَةِ. وَشُكْرُ اللِّسَانِ، وَهُوَ الثَّنَاءُ عَلَى الْمُنْعَمِ. وَشُكْرُ سَائِرِ الْجَوَارِحِ، وَهُوَ مَكَافَأَةُ النِّعْمَةِ بِقَدْرِ اسْتِحْقَاقِهِ.

وقوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ [سبأ: 13]، فقد قيل: (شكرا) انتصب

= الألباني وصححه لغيره الأرناؤوط.

(1) رواه مسلم (73).

(2) تفسير ابن كثير (6/ 442).



على التمييز، ومعناه: اعملوا ما تعملونه شكرًا لله⁽¹⁾.

وقال ابن القيم: "والشكر مبني على خمس قواعد: خضوع الشاكر للمشكور. وحب له. واعترافه بنعمته. وثناؤه عليه بها. وأن لا يستعملها فيما يكره.

فهذه الخمس: هي أساس الشكر، وبنائها عليها. فمتى عدم منها واحدة اختلف من قواعد الشكر قاعدة. وكل من تكلم في الشكر وحدّه، فكلامه إليها يرجع، وعليها يدور"⁽²⁾.

مِنَ النِّعَمِ الَّتِي تُشْكِرُ:

هناك نعم كثيرة ينعم الله تعالى بها على الإنسان، من الناس من يدرك بعضها، ويغفل عن بعضها الآخر، حتى إن بعضهم يقصر النعم على نعم الدنيا الظاهرة فقط، وهذا جهل.

قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "مَنْ لَمْ يَعْرِفْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِلَّا فِي مَطْعَمِهِ وَمَشْرَبِهِ فَقَدْ قَلَّ عِلْمُهُ، وَحَضَرَ عَذَابُهُ"⁽³⁾.

وهذا ذكر لبعض النعم الدينية والدنيوية، والحسية والمعنوية، التي ينبغي الالتفات إليها بالشكر لتبقى.

(1) المفردات في غريب القرآن (ص: 461).

(2) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (2/ 234).

(3) الشكر لابن أبي الدنيا (ص: 33).

1 - نعمة الإسلام:

قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3]. **فالنعمة هنا هي:** نعمة الإسلام: "لأنه لا نعمة أتم من نعمة الإسلام" (1).

وعن خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ، يَقُولُ: "مَا قَالَ عَبْدُ كَلِمَةٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ وَأَبْلَغَ فِي الشُّكْرِ عِنْدَهُ مِنْ أَنْ يَقُولَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْنَا، وَهَدَانَا لِلْإِسْلَامِ" (2).

2 - نعمة ستر الذنوب ومودة الخلق:

"**قَالَ رَجُلٌ** لِأَبِي تَمِيمَةَ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟ قَالَ: أَصْبَحْتُ بَيْنَ نِعْمَتَيْنِ لَا أَدْرِي أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟: ذُنُوبٌ سَتَرَهَا اللَّهُ فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعِيرَنِي بِهَا أَحَدٌ، وَمَوَدَّةٌ قَذَفَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ وَلَمْ يَلْغُهَا عَمَلِي" (3).

3 - نعمة التخلص من الأذى:

كَانَ عَلِيٌّ إِذَا دَخَلَ الْخَلَاءَ قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ الْحَافِظِ، وَإِذَا خَرَجَ مَسَحَ بِيَدَيْهِ بَطْنَهُ ثُمَّ قَالَ: يَا لَهَا مِنْ نِعْمَةٍ لَوْ يَعْلَمُ الْعِبَادُ شُكْرَهَا" (4).

(1) تفسير الزمخشري (1/ 605).

(2) الشكر لابن أبي الدنيا (ص: 8).

(3) الشكر لابن أبي الدنيا (ص: 18).

(4) الشكر لابن أبي الدنيا (ص: 9).



4- نعمة لبس الجديد :

عن أبي سعيد الخدري **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: كان رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إذا استجدَّ ثوباً سمَّاه باسمه: إما قميصاً أو عمامةً، ثم يقول: "اللهم لك الحمد، أنت كَسَوْتَنِيهِ، أَسَأَلُكَ مِنْ خَيْرِهِ، وَخَيْرِ مَا صُنِعَ لَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ، وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ" (1).

5- نعمة سلامة الجوارح :

عن أبي عثمان، **عَنْ سُلَيْمَانَ**: "أَنَّ رَجُلًا بُسِطَ لَهُ فِي الدُّنْيَا فَانْتَرَعَ مَا فِي يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَحْمَدُ اللَّهَ وَيُثْنِي عَلَيْهِ حَتَّى لَمْ يَكُنْ لَهُ فِرَاشٌ إِلَّا بَارِيٌّ، فَجَعَلَ يَحْمَدُ اللَّهَ وَيُثْنِي عَلَيْهِ، وَبُسِطَ لِآخِرٍ فِي الدُّنْيَا فَقَالَ لِصَاحِبِ الْبَارِي: أَرَأَيْتَكَ أَنْتَ عَلَامَ تَحْمَدُ اللَّهَ؟ قَالَ: أَحْمَدُهُ عَلَى مَا لَوْ أُعْطِيَ بِهِ الْخَلْقُ لَمْ أُعْطِهِمْ إِلَّا بِهِ، قَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: أَرَأَيْتَ بَصْرَكَ؟ أَرَأَيْتَ لِسَانَكَ؟ أَرَأَيْتَ يَدَيْكَ؟ أَرَأَيْتَ رِجْلَيْكَ؟" (2).

6- نعمة العافية :

كان أبو الدرداء يَقُولُ: "الصَّحَّةُ غِنَى الْجَسَدِ" (3).

وَعَنْ وَهْبِ بْنِ مُنْبِهِ، قَالَ: "مَكْتُوبٌ فِي حِكْمَةِ آلِ دَاوُدَ: الْعَافِيَةُ الْمُلْكُ الْخَفِيُّ" (4).

(1) رواه أحمد (11248)، وأبو داود (4020)، والترمذي (1767)، والبيهقي في الشعب (5871)، والحاكم (7408) **وقال**: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ" ووافقه الذهبي، وصححه الألباني وحسنه الأرناؤوط.

(2) الشكر لابن أبي الدنيا (ص: 36).

(3) الشكر لابن أبي الدنيا (ص: 36).

(4) الشكر لابن أبي الدنيا (ص: 43).

وَعَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ، قَالَ: "لَأَنْ أُعَافِيَ فَأَشْكُرَ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُبْتَلَى فَأُضْبِرَ. قَالَ: وَنَظَرْتُ فِي الْخَيْرِ الَّذِي لَا شَرَّ فِيهِ، فَلَمْ أَرِ مِثْلَ الْمُعَافَاةِ وَالشُّكْرِ" (1).

وقال الحسن البصري: "الخير الذي لا شر فيه العافية مع الشكر، فكم من منعم عليه غير شاكر" (2).

وَعَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (مَنْ رَأَى صَاحِبَ بَلَاءٍ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا، إِلَّا عُوفِيَ مِنْ ذَلِكَ الْبَلَاءِ كَأَنَّمَا كَانَ مَا عَاشَ) (3).

7- نعمة الابتلاء بالأخف دون الأشد:

عَنْ حَبِيبِ بْنِ عُبَيْدٍ، قَالَ: "مَا ابْتَلَى اللَّهُ عَبْدًا ابْتِلَاءً إِلَّا كَانَ لِلَّهِ عَلَيْهِ فِيهِ نِعْمَةٌ إِلَّا يَكُونُ ابْتِلَاءُهُ بِأَشَدِّ مِنْهُ" (4).

8- نعمة الخلاص من البلاء:

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُوْقَةَ، قَالَ: "مَرَرْتُ مَعَ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بِالْكُوفَةِ عَلَى قَصْرِ

(1) فضيلة الشكر لله على نعمته (ص: 45).

(2) إحياء علوم الدين (4/ 134).

(3) رواه الترمذي (3431)، وابن ماجه (3892)، والطبراني في الأوسط (5324)، وأبو داود الطيالسي (13)، والبخاري (124)، **قال الهيثمي: "رَوَاهُ الْبُزَّارُ، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الصَّغِيرِ وَالْأَوْسَطِ بِنَحْوِهِ، وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ"**، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (10/ 138).

(4) الشكر لابن أبي الدنيا (ص: 46).



الْحَجَّاجَ فَقُلْتُ: لَوْ رَأَيْتَ مَا نَزَلَ بِنَا هَاهُنَا زَمَنَ الْحَجَّاجِ؟ فَقَالَ: مَرَرْتُ كَأَنَّكَ لَمْ تَدْعُ إِلَى ضُرِّ مَسِّكَ، أَرْجِعْ فَاحْمَدِ اللَّهَ وَاشْكُرْهُ، أَلَمْ تَسْمَعْ إِلَى قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسِّهِ﴾ [يونس: 12]"(1).

9- نعمة السلامة من الشَّيْنِ:

عَنْ ابْنِ سِيرِينَ، قَالَ: كَانَ ابْنُ عُمَرَ يُكْثِرُ النَّظَرَ فِي الْمَرْأَةِ وَتَكُونُ مَعَهُ فِي الْأَسْفَارِ، فَقُلْتُ: وَلِمَ؟ قَالَ: "أَنْظُرُ فَمَا كَانَ فِي وَجْهِ زَيْنٌ وَهُوَ فِي عَيْرِي شَيْنٌ أَحْمَدُ اللَّهُ عَلَيْهِ"(2).

10- نعمة الطعام والشراب:

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: "مَا مِنْ عَبْدٍ يَشْرِبُ الْمَاءَ الْقَرَّاحَ فَيَدْخُلُ بِغَيْرِ أَدَى، وَيُخْرِجُ الْأَدَى إِلَّا وَجِبَ عَلَيْهِ الشُّكْرُ"(3).

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ الْجُهَنِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: (مَنْ أَكَلَ طَعَامًا فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا، وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي، وَلَا قُوَّةَ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)(4).

(1) الشكر لابن أبي الدنيا (ص: 23).

(2) الشكر لابن أبي الدنيا (ص: 61).

(3) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: 144).

(4) رواه أبو داود (4023)، والترمذي (3458)، وابن ماجه (3285)، والطبراني في الكبير (389)،

والبيهقي في الشعب (5872)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (467)، وأبو يعلى (1488)،

والحاكم (7409) وقال: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ" قال الذهبي: "أبو

مرحوم ضعيف"، وحسنه الألباني والأرنؤوط.

11 - نعمة الاستيقاظ من النوم :

عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ **ﷺ** إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ، قَالَ: (بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا) وَإِذَا قَامَ قَالَ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) (1).

12 - نعمة العطاس :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، عَنِ النَّبِيِّ **ﷺ** قَالَ: (إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَإِذَا قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمُ اللَّهُ وَيُصْلِحْ بِالْكُم) (2).

ثمرات شكر نعم الله تعالى :

إذا وفق العبد لشكر نعم الله عليه جنى بذلك ثمرات كثيرة ، **فمنها:**

1 - نبيل رضوان الله تعالى :

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **ﷺ**: (إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا) (3).

قال ابن القيم: "فكان هذا الجزاء العظيم الذي هو أكبر أنواع الجزاء كما قال تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: 72]" (4).

(1) رواه البخاري (6312)، ومسلم (2711).

(2) رواه البخاري (6224).

(3) رواه مسلم (2734).

(4) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: 120).



2- زيادة النعم:

عن فضيل بن عياض قال: "كَانَ يُقَالُ: مَنْ عَرَفَ نِعْمَةَ اللَّهِ بِقَلْبِهِ، وَحَمِدَهُ بِلِسَانِهِ، لَمْ يَسْتَتِمَّ ذَلِكَ حَتَّى يَرَى الزِّيَادَةَ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: 7]" (1).

قال ابن القيم: "والشكر معه المزيد أبدًا. لقوله تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: 7] فمتى لم تر حالك في مزيد فاستقبل الشكر" (2).

3- أنه يورث زيادة حب العبد لله:

قال أبو سليمان الواسطي: "ذَكَرُ النِّعْمَةِ يُورِثُ الْحُبَّ لِلَّهِ" (3).

4- السلامة من العذاب وسوء الأحوال:

قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: "إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَا يَهْلِكَ عَبْدٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ: نِعْمَةٍ يَحْمَدُ اللَّهَ عَلَيْهَا، وَذَنْبٍ يَسْتَغْفِرُ مِنْهُ" (4).

وقال يونس: "إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا كَانَتْ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ مَنَزِلَةٌ فَحَفِظَهَا وَأَبْقَى عَلَيْهَا ثُمَّ شَكَرَ اللَّهَ مَا أَعْطَاهُ؛ أَعْطَاهُ اللَّهُ أَشْرَفَ مِنْهَا، وَإِذَا ضَيَّعَ الشُّكْرَ اسْتَدْرَجَهُ اللَّهُ، وَكَانَ تَضْيِيعُهُ لِلشُّكْرِ اسْتِدْرَاجًا" (5).

(1) الشكر لابن أبي الدنيا (ص: 23).

(2) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (2/ 236).

(3) الشكر لابن أبي الدنيا (ص: 11).

(4) الشكر لابن أبي الدنيا (ص: 32).

(5) الشكر لابن أبي الدنيا (ص: 41).

"وَعَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ أَنَّهُ قَالَ لِجَلِيسٍ لَهُ يَوْمًا: اشْكُرِ الْمُنْعِمَ عَلَيْكَ، وَأَنْعِمِ عَلَى الشَّاكِرِ لَكَ؛ فَإِنَّهُ لَا نَفَادَ لِلنَّعْمِ إِذَا شُكِرَتْ، وَلَا بَقَاءَ لَهَا إِذَا كُفِرَتْ، وَالشُّكْرُ زِيَادَةٌ فِي النَّعْمِ، وَأَمَانٌ مِنَ الْغَيْرِ" (1).

5- كثرة الحسنات والأجور:

عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ يَمْلَأُ الْمِيزَانَ) (2).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: (إِنَّ لِلطَّاعِمِ الشَّاكِرِ مِثْلَ مَا لِلصَّائِمِ الصَّابِرِ) (3).

وسائل معينة على شكر الله :

هناك وسائل تعين المسلم على شكر الله تعالى، أو تجعله من الشاكرين، فمنها:

1- التأمل في أصحاب البلاء.

وقد تقدم الدعاء عند ذلك.

(1) فضيلة الشكر لله على نعمته (ص: 66).

(2) رواه مسلم (223).

(3) رواه أحمد (7889)، والبيهقي في الكبرى (8520)، والحاكم (7195) وسكت عنه الذهبي.

وقال شاكر: "إسناده صحيح".



2 - تذكر النعمة عند الإصابة بها :

كَانَ بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَزْنِيّ، يَقُولُ: "يَا ابْنَ آدَمَ، إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْلَمَ قَدْرَ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْكَ فَغَمِّضْ عَيْنَيْكَ" (1).

3 - معرفة النعمة وعدم الغفلة عنها :

قال الغزالي: "اعلم أنه لم يقصر بالخلق عن شكر النعمة إلا الجهل والغفلة؛ فإنهم مُنعوا بالجهل والغفلة عن معرفة النعم، ولا يتصور شكر النعمة إلا بعد معرفتها. ثم إنهم إن عرفوا نعمة ظنوا أن الشكر عليها أن يقول بلسانه: الحمد لله الشكر لله، ولم يعرفوا أن معنى الشكر أن يستعمل النعمة في إتمام الحكمة التي أريدت بها، وهي طاعة الله عز وجل، فلا يمنع من الشكر بعد حصول هاتين المعرفتین إلا غلبة الشهوة واستيلاء الشيطان" (2).

4 - نظر الإنسان في أمر الدنيا إلى من هو أدنى منه :

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (انظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ) (3).

5 - الدعاء :

عن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخَذَ بِيَدِهِ يَوْمًا، ثُمَّ قَالَ: (يَا مُعَاذُ،

(1) الشكر لابن أبي الدنيا (ص: 62).

(2) إحياء علوم الدين (4/ 123).

(3) رواه مسلم (2963).



إِنِّي لِأُحِبُّكَ)، فَقَالَ لَهُ مُعَاذُ: يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَنَا أُحِبُّكَ. قَالَ: (أَوْصِيكَ يَا مُعَاذُ، لَا تَدْعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ) (1).

وقد كان من دعاء النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ حُسْنَ عِبَادَتِكَ) (2).

وكذلك كان يقول: (رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَارًا، لَكَ ذَكَارًا، لَكَ رَهَابًا، لَكَ مَطَوَاعًا) (3).

عاقبة ترك شكر الله :

لترك الشكر بالقول أو الفعل عواقب وخيمة، ومن أعظم هذه العواقب:

(1) رواه أحمد (22119)، والبخاري في الأدب المفرد (690)، وأبو داود (1522)، والنسائي (1304)، والبيهقي في الصغرى (18)، والطبراني في الكبير (110)، وابن حبان (2020)، وابن خزيمة (751)، والبراز (2661)، والحاكم (1010) **وقال:** "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ"، **وقال النووي:** "رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالنَّسَائِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ" خلاصة الأحكام (1/468).

(2) رواه أحمد (17114)، والترمذي (3407)، والنسائي (1304)، وابن حبان (3)، والطبراني في الكبير (7176)، وحسنه الأرناؤوط بطرقه وصححه لغيره الألباني.

(3) رواه أحمد (1997)، والترمذي (3551)، وابن ماجه (3830)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (607)، والبيهقي في الدعوات الكبير (195)، والطبراني في الدعاء (1412)، وصححه الألباني والأرناؤوط.



فقدان النعم، فإذا كان الشكر سبباً لبقاء النعمة وزيادتها فإن جحودها سبب لزوالها أو ذهاب بركتها.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: 7].

"وقال الحسن البصري: "إن الله ليمتع بالنعمة ما شاء فإذا لم يشكر عليها قلبها عذاباً؛ ولهذا كانوا يسمون الشكر الحافظ؛ لأنه يحفظ النعم الموجودة، والجالب؛ لأنه يجلب النعم المفقودة. وذكر ابن أبي الدنيا عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه أنه قال لرجل من همدان: "إن النعمة موصولة بالشكر، والشكر يتعلق بالمزيد، وهما مقرونان في قرن، فلن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد".

وقال عمر بن عبد العزيز: "قيدوا نعم الله بشكر الله، وكان يقال: الشكر قيد النعم"⁽¹⁾.

وعن أبي حازم، قال: "إِذَا رَأَيْتَ سَابِغَ نِعْمِهِ عَلَيْكَ وَأَنْتَ تَعْصِيهِ، فَاحْذَرُهُ"⁽²⁾.

لا نستطيع الوفاء بشكر الله تعالى :

ومع هذا كله فمهما شكرنا الله تعالى فلن نستطيع الوفاء بحق شكره، بل إننا

(1) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: 120).

(2) الشكر لابن أبي الدنيا (ص: 15).

إذا وفقنا لشكره فتلك نعمة أخرى.

فعن أبي الجلد، قال: قرأت في مسألة داود عليه السلام أنه قال: أي رب، كيف لي أن أشكرَكَ، وإني لا أصلُ شكرِكَ إلا بنعمتك؟ قال: فأتاه الوحي: أن يا داود، أليس تعلم أن الذي بك من النعم مني؟ قال: بلى يا رب، قال: فإني أرصى بذلك منك ⁽¹⁾.

وعن بكر بن عبد الله، قال: "ما قال عبد قط: الحمد لله إلا وجبت عليه نعمة بقوله: الحمد لله، فما جزاء تلك النعمة؟ جزاؤها أن يقول: الحمد لله، فحاز أخرى، ولا تنفذ نعم الله عز وجل ⁽²⁾".

قال محمود الوراق:

إِذَا كَانَ شُكْرِي نِعْمَةً اللَّهُ نِعْمَةً	عَلَيَّ وَفِي أَمْثَالِهَا يَجِبُ الشُّكْرُ
فَكَيْفَ وَقُوعُ الشُّكْرِ إِلَّا بِفَضْلِهِ	وَأِنْ طَالَتِ الْأَيَّامُ وَاتَّصَلَ الْعُمُرُ
إِذَا مَسَّ بِالْإِسْرَاءِ عَمَّ سُرُورُهَا	وَأِنْ مَسَّ بِالضَّرَاءِ أَعْقَبَهَا الْأَجْرُ
وَلَا مِنْهُمَا إِلَّا لَهُ فِيهِ مِنَّةٌ	تَضِيقُ بِهَا الْأَوْهَامُ وَالْبَرُّ وَالْبَحْرُ ⁽³⁾

وله أيضاً قوله:

عَطِيَّتُهُ إِذَا أَعْطَى سُرُورُ	وَأِنْ أَخَذَ الَّذِي أَعْطَى أَثَابَا
-----------------------------------	--

(1) الشكر لابن أبي الدنيا (ص: 7).

(2) الشكر لابن أبي الدنيا (ص: 7).

(3) الشكر لابن أبي الدنيا (ص: 31).



فَأَيُّ النَّعْمَتَيْنِ أَحَقُّ شُكْرًا وَأَحْمَدُ عِنْدَ مُنْقَلَبِ إِيَابَا
 أَنْعَمْتُهُ الَّتِي أَهْدَتْ سُرُورًا أَمْ الْأُخْرَى الَّتِي أَهْدَتْ ثَوَابًا
 بَلِ الْأُخْرَى وَإِنْ نَزَلَتْ بِكُرْهِهٍ أَعَمُّ لَصَابِرٍ فِيهِ اخْتِسَابًا⁽¹⁾

من أدعية الشكر:

1- كان أبو بكر الصديق يقول في دعائه: "أَسْأَلُكَ تَمَامَ النِّعْمَةِ فِي الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا، وَالشُّكْرَ لَكَ عَلَيْهَا حَتَّى تَرْضَى وَبَعْدَ الرِّضَا، وَالْخَيْرَةَ فِي جَمِيعِ مَا تَكُونُ فِيهِ الْخَيْرَةُ، بِجَمِيعِ مَيْسُورِ الْأُمُورِ كُلِّهَا لَا بِمَعْسُورِهَا يَا كَرِيمُ"⁽²⁾.

2- وكان الحسن يقول إذا ابتدأ حديثه: "الْحَمْدُ لِلَّهِ، اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ كَمَا خَلَقْتَنَا، وَرَزَقْتَنَا، وَهَدَيْتَنَا، وَعَلَّمْتَنَا، وَأَنْقَذْتَنَا، وَفَرَّجْتَ عَنَّا، لَكَ الْحَمْدُ بِالْإِسْلَامِ، وَالْقُرْآنِ، وَلَكَ الْحَمْدُ بِالْأَهْلِ وَالْمَالِ وَالْمُعَافَاةِ، كَبَتَّ عَدُوَّنَا، وَبَسَطْتَ رِزْقَنَا، وَأَظْهَرْتَ أَمْنَنَا، وَجَمَعْتَ فُرْقَتَنَا، وَأَحْسَنْتَ مُعَافَاتَنَا، وَمِنْ كُلِّ وَاللَّهِ مَا سَأَلْنَاكَ رَبَّنَا أَعْطَيْتَنَا، فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى ذَلِكَ حَمْدًا كَثِيرًا، لَكَ الْحَمْدُ بِكُلِّ نِعْمَةٍ أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيْنَا فِي قَدِيمٍ وَحَدِيثٍ، أَوْ سِرًّا أَوْ عَلَانِيَةً، أَوْ خَاصَّةً أَوْ عَامَّةً، أَوْ حَيًّا أَوْ مَيِّتٍ، أَوْ شَاهِدٍ أَوْ غَائِبٍ، لَكَ الْحَمْدُ حَتَّى تَرْضَى، وَلَكَ الْحَمْدُ إِذَا رَضِيتَ"⁽³⁾.

(1) فضيلة الشكر لله على نعمته (ص: 43).

(2) الشكر لابن أبي الدنيا (ص: 40).

(3) الشكر لابن أبي الدنيا (ص: 8).

3- **وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ حُسَيْنٍ بِمَنَى**، فَظَهَرَ مِنْ دُعَائِهِ أَنْ قَالَ: "كَمْ مِنْ نِعْمَةٍ أَنْعَمْتَهَا عَلَيَّ قَلَّ لَكَ عِنْدَهَا شُكْرِي، وَكَمْ مِنْ بَلِيَّةٍ ابْتَلَيْتَنِي بِهَا قَلَّ لَكَ عِنْدَهَا صَبْرِي، فَيَا مَنْ قَلَّ شُكْرِي عِنْدَ نِعْمَتِهِ فَلَمْ يَحْرِمْنِي، وَيَا مَنْ قَلَّ صَبْرِي عِنْدَ بَلَائِهِ فَلَمْ يَخْذُلْنِي، وَيَا مَنْ رَأَيْتَنِي عَلَى الذُّنُوبِ الْعِظَامِ فَلَمْ يَفْضَحْنِي وَلَمْ يَهْتِكْ سِتْرِي، وَيَا ذَا الْمَعْرُوفِ الَّذِي لَا يَنْقُصُنِي، وَيَا ذَا النِّعْمَةِ الَّتِي لَا تَحُولُ وَلَا تَزُولُ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا" (1).

4- **وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ**، قَالَ: مَا قَلَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بَصَرَهُ عَلَى نِعْمَةٍ أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْهِ إِلَّا قَالَ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَبَدِّلَ نِعْمَكَ كُفْرًا، أَوْ أَكْفُرَهَا بَعْدَ مَعْرِفَتِهَا، أَوْ أَنْسَاهَا فَلَا أَتُنَبِّئُ بِهَا" (2).

5- **وَقَالَ عَبَّاسُ بْنُ غَسَّانَ**: "حُمِمْتُ بِنَيْسَابُورَ فَأَنْطَبَقْتُ عَلَى الْحُمَى، فَدَعَوْتُ بِهَذَا الدُّعَاءِ: "إِلَهِي، كُلَّمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ نِعْمَةً قَلَّ عِنْدَهَا شُكْرِي، وَكُلَّمَا ابْتَلَيْتَنِي بِبَلِيَّةٍ قَلَّ عِنْدَهَا صَبْرِي، فَيَا مَنْ قَلَّ شُكْرِي عِنْدَ نِعْمِهِ فَلَمْ يَخْذُلْنِي، وَيَا مَنْ قَلَّ عِنْدَ بَلَائِهِ صَبْرِي فَلَمْ يُعَاقِبْنِي، وَيَا مَنْ رَأَيْتَنِي عَلَى الْمَعَاصِي فَلَمْ يَفْضَحْنِي، اكْشِفْ ضُرِّي، قَالَ: فَذَهَبَتْ عَنِّي" (3).

(1) الشكر لابن أبي الدنيا (ص: 19).

(2) الشكر لابن أبي الدنيا (ص: 26).

(3) الشكر لابن أبي الدنيا (ص: 32).



قدوة صالحة :

1- "جَلَسَ فَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ، وَسُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ لَيْلَةً إِلَى الصَّبَاحِ يَتَذَكَّرَانِ النِّعَمَ، فَجَعَلَ سُفْيَانُ يَقُولُ: "أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا فِي كَذَا، فَعَلَ بِنَا كَذَا، فَعَلَ بِنَا كَذَا"(1).

2- وَقَالَ أَبُو حَازِمٍ: "نِعْمَةُ اللَّهِ فِيمَا زَوَى عَنِّي مِنَ الدُّنْيَا أَعْظَمُ مِنْ نِعْمَتِهِ عَلَيَّ فِيمَا أَعْطَانِي مِنْهَا، إِنِّي رَأَيْتُهُ أَعْطَاهَا قَوْمًا فَهَلَكُوا"(2).

3- أَنشَدَ الْمُبَرِّدُ لِيَزِيدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ:

"إِلَهِي لَا تُفْتِنَا مِنْكَ رَحْمَةً	وَعَافِيَةً وَتَوْفِيقًا وَعِصْمَةً
فَمَا زِلْنَا نَعْرِفُ مِنْكَ خَيْرًا	وَيَحْسُدُ حَاسِدٌ فَيُطِيلُ رَغْمَهُ
وَكَمْ أَذْنَبْتُ مِنْ ذَنْبٍ عَظِيمٍ	فَلَمْ تَفْضَحْ وَلَمْ تَعْجَلْ بِنِقْمِهِ
وَكَيْفَ بِشُكْرِ ذِي نِعَمٍ إِذَا مَا	شَكَرْتُ لَهُ فَشُكْرِي مِنْهُ نِعْمَةٌ"(3)

(1) الشكر لابن أبي الدنيا (ص: 41).

(2) الشكر لابن أبي الدنيا (ص: 42).

(3) فضيلة الشكر لله على نعمته (ص: 47).



إن محبة الله تعالى خلق من أجل الأخلاق القلبية التي يصلح بها الظاهر والباطن، وليس هناك أحد عند المؤمن يُحِبُّ كمحبة الله تعالى، قال الله سبحانه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: 165].

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ" (1).

عن وهب بن منبه قال: "إن المؤمن الخالص إيمانه لا يحب كحبه الله عز وجل أحداً، ولا يخشى كخشية الله عز وجل أحداً، فإنه يعلم علماً يقيناً أن الخلق كله لله عز وجل وبيد الله" (2).

والقلوب إذا صفت، والنفوس متى زكت، والعقول إن استنارت فليس عندها شيء أحب إليها من الله؛ إذ "لا شيء أحب إلى القلوب من خالقها وفاطرها؛ فهو إلهها ومعبودها، ووليها ومولاهها، وربها ومدبرها ورازقها، ومميتها ومحيتها، فمحبتة نعيم النفوس وحياة الأرواح، وسرور النفوس وقوت

(1) رواه البخاري (16)، ومسلم (43).

(2) المحبة لله لأبي إسحاق الخُتَلَبِيِّ (ص: 19).



القلوب، ونور العقول وقرة العيون وعمارة الباطن، فليس عند القلوب السليمة والأرواح الطيبة والعقول الزاكية أحلى ولا ألد ولا أطيب ولا أسرّ ولا أنعم من محبته، والأنس به والشوق إلى لقاءه، والحلاوة التي يجدها المؤمن في قلبه بذلك فوق كل حلاوة، والنعيم الذي يحصل له بذلك أتم من كل نعيم، واللذة التي تناله أعلى من كل لذة"⁽¹⁾.

مفهوم محبة الله تعالى :

محبة الله تعالى على الحقيقة تفريغ القلب من كل محبوب يزاحم محبته، واستعمال الجوارح فيما لا يخرج إلى سخطه، وليست تلك المحبة العليا دعوى تقال، بل هي صدق في الباطن والظاهر، والقول والعمل.

قال الخُتَلِيّ (ت: نحو 270هـ): "ويقال: المحبة: أن تؤثر الله تعالى على جميع الأشياء، وعليك بالاهتمام بما يرضي الله عز وجل والحفظ لكل جارحة مما يسخط الله عز وجل"⁽²⁾.

وقال ابن القيم: "أعظم صلاح العبد: أن يصرف قوى حُبّه كلها لله تعالى وحده، بحيث يحب الله بكل قلبه وروحه وجوارحه، فيوحد محبوبه ويوحد حبه.. والمحبة لا تصح إلا بذلك؛ فتوحيد المحبوب أن لا يتعدد محبوبه، وتوحيد الحب أن لا يبقى في قلبه بقية حب حتى يبذلها له"⁽³⁾.

(1) إغائة اللهفان، لابن القيم (2/ 197).

(2) المحبة لله لأبي إسحاق الختلي (ص: 37).

(3) روضة المحبين، لابن القيم (ص: 199).



وقال أيضًا -ذاكرًا معنى المحبة الصادقة على العموم: "أن تهب إرادتك وعزمك وأفعالك ونفسك ومالك ووقتك لمن تحبه، وتجعلها حبسًا في مرضاته ومحابه، فلا تأخذ لنفسك منها إلا ما أعطاك، فتأخذه منه له" (1).

أهمية محبة الله سبحانه :

1- المحبة هي أصل كل فعل وحركة: فعنها في الأشياء تنشأ الخيرات أو أضدادها، ومحبة الله إن صدقت ينشأ عنها كل خير.

قال شيخ الإسلام: "وأصل كل فعل وحركة في العالم من الحب والإرادة، فهو أصل كل فعل ومبدؤه، كما أن البغض والكراهة مانع وصاد لكل ما انعقد بسببه ومادته، فهو أصل كل ترك" (2).

ومن الأعمال التي تنشأ عن محبة الله: التوحيد والإيمان، فإذا "كان أصل الإيمان العملي هو حب الله تعالى ورسوله، وحب الله أصل التوحيد العملي وهو أصل التأليه الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له؛ فإن العبادة أصلها أكمل أنواع المحبة مع أكمل أنواع الخضوع، وهذا هو الإسلام" (3).

2- أن محبة الله تعالى هي - كما وصفها ابن القيم بقوله -: "المنزلة التي فيها تنافس المتنافسون، وإليها شخص العاملون، وإلى علمها شمر السابقون، وعليها تفانى المحبون، وبرّوح نسيمها تروّح العابدون، فهي قوت القلوب وغذاء الأرواح

(1) مدارج السالكين (3 / 14).

(2) قاعدة في المحبة (ص: 7).

(3) قاعدة في المحبة (ص: 68).



وقرة العيون، وهي الحياة التي من حُرِّمها فهو من جملة الأموات، والنور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات، والشِّفاء الذي من عدمه حلَّت بقلبه جميع الأسقام، واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام.

وهي روح الإيمان والأعمال، والمقامات والأحوال، التي متى خلت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه، تحمل أثقال السائرين إلى بلاد لم يكونوا إلا بشق الأنفس بالغيها، وتوصلهم إلى منازل لم يكونوا بدونها أبداً وأصليها، وتبوؤهم من مقاعد الصدق مقامات لم يكونوا لولاها داخلها، وهي مطايا القوم التي مسراهم على ظهورها دائماً إلى الحبيب، وطريقهم الأقوم الذي يبلغهم إلى منازلهم الأولى من قريب، تالله لقد ذهب أهلها بشرف الدنيا والآخرة؛ إذ لهم من معية محبوبهم أوفر نصيب، وقد قضى الله يوم قدر مقادير الخلائق بمشيئته وحكمته البالغة أن المرء مع من أحب، فيالها من نعمة على المحبين سابغة!"⁽¹⁾.

علامات محبة الله تعالى:

محبة الله جل وعلا لها علامات تميز صدق مدعيها من كذبه، فمن تلك

العلامات:

1- محبة ما يحبه الله تعالى ومن يحبه، وبغض ما يبغضه ومن يبغضه:

فمن "أحب الله وأحبه الله أحب ما يحبه الله، وأبغض ما يبغضه الله، ووالى

(1) مدارج السالكين (3/ 6).

من يواليه الله، وعادى من يعاديه الله، لا تكون محبة قط إلا وفيها ذلك بحسب قوتها وضعفها؛ فإن المحبة توجب الدنو من المحبوب والبعد عن مكروهاته، ومتى كان مع المحبة نبذ ما يبغضه المحبوب فإنها تكون تامة... وأما موادة عدوه فإنها تنافي المحبة، قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: 22] ⁽¹⁾.

فالمحب الصادق: "لا يحب إلا في الله، ولا يبغض إلا فيه، ولا يوالي إلا فيه، ولا يعادي إلا فيه، ولا يعطي إلا له ولا يمنع إلا له، ولا يرجو إلا إياه، ولا يستعين إلا به، فيكون دينه كله ظاهراً وباطناً لله، ويكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، فلا يواد من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب الخلق إليه بل:

يعادي الذي عادى من الناس كلهم جميعاً ولو كان الحبيب المصافيا

وحقيقة ذلك: فناؤه عن هوى نفسه وحظوظها بمراضي ربه وحقوقه ⁽²⁾.

قال بشر بن السري: "ليس من أعلام الحب أن تحب ما يبغضه حبيبك" ⁽³⁾.

وقال سفيان بن عيينة: "من أحب الله تعالى أحب من يحب الله" ⁽⁴⁾.

(1) قاعدة في المحبة (ص: 89).

(2) مدارج السالكين، لابن القيم (1/ 167).

(3) المحبة لله لأبي إسحاق الختلي (ص: 22).

(4) المحبة لله لأبي إسحاق الختلي (ص: 89).



2- عمل ما يحبه الله من الطاعات والابتعاد عن المعاصي :

عن الحسن قال: "من قال: إني أحب الله تعالى فهو كاذب، لو أحب الله تعالى لعمل بعمل يحبه الله. ومن قال: إني أحب الجنة فهو كاذب، ولو أحب الجنة لعمل بعمل أهل الجنة. ومن قال: إني أخاف النار فقد كذب، لو كان يخاف النار لم يعمل بعمل أهل النار"⁽¹⁾.

و"يقال: من علامة الحب لله عز وجل: القيام للمحسوب بالطاعة، وإيثاره على النفس فيما أمكنت فيه القدرة"⁽²⁾.

قال الشاعر:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه	هذا محال في الفعال بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته	إن المحب لمن يحب مطيع
في كل يوم يتليك بنعمة	جوداً وأنت لشكر ذاك مضيع! ⁽³⁾

وقال الآخر:

وكن لربك ذا حب لتخدمه إن المحبين للأجباب خدام⁽⁴⁾.

(1) المحبة لله لأبي إسحاق الختلي (ص: 32).

(2) المحبة لله لأبي إسحاق الختلي (ص: 46).

(3) المحبة لله لأبي إسحاق الختلي (ص: 33).

(4) المحبة لله لأبي إسحاق الختلي (ص: 55).



3- إثثار ما يحب الله على ما تحبه النفس :

قال فتح الموصلي: "إثثار محبة الله على محبتك من علامة حبك لله عز وجل" (1).

4- اتباع رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حق الاتباع :

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31].

قال شيخ الإسلام: "محبة الله مستلزمة لمحبة ما يحبه من الواجبات كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ فإن اتباع رسوله هو من أعظم ما أوجه الله تعالى على عباده وأحبه، وهو سبحانه أعظم شيء بغضاً لمن لم يتبع رسوله، فمن كان صادقاً في دعوى محبة الله اتبع رسوله لا محالة، وكان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما" (2).

5- المداومة على ذكر الله سبحانه وتعالى :

"كان يقال: من علامة المحب لله عز وجل: دوام الذكر بالقلب واللسان، وقل ما ولع المرء بذكر الله تعالى إلا أفاد منه حب الله عز وجل" (3).

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: "إن من علامة حب الله عز وجل: حب

(1) المحبة لله لأبي إسحاق الختلي (ص: 18).

(2) قاعدة في المحبة (ص: 72).

(3) المحبة لله لأبي إسحاق الختلي (ص: 18).



ذكر الله، ومن علامة بغض الله: بغض ذكر الله" (1).

وقال أيضًا: "علامة حب الله تعالى: كثرة ذكره؛ فإنك لن تحب شيئاً إلا أكثرت ذكره" (2).

6- حب الآخرة وكراهية الدنيا:

قال فتح الموصلي: "المحب لله عز وجل لا يجد مع حب الله عز وجل للدنيا لذة، ولا يغفل عن ذكر الله طرفه" (3).

وقال الختلي: "يقال: علامة المحب على صدق الحب ست خصال:

(1) **إحداها:** دوام الذكر بقلبه بالسرور بمولاه.

(2) **والثانية:** إثاره محبة سيده على محبة نفسه ومحبة الخلائق، يبدأ بمحبة مولاه قبل محبة نفسه ومحبة الخلائق.

(3) **والثالثة:** الأنس به، والاستثقال لكل قاطع يقطع عنه، أو شاغل يشغل عنه.

(4) **والرابعة:** الشوق إلى لقائه، والنظر إلى وجهه.

(5) **والخامسة:** الرضا عنه في كل شديدة وضر ينزل به.

(6) **والسادسة:** اتباع رسوله" (4).

(1) المحبة لله لأبي إسحاق الختلي (ص: 18).

(2) المحبة لله لأبي إسحاق الختلي (ص: 25).

(3) المحبة لله لأبي إسحاق الختلي (ص: 18).

(4) المحبة لله لأبي إسحاق الختلي (ص: 70).

وسائل معينة على الوصول إلى محبة الله تعالى :

محبة الله تعالى غاية سامية، والمؤمن حريص على أن تكون هذه الغاية كاملة لديه، فمن كان كذلك فهناك وسائل معينة له على الوصول إلى هذا الهدف العظيم، **فمن ذلك:**

1- اللهج بذكر نعم الله تعالى وشكره عليها :

قال أبو سليمان الواسطي: "ذكر النعم يورث المحبة"⁽¹⁾.

وقال الختلي: "والمحبة تنال باشتغال القلب بالذكر في نعم الله عز وجل"⁽²⁾.

2- معرفة الله تعالى :

ف"من عرف ربه أحبه، ومن عرف الدنيا زهد فيها"⁽³⁾.

3- وقال ابن القيم: "فصل في الأسباب الجالبة للمحبة، والموجبة لها وهي

عشرة:

أحدها: قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه، وما أريد به، كتدبر الكتاب الذي يحفظه العبد ويشرحه ليتفهم مراد صاحبه منه.

الثاني: التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض؛ فإنها توصله إلى درجة المحبوبة بعد المحبة.

(1) المحبة لله لأبي إسحاق الختلي (ص: 18).

(2) المحبة لله لأبي إسحاق الختلي (ص: 69).

(3) المحبة لله لأبي إسحاق الختلي (ص: 28).



الثالث: دوام ذكره على كل حال: باللسان والقلب، والعمل والحال. فنصييه من المحبة على قدر نصييه من هذا الذكر.

الرابع: إثارة محابه على محابك عند غلبات الهوى، والتسليم إلى محابه، وإن صعب المرتقى.

الخامس: مطالعة القلب لأسمائه وصفاته، ومشاهدتها ومعرفتها، وتقلبه في رياض هذه المعرفة ومبانيها. فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبه لا محالة؛ ولهذا كانت المعطلة والفرعونية والجهمية قطاع الطريق على القلوب بينها وبين الوصول إلى المحبوب.

السادس: مشاهدة بره وإحسانه وآلائه، ونعمه الباطنة والظاهرة؛ فإنها داعية إلى محبته.

السابع - وهو من أعجبها -: انكسار القلب بكليته بين يدي الله تعالى. وليس في التعبير عن هذا المعنى غير الأسماء والعبارات.

الثامن: الخلوة به وقت النزول الإلهي، لمناجاته وتلاوة كلامه، والوقوف بالقلب والتأدب بأدب العبودية بين يديه، ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة.

التاسع: مجالسة المحبين الصادقين، والتقاط أطيب ثمرات كلامهم كما ينتقي أطيب الثمر، ولا تتكلم إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام، وعلمت أن فيه مزيداً لحالك، ومنفعة لغيرك.

العاشر: مباحة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل.



فمن هذه الأسباب العشرة: وصل المحبون إلى منازل المحبة، ودخلوا على الحبيب، وملاك ذلك كله أمران: استعداد الروح لهذا الشأن، وانفتاح عين البصيرة⁽¹⁾.

ثمرات محبة الله تعالى:

إن محبة الله عمل قلبي جليل إذا صح أثمر ثمرات يانعة كثيرة، قال ابن القيم: "إذا غُرست شجرة المحبة في القلب، وسُقيت بماء الإخلاص ومتابعة الحبيب؛ أثمرت أنواع الثمار، وآتت أكلها كل حين بإذن ربها، أصلها ثابت في قرار القلب، وفرعها متصل بسدره المنتهى"⁽²⁾.

فمن تلك الثمرات:

1- المسارعة إلى الطاعة وحبها:

قال زكريا بن عدي: "سمعت عابداً باليمن يقول: حب الله تعالى يضني الأبدان، ويورث الطاعة"⁽³⁾.

2- أنها سبب للراحة والنعيم:

عن يحيى بن أبي كثير اليمامي قال: "نظرنا فلم نجد شيئاً يلتذ به المتلذذون أفضل من حب الله تعالى وطلب مرضاته"⁽⁴⁾.

(1) مدارج السالكين (3 / 18).

(2) مدارج السالكين، لابن القيم (3 / 9).

(3) المحبة لله لأبي إسحاق الختلي (ص: 18).

(4) المحبة لله لأبي إسحاق الختلي (ص: 35).



فمحنة الله تعالى هي " حياة القلوب وغذاء الأرواح، وليس للقلب لذة، ولا نعيم، ولا فلاح، ولا حياة إلا بها. وإذا فقدتها القلب كان ألمه أعظم من ألم العين إذا فقدت نورها، والأذن إذا فقدت سمعها، والأنف إذا فقد شمّه، واللسان إذا فقد نطقه، بل فساد القلب إذا خلا من محبة فطره وبارئه وإلهه الحق أعظم من فساد البدن إذا خلا من الروح، وهذا الأمر لا يصدق به إلا من فيه حياة"⁽¹⁾.

3- أنها سبب لتسهيل المصائب وتهوينها:

إن "المحب يجد في لذة المحبة ما ينسيه المصائب، ولا يجد من مسها ما يجد غيره، حتى كأنه قد اكتسب طبيعة ثانية ليست طبيعة الخلق، بل يقوى سلطان المحبة حتى يلتذ المحب بكثير من المصائب التي يصيبها حبيبها أعظم من التذاذ الخلي بحظوظه وشهوته، والذوق والوجد شاهد بذلك"⁽²⁾.

4- دوام ذكره والوحشة من تركه:

قال ابن القيم: "لو صحت محبتك لاستوحشت ممن لا يذكرُك بالحبيب، واعجباً لمن يدعى المحبة ويحتاج إلى من يذكره بمحبوبه، فلا يذكره إلا بمذكر! أقل ما في المحبة أنها لا تنسيك تذكر المحبوب.

ذكرُك لا أني نسيْتُك ساعةً وأيسرُ ما في الذكر ذكرُ لسانِي"⁽³⁾

(1) الجواب الكافي، لابن القيم (ص: 168).

(2) مدارج السالكين، لابن القيم (3/ 36).

(3) الفوائد، لابن القيم (ص: 77).



اللهم ارزقنا حبك وحب من ينفعنا حبه عندك، اللهم ما رزقتنا مما نحب فاجعله لنا قوة فيما نحب، وما زويت عنا مما نحب فاجعله لنا فراغاً فيما نحب.

قدوة صالحة :

1- **عن** عامر بن عبد قيس أنه كان يقول: "أحببت الله عز وجل حباً سهلاً علي كل مصيبة، ورضاني كل قضية، فما أبالي مع حبي إياه ما أصبحت عليه وما أمسيت"⁽¹⁾.

2- **قال عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ حَرْبٍ:** "إِنَّ خَصِيفًا قَالَ عِنْدَ الْمَوْتِ: لَيْمُرُّ مَلَكُ الْمَوْتِ إِذَا أَتَانَا. اللَّهُمَّ عَلَى مَا فِيَّ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّكَ وَأُحِبُّ رَسُولَكَ"⁽²⁾.

(1) صفة الصفوة (2/ 121).

(2) المحتضرين لابن أبي الدنيا (ص: 129).



مراقبة الله تعالى

الله جل جلاله الذي خلقنا لعبادته، وكلفنا العمل بمرضاته، ومنحنا الإرادة لنعمل ما نريد من الخير أو الشر، ومن ثمّ يحاسبنا على ما كسبنا واكتسبنا؛ حتى يظهر بذلك لعباده عدله بأنه جازاهم بعملهم وهو غير ظالم لهم أبداً.

فخلقنا على هذه الأرض لهذه الوظيفة وهو مراقب عملنا الذي نعمله؛ قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: 4]، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1]، وقال: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾ [الأحزاب: 52]، ولا يمكن أن نغيب في سرنا وعلنا عن علمه وبصره وإحاطته سبحانه وتعالى؛ قال عز وجل: ﴿وَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: 235]، وقال: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: 19].

قال محمد بن علي الترمذي: "اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره إليك، واجعل شكرك لمن لا تنقطع نعمه عنك، واجعل طاعتك لمن لا تستغني عنه، واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه" (1).

"وقال سفيان الثوري: عليك بالمراقبة ممن لا تخفى عليه خافية، وعليك بالرجاء ممن يملك الوفاء، وعليك بالحدز ممن يملك العقوبة" (2).

(1) إحياء علوم الدين (4 / 397).

(2) إحياء علوم الدين (4 / 398).

فالله تعالى هو "القائم على كل نفس بما كسبت، الرقيب على كل جارحة بما اجتاحت، المطلع على ضمائر القلوب إذا هجست، الحسيب على خواطر عباده إذا اختلجت، الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات والأرض تحركت أو سكنت، المحاسب على النقيير والقطمير والقليل والكثير من الأعمال وإن خفيت" (1).

قال الغزالي: "وصف المراقبة للعبد إنَّما يحمد إذا كانت مراقبته لرَّبه وَقَلْبُهُ؛ وَذَلِكَ بِأَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَقِيبُهُ وَشَاحِدُهُ فِي كُلِّ حَالٍ، وَيَعْلَمُ أَنَّ نَفْسَهُ عَدُوُّ لَهُ، وَأَنَّ الشَّيْطَانَ عَدُوُّ لَهُ، وَأَنْهُمَا يَنْتَهِزَانِ مِنْهُ الْفُرْصَ حَتَّى يَحْمِلَاهُ عَلَى الْغَفْلَةِ وَالْمُخَالَفَةِ، فَيَأْخُذُ مِنْهُمَا حَذْرُهُ بِأَنْ يُلَاحِظَ مَكَانَهُمَا وَتَلْبِيسَهُمَا وَمَوَاضِعَ انْبِعَاثَهُمَا؛ حَتَّى يَسُدَّ عَلَيْهِمَا الْمَنَافِذَ وَالْمَجَارِيَ، فَهَذِهِ مِرَاقَبَتُهُ" (2).

وهذا يدعو العبد إلى لزوم مراقبة الله تعالى في السر والعلن، وفي كل عمل صغير وكبير.

تعريف مراقبة الله :

لغة :

يقال: راقبه مراقبة ورقاباً رقبه أي: حرسه ولا حظه، **وَيُقَالُ:** راقب الله خافه وخشيته، وَفُلَانٌ لَا يَرِاقِبُ اللَّهَ فِي أَمْرِهِ لَا يَنْظُرُ إِلَى عِقَابِهِ فَيَرْكَبُ رَأْسَهُ فِي

(1) إحياء علوم الدين (4 / 393).

(2) المقصد الأسنى (ص: 118).



الْمُعْصِيَّة. وفي أسماء الله تعالى: الرقيب: وهو الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء؛ فاعيل بمعنى فاعل. وتقول: راقب الله، أي: اعلم أنه يراك فلا يخفى عليه فعلك، وفي حديث الإيمان (قال: فما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه) قيل: أراد بالإحسان: الإشارة إلى المراقبة وحسن الطاعة؛ فإن من راقب الله أحسن عمله، وقد أشار إليه في الحديث بقوله: (فإن لم تكن تراه فإنه يراك)⁽¹⁾.

اصطلاحاً:

هي: "دوام علم العبد وتيقنه باطلاع الحق سبحانه وتعالى على ظاهره وباطنه، فاستدامته لهذا العلم واليقين: هو المراقبة، وهو ثمرة علمه بأن الله سبحانه رقيب عليه، ناظر إليه، سامع لقوله، وهو مطلع على عمله كل وقت وكل لحظة، وكل نفس وكل طرفة عين"⁽²⁾.

"وقال ابن المبارك لرجل: راقب الله تعالى، فسأله عن تفسيره، فقال: كن أبداً كأنك ترى الله عز وجل"⁽³⁾.

وهذا مأخوذ من قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لجبريل عندما سأله عن الإحسان: (أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ)⁽⁴⁾.

(1) ينظر: المعجم الوسيط (1/ 363)، الفروق اللغوية للعسكري (ص: 206)، النهاية في غريب

الحديث والأثر (1/ 387)، لسان العرب (1/ 424).

(2) مدارج السالكين (2/ 65).

(3) إحياء علوم الدين (4/ 397).

(4) رواه البخاري (50)، ومسلم (8).

قال النووي في هذه الجملة من الحديث: "هذا من جوامع الكلم التي أوتيتها ^{صلى الله عليه وسلم}؛ لأننا لو قدرنا أن أحدنا قام في عبادة وهو يعاين ربه سبحانه وتعالى لم يترك شيئاً مما يقدر عليه من الخضوع والخشوع، وحسن السمات واجتماعه بظاهره وباطنه على الاعتناء بتتميمها على أحسن وجوها إلا أتى به، فقال ^{صلى الله عليه وسلم}: اعبد الله في جميع أحوالك كعبادتك في حال العيان؛ فإن التتميم المذكور في حال العيان إنما كان لعلم العبد باطلاع الله سبحانه وتعالى عليه، فلا يقدم العبد على تقصير في هذا الحال للاطلاع عليه" (1).

وفي الحديث "إشارة إلى حال المراقبة؛ لأن المراقبة علم العبد باطلاع الرب سبحانه وتعالى عليه، واستدامته لهذا العلم مراقبة لربه، وهذا أصل كل خير له، ولا يكاد يصل إلى هذه الرتبة إلا بعد فراغه من المحاسبة.. فيعلم أنه سبحانه عليه رقيب ومن قلبه قريب، يعلم أحواله، ويرى أفعاله، ويسمع أقواله" (2).

وقيل: "حقيقة المراقبة هي: ملاحظة الرقيب وانصراف الهم إليه. فمن احترز من أمر من الأمور بسبب غيره يقال: إنه يراقب فلاناً، ويراعي جانبه. ويعنى بهذه المراقبة: حَالَةٌ لِلْقَلْبِ يُثْمِرُهَا نَوْعٌ مِنَ الْمَعْرِفَةِ، وَتُثْمِرُ تِلْكَ الْحَالَةُ أَعْمَالًا فِي الْجَوَارِحِ وَفِي الْقَلْبِ.

أما الحالة فهي: مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به والتفاتة إليه وملاحظته إياه، وانصرافه إليه، وأما المعرفة التي تثمر هذه الحالة فهي: الْعِلْمُ بِأَنَّ اللَّهَ مُطَّلِعٌ

(1) شرح النووي على مسلم (1/157).

(2) الرسالة القشيرية (1/329).



عَلَى الضَّمَائِرِ عَالِمٌ بِالسَّرَائِرِ، رَقِيبٌ عَلَى أَعْمَالِ الْعِبَادِ، قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ، وَأَنَّ سِرَّ الْقَلْبِ فِي حَقِّهِ مَكْشُوفٌ كَمَا أَنَّ ظَاهِرَ الْبَشَرَةِ لِلخَلْقِ مَكْشُوفٌ، بل أشد من ذلك، فهذه المعرفة إذا صارت يقيناً أعني أنها خلت عن الشك، ثم استولت بعد ذلك على القلب فقهرته، فرب علم لا شك فيه لا يغلب على القلب؛ كالعلم بالموت، فإذا استولت على القلب استجرت القلب إلى مراعاة جانب الرقيب، وصرفت همه إليه⁽¹⁾.

"وَقِيلَ: الْمُرَاقَبَةُ: مُرَاعَاةُ الْقَلْبِ لِمَلَا حَظَّةِ الْحَقِّ مَعَ كُلِّ خَطَرَةٍ وَخُطُوَةٍ"⁽²⁾.

علامات مراقبة الله من العبد:

1- إيثار مرضاة الله على رضا النفس والهوى.

"قَالَ ذُو النُّون: علامة المراقبة: إيثار مَا آثَرَ اللَّهُ تَعَالَى، وتعظيم مَا عَظَّمَ اللَّهُ تَعَالَى، وتصغير مَا صَغَّرَ اللَّهُ تَعَالَى"⁽³⁾.

2- ترك المعاصي في الخلوات.

3- المسارعة إلى فعل الواجبات.

4- استحضر العبد أن الله مطلع عليه في أي جهة توجه إليها، من غير اعتبار

لنظر المخلوقين.

(1) إحياء علوم الدين (4/ 398).

(2) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (2/ 66).

(3) الرسالة القشيرية (1/ 331).

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ) (1).

"قال سهل: لم يتزين القلب بشيء أفضل ولا أشرف من علم العبد بأن الله شاهده حيث كان" (2).

وقال ابن عطاء: "أفضل الطاعات، مراقبة الحق على دوام الأوقات" (3).

فإذا "جلست للناس فكن واعظاً لقلبك ولنفسك، ولا يغرنك اجتماعهم عليك؛ فإنهم يراقبون ظاهرك والله تعالى يراقب باطن" (4).

"ومن تحقق بقرب الحق سبحانه وتعالى فأدونه دوام مراقبته إيّاه؛ لأنّ عليه رقيب التقوى، ثم رقيب الحفظ والوفاء ثم رقيب الحياء:

كأن رقيباً منك يرعى خواطري وآخر يرعى ناظري ولساني
فما نظرت عيناى بعدك نظرةً لغيرك إلا قلتُ قد رمقاني
ولا بدرت من فيّ بعدك لفظةً لغيرك إلا قلتُ قد سمعاني

(1) رواه أحمد (21354)، والترمذي (1987)، والدارمي (2833)، والبيهقي في شعب الإيمان (7663)، والبزار (4022)، والطبراني في الصغير (530) والأوسط (3779) والكبير (296)، وابن أبي شيبه (25324)، والخرائطي في مكارم الأخلاق (5)، وحسنه الترمذي والألباني والأرنؤوط.

(2) إحياء علوم الدين (4/397).

(3) إحياء علوم الدين (4/397).

(4) الرسالة القشيرية (1/331).



ولا خطرُ في غير ذكركَ خطرٌ على القلب إلا عرّجتُ بعناني⁽¹⁾

أهمية مراقبة الله تعالى :

1- أنها من أشرف المقامات والعبادات :

"يروي عن بعض الحكماء أنه قال: إن من أشرف المقامات وأفضلها: المراقبة لله"⁽²⁾.

"قال أبو عثمان المغربي: أفضل ما يلزم الإنسان نفسه في هذه الطريقة: المحاسبة والمراقبة، وسياسة عمله بالعلم"⁽³⁾.

2- أنها برهان من براهين الإيمان والصلاح وصدق العبودية وإخلاصها لله تعالى :

"قال فرقد السبخي: إن المنافق ينظر فإذا لم ير أحداً دخل مدخل السوء، وإنما يراقب الناس ولا يراقب الله تعالى"⁽⁴⁾.

ثمرات مراقبة الله تعالى :

لا شك أن مراقبة العبد ربّه في قوله وعمله وظاهره وباطنه ستنبئه آثاراً حسنة، وثمرات طيبة في دنياه وآخرته، فمن ذلك:

(1) الرسالة القشيرية (1/ 193).

(2) آداب النفوس للمحاسبي (ص: 52).

(3) إحياء علوم الدين (4/ 397).

(4) إحياء علوم الدين (4/ 398).



1- نيل خيرات الدنيا :

كعظم القدر في القلوب وحب الناس وحسن ثنائهم، وهذا من ثواب الحسنة العاجل.

قال ابن الجوزي: "إخواني، اسمعوا نصيحة من جرب وخبر: إنه بقدر إجلالكم لله عز وجل وتعظيمكم له يجلكم، وبمقدار تعظيم قدره واحترامه يعظم أقداركم وحرمتكم. ولقد رأيت والله من أنفق عمره في العلم إلى أن كبرت سنُّه ثم تعدى بعض الحدود فهان عند الخلق، وكانوا لا يلتفتون إليه مع غزارة علمه وقوة مجاهدته. ولقد رأيت من كان يراقب الله عز وجل في صبوته مع قصوره بالإضافة إلى ذلك العالم، فعظم الله قدره في القلوب حتى علقتة النفوس، ووصفته بما يزيد على ما فيه من الخير"⁽¹⁾.

2- بغض المعاصي وحفظ الجوارح عنها :

وهذا أثر المراقبة الأعظم، فمن صحت مراقبته، كان قريباً من الطاعات بعيداً من السيئات.

"قال رجل للجنيد: بَمَ أَسْتَعِين عَلَى غَضِّ الْبَصَرِ؟ فقال: بعلمك أنَّ نظر النَّاظِرِ إِلَيْكَ أَسْبَقُ مِنْ نَظْرِكَ إِلَى الْمَنْظُورِ إِلَيْهِ"⁽²⁾.

"وقال أبو العباس بن مسروق: من راقب الله في خطرات قلبه، عصمه الله في

(1) صيد الخاطر (ص: 145).

(2) جامع العلوم والحكم، لابن رجب (20 / 20).



حركات جوارحه" (1).

وقال ابن القيم: "وأرباب الطريق مجمعون على أن مراقبة الله تعالى في الخواطر سبب لحفظها في حركات الظواهر، فمن راقب الله في سره حفظه الله في حركاته في سره وعلايته" (2).

وقال ابن الجوزي: "قال أبو سعيد: وكان لي معلم يختلف إلي يعلمني الخوف، ثم ينصرف، فقال لي يوماً: إني معلمك خوفاً يجمع لك كل شيء، قلت: ما هو؟ قال: مراقبة الله عز وجل" (3).

3 - صدق الفراسة:

"قال أبو شجاع الكرمانى: "من عمر ظاهره باتباع السنة، وباطنه بدوام المراقبة، وكف نفسه عن الشهوات، وغض بصره عن المحارم، واعتاد أكل الحلال؛ لم تخطئ له فراسة" (4).

4- دخول الجنة:

"سُئِلَ بَعْضُهُمْ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ فَقَالَ: مَعْنَاهُ: ذَلِكَ لِمَنْ رَاقَبَ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَحَاسِبَ نَفْسَهُ، وَتَزَوَّدَ

(1) ذم الهوى، لابن الجوزي (ص: 145).

(2) مدارج السالكين (2 / 66).

(3) صفة الصفوة (1 / 529).

(4) إغاثة اللفهان من مصايد الشيطان (1 / 48).

لمعاده. **وسئل** ذو النون: بم ينال العبد الجنة؟ فقال: بخمس: استقامة ليس فيها روغان، واجتهاد ليس معه سهو، ومراقبة الله تعالى في السر والعلانية، وانتظار الموت بالتأهب له، ومحاسبة نفسك قبل أن تحاسب⁽¹⁾.

وسائل معينة على تحقيق مراقبة الله تعالى:

إن وصول العبد إلى أن يكون من أهل المراقبة لله تعالى في السر والعلن منالٌ عظيم، وغاية سامية، ولكن ذلك لن يكون إلا بالأخذ بوسائل صحيحة تؤدي إلى ذلك المطلب العالي، **فمن تلك الوسائل:**

1 - استشعار أن الله تعالى قريب من عبده، مطلع على عمله كله سره وعلنه، لا يغيب عنه منه شيء في أي مكان كان العبد، فأين يختفي العبد عن علمه تعالى؟

فمن همَّ بمعصية فليذكر هذا العلم المحيط؛ ليحجزه ذلك عن الخطيئة.
قال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس: 61].

"يخبر تعالى عن عموم مشاهدته، وإطلاعه على جميع أحوال العباد في حركاتهم، وسكناتهم، وفي ضمن هذا الدعوة لمراقبته على الدوام"⁽²⁾.

(1) إحياء علوم الدين (4/ 397).

(2) تفسير السعدي (ص: 367).



قال ابن الجوزي: "الحق عز وجل أقرب إلى عبده من حبل الوريد، لكنه عامل العبدَ معاملة الغائب عنه، البعيد منه، فأمر بقصد نيته، ورفع اليدين إليه، والسؤال له، فقلوب الجهال تستشعر البعد؛ ولذلك تقع منهم المعاصي؛ إذ لو تحققت مراقبتهم للحاضر الناظر لكفوا الأكف عن الخطايا، والمتيقظون علموا قربهم فحضرهم المراقبة، وكفتهم عن الانبساط" (1).

قال الشاعر:

إذا ما حَلَوْتَ الدَّهْرَ يوماً فلا تُقُلْ حَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبٌ
ولا تَحْسَبَنَّ اللهَ يَغْفُلُ سَاعَةً ولا أَنَّ ما تُخْفِي عَلَيْهِ يَغِيبُ
ألم تَرَ أَنَّ اليَوْمَ أَسْرَعُ ذاهِبٍ وأنَّ غداً للناظرين قَرِيبٌ (2)

2- تذكر أن الله رقيب على عباده:

و"الرَّقِيبُ: الْحَافِظُ الَّذِي لَا يَغِيبُ عَنْهُ شَيْءٌ، وَمِنْهُ: قَوْلُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: 18] (3).

3 - التفكير في لقاء الله يوم القيامة وجزاء الأعمال في ذلك اليوم:

قال ابن القيم: "ويعينه على هذه المراقبة والمحاسبة: معرفته أنه كلما اجتهد فيها اليوم استراح منها غداً إذا صار الحساب إلى غيره، وكلما أهملها

(1) صيد الخاطر (ص: 149).

(2) إحياء علوم الدين (4/ 398).

(3) الأسماء والصفات للبيهقي (1/ 194).



اليوم اشتد عليه الحساب غدا.

ويعينه عليها أيضاً: معرفته أن ربح هذه التجارة سكنى الفردوس، والنظر إلى وجه الرب سبحانه، وخسارتها: دخول النار والحجاب عن الرب تعالى، فإذا تيقن هذا هان عليه الحساب اليوم⁽¹⁾.

وقال الجنيد: "إنما يتحقق بالمراقبة من يخاف على فوت حظه من ربه عز وجل"⁽²⁾.

3 - التزود من العلم النافع الذي يبصر الإنسان بطريقه إلى الله:

ومن أعظم العلم: العلم بأسماء الله وصفاته؛ فإن للعلم بها والتعبد بمقتضاها أثراً كبيراً في سلوك المسلم، قال ابن القيم: "والمراقبة هي: التعبد باسمه الرقيب الحفيظ العليم السميع البصير، فمن عقل هذه الأسماء وتعبد بمقتضاها حصلت له المراقبة، والله أعلم"⁽³⁾.

4 - مجالسة أهل المراقبة وقراءة أخبارهم ومحاكاة أعمالهم.

5 - التفكير في عواقب المعاصي.

6 - الدعاء. فيدعو العبد ربّه سبحانه وتعالى بأن يجعله من أهل خشيته

ومراقبته.

(1) إغاثة اللفهان من مصايد الشيطان (1/ 80).

(2) إحياء علوم الدين (4/ 397).

(3) مدارج السالكين (2/ 66).



قدوة صالحة :

1 - قال تعالى: ﴿وَرَأَوْنَاهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْت لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: 23].

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل... ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله،) (1).

2 - "كان بعض المشايخ له تلامذة، فكان يخصص واحداً منهم بإقباله عليه أكثر مما يقبل على غيره، فقالوا في ذلك، فقال: أبين لكم؛ فدفع إلى كل واحد من تلامذته طائراً، وقال له: اذبحه بحيث لا يراه أحد، ودفع إلى هذا أيضاً، فمضوا ورجع كل واحد منهم وقد ذبح طائره وجاء هذا بالطائر حياً فقال: هلا ذبحته، فقال: أمرتني أن أذبحه بحيث لا يراه أحد، ولم أجد موضعاً لا يراه فيه أحد. فقال: لهذا أخصه بإقبالي عليه" (2).

3 - قال عمر بن محمد عن عبد السلام ابن عبيد عن أعرابي: "خرجت في بعض ليالي الظلمة فإذا أنا بجارية كأنها علم فأردتها على نفسها، فقالت: ويحك! أما لك زاجر من عقل إذا لم يكن لك ناه من دين! فقلت لها: إبهها والله ما يرانا إلا الكواكب، قالت: فأين موكبها" (3).

(1) رواه البخاري (660)، ومسلم (1031).

(2) الرسالة القشيرية (1/ 330).

(3) ذم الهوى (ص: 272).

فهرس المحتويات

5 المقدمة

17 تمهيد

18 المطلب الأول: تعريف الأخلاق الحسنة لغة واصطلاحاً

21 المطلب الثاني: الأخلاق بين الطبع والاكْتِسَاب

25 المطلب الثالث: الأخلاق والإيمان

28 المطلب الرابع: مصادر الأخلاق الإسلامية

33 المطلب الخامس: مزايا الأخلاق الإسلامية

35 المطلب السادس: أسباب الانحراف عن الأخلاق الإسلامية

41 المطلب السابع: وسائل تنمية الأخلاق الحسنة

46 المطلب الثامن: المقصد الصحيح من التحلي بالأخلاق الحسنة

48 المطلب التاسع: عظمة خلق رسول الله ﷺ

55 الأخلاق مع الله تعالى

57 الإخلاص

59 تعريف الإخلاص:

60 أهمية الإخلاص:

64 علامات الإخلاص:

68 ثمرات الإخلاص العاجلة والآجلة:



77 قدوة صالحة:

79 الاستغفار

81 تعريف الاستغفار:

82 فضل الاستغفار:

84 الإكثار من الاستغفار:

86 ثمرات الاستغفار:

91 الاستغفار النافع:

93 أحسن الاستغفار:

94 الفرق بين الاستغفار والتوبة:

96 قدوة صالحة:

98 تقوى الله

99 تعريف التقوى:

101 أهمية التقوى:

105 صفات المتقين:

108 ثمرات التقوى:

111 وسائل معينة على تحصيل التقوى:

113 قدوة صالحة:

114 التوبة إلى الله تعالى

118 تعريف التوبة:

119 شروط التوبة:



- 124 ثمرات التوبة إلى الله تعالى:
- 126 وسائل مُعِينَة على التوبة:
- 129 قدوة صالحة:

133 التوكل الله تعالى

- 135 تعريف التوكل على الله:
- 137 أهمية التوكل على الله تعالى:
- 139 أسباب قوة التوكل:
- 141 حاجة التوكل إلى الرضا بعده:
- 142 التوكل وعمل الأسباب:
- 145 أنواع التوكل:
- 146 مواطن التوكل على الله تعالى:
- 149 ثمرات التوكل على الله تعالى:
- 151 قدوة صالحة:

152 حسن الظن بالله تعالى

- 152 تعريف حسن الظن بالله تعالى:
- 153 أهمية حسن الظن بالله تعالى:
- 153 مواطن حسن الظن بالله تعالى:
- 168 ثمرات حسن الظن:
- 170 حقيقة حسن الظن:
- 174 صور من سوء الظن بالله تعالى:
- 175 قدوة صالحة:



177 خشية الله تعالى

- 177 تعريف الخشية:
- 178 الفرق بين الخشية والخوف:
- 179 أهمية خشية الله تعالى:
- 184 مظاهر خشية الله تعالى:
- 185 ثمرات التحلي بخشية الله تعالى:
- 189 وسائل تحصيل خشية الله تعالى:
- 190 قدوة صالحة:

191 الخوف من الله تعالى

- 192 معنى الخوف من الله وبيان المحمود منه والمذموم:
- 193 أهمية الخوف من الله تعالى:
- 195 مجالات الخوف من الله تعالى:
- 196 أمارات الخوف من الله تعالى:
- 197 ثمرات الخوف من الله تعالى:
- 199 وسائل معينة على الوصول إلى الخوف من الله تعالى:
- 203 قدوة صالحة:

205 الدعاء

- 206 تعريف الدعاء:
- 207 أهمية الدعاء:
- 213 آداب الدعاء وشروطه:
- 222 من أدعية القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية الشريفة:



227 ذكر الله تعالى

- 228 المراد بذكر الله تعالى :
- 229 أهمية ذكر الله ومنزلته :
- 236 ثمرات ذكر الله تعالى :
- 241 وسائل معينة على دوام ذكر الله وكثرته :
- 243 ذكر الله تعالى بالمشروع :
- 244 قدوة صالحة :

246 الرجاء من الله تعالى

- 247 تعريف الرجاء :
- 248 أسباب الرجاء من الله :
- 253 الرجاء من الله تعالى غير الغرور بحلمه وعفوه :
- 257 الجمع بين الرجاء والخوف :
- 260 ثمرات الرجاء :
- 263 قدوة صالحة :

265 شكرُ الله تعالى

- 268 تعريف شكر الله تعالى :
- 268 الفرق بين الشكر والحمد :
- 270 العلاقة بين الشكر والصبر :
- 271 أهمية شكر الله تعالى :
- 273 مظاهر شكر الله تعالى :
- 280 مِنَ النعم التي تُشكر :



- 285 ثمرات شكر نعم الله تعالى :
 287 وسائل معينة على شكر الله :
 289 عاقبة ترك شكر الله :
 290 لا نستطيع الوفاء بشكر الله تعالى :
 292 من أدعية الشكر :
 294 قدوة صالحة :

295 محبة الله تعالى

- 296 مفهوم محبة الله تعالى :
 297 أهمية محبة الله سبحانه :
 298 علامات محبة الله تعالى :
 303 وسائل معينة على الوصول إلى محبة الله تعالى :
 305 ثمرات محبة الله تعالى :
 307 قدوة صالحة :

308 مراقبة الله تعالى

- 309 تعريف مراقبة الله :
 312 علامات مراقبة الله من العبد :
 314 أهمية مراقبة الله تعالى :
 314 ثمرات مراقبة الله تعالى :
 317 وسائل معينة على تحقيق مراقبة الله تعالى :
 320 قدوة صالحة :

321 فهرس المحتويات

الكتاب



تأليف الدكتور
يحيى بن يحيى بن المصطفى